الشيخ
نجيب الحداد
حياته وأدبه

تأليف

هاني هلال خوري

رسالة قدمت لنيل درجة استاذ في الآداب
الى دائرة اللغة العربية
الجامعة الاميركية في بيروت

شباط ١٩٦٩

"THESIS RELEASE FORM"
American University of Beirut

I, Hani Khuri

[✓] authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

[ ] do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

Hani Khuri
Signature

March 10, 1969
Date

الشيخ
نجيب الحداد
حياته وادبه

تأليف

هاني هلال خوري

رسالة قدمت لنيل درجة استاذ في الآداب
الى دائرة اللغة العربية
الجامعة الاميركية في بيروت

شباط ١٩٦٩

الاهـــــداء

أرفع هذه الرسالـــة الـى جميـــع أعضـــاء الارساليـــة المعمدانية الجنوبيـــة فـي الاردن شكرا علـى خدماتهـم الجليلة لمدينـة عجلـــون وضواحيـــهاء وامتنانا بالمنحـــة الدراسية التـي امـدونـي بها طيلـــة السنوات الاربع الاولى من حياتـي الدراسيـــة • واود ان أخـص بالذكـــر أعضاءهـا لسنـــة ١٩٦٠•

القس رسل مورس وعقيلتـــه
الدكتور اوغست لفجرين وعقيلته
الدكتور جون روبر وعقيلتـــه
الآنسة دوروثي بيـــرد
الآنسة فيوليـت بـــوب
الآنســة أنـــا كـــاون
الآنسة موريـن بريمـــن

مقدمة

تدين نهضتنا الأدبية الحديثة في كثير من منجزاتها الى نفر من الأدباء الرّواد الذين استطاعوا بجهدهم الدؤوب، وكفاحهم الصامت، وصبرهم المديد، ان ينفذوا عبر موجات الاضطهاد على اختلاف اشكاله وتعدد ألوانه، وان يعبروا، حينا في ديارهم، وحينا آخر في ديار غربتهم، عمّا كانت تجيش به نفوسهم، وتمكنوا من ان يطلقوا حياتنا الأدبية من تماقم الصنعة والتقليد، وان يهيئوا للأدب المعاصر الانطلاق في الأجواء الرحبة الجديدة.

وبالرغم من أن حركة الريادة في نهضتنا الحديثة لم تكن وقفا على بلد دون آخر الّا ان الراصد لتاريخ هذه الحركة سيجد لا محالة انها مدينة بشكل خاص الى الموجة السورية المتمصرة التي كان أفرادها بالفعل رسل انفتاح على الحضارات الأخرى، وحلقات تواصل مع عطاءاتها. ونجيب الحداد، علم من أعلام هذه الفئة الرائدة، استطاع في عمره القصير، ان يحقق منجزات جلى في حقول الصحافة والترجمة والشعر. وعلى الرغم من قيمة ما أنجز، ووفرة ما حبّر، فانه لم يحظ بدراسة منهجية شاملة حتى الآن، وهذه مهمة، حاولنا في هذا البحث، ان نقوم بأعبائها.

وقد يعترض على قولنا هذا معترض فيشير الى كتاب عادل الغضبان "الشيخ نجيب الحداد" "١١٠ صفحات". اننا لا نعتقد أن ذلك المؤلف قد غطى حياة الحداد ونتاجه او حاول، على الأقل، القاء ضوء كاشف على جنبات شخصيته. فالكتاب مؤلف من أربعة فصول: جاء الفصل الاول "١ ــ ١٤" حديثا عن عصر الحداد من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية مكررا مادة اجترتها الكتب حتى بهتت من كثرة المعاودة. وتحدث المؤلف في الفصلين الثاني والثالث "١٥ــ٤٠" عن نجيب الحداد فجاء كلامه خطابي اللهجة، فقير المعلومات، فانه وان اعجب القارئ صياغة مقصر لا محالة عن مدّه بما يتطلبه من الحقائق والتفسيرات. وضمن المؤلف الفصل الرابع "٤٣ــ١٠٩" منتخبات من آثار الحداد. ومادة هذا الفصل سبق ان نشرت جميعها في ديوان الحداد المطبوع سنة ١٨٩٩، ومنتخباته التي صدرت سنة ١٩٠٣، وباعادة نشرها لم يضف شيئا جديدا. وهكذا خلت محاولة الغضبان في هذه الناحية من اى فائدة. وليس هنا مجال الخوض في ما زخر به الكتاب من حشو واستطراد لا علاقة له قطعا بالموضوع الرئيسي، او في ما نجده فيه من أخطاء

ومغالطات. ولشد ما كانت دهشتنا عندما رأينا شوقي ضيف يرى في ذلك الكتاب "لوحة بديعة فيها جمال الفن والأسلوب... وفيها تثبت حصيف أملاه الهدوء والتأني والتبصر والتروى... (وأنه) وثيقة تاريخية تصاغ في اطار جميل "(١) ولا نرى مبررا لمثل هذا القول يصدر عن ضيف الا اذا كان صادرا بدافع المجاملة او المداعبة.

***

اعترضتنا ونحن نعد هذا البحث عقبات عدّة: فعندما قمنا بكتابة الفصل المتعلق بحياة الحداد لم تمدنا المصادر والمراجع الا بنزر من الحقائق تتعلّق بنسبه وولادته وتنقلاته. وكلها معيدة بشكل أو بآخر ما ورد في مقالتين اثنتين عنه بقلم معاصريه طانيوس عبده وحنا سركيس الحقتا بديوانه. فاضطرنا الى العودة الى سجلات المدرسة التي درس فيها بحثا عن سيره المدرسي وتحديدا لمعالم ثقافته. واستفدنا كثيرا من بعض الرسائل التي كان نجيب قد تبادلها مع صديقه عبده بدران والتي اهتمت بها فيما بعد جريدة البصير القاهرية. كما حاولنا الاستفادة من دقائق المعلومات المبعثرة نتفا في شتى الجرائد والمجلات التي ذكرت عن نجيب اما مباشرة أو عرضا، حتى تسنى لنا الالمام باطراف الموضوع.(٢)

ولم يكن بد من العودة المباشرة الى مقالات نجيب الصحفية لنتمكن من الحديث عن مضمونها وأسلوبها وهذا يعني العودة الى مصادر لم تتوفر في مكتبة الجامعة الاميركية او غيرها من المكتبات اللبنانية. فتبعنا الحداد الى مصر حيث تسنى لنا الاطلاع على مقالاته في لسان العرب والسلام وأنيس الجليس وغيرها من الصحف والمجلات. فكانت هذه المصادر خير معوان لنا في تحديد الاتجاهات العامة التي سلكتها مقالته.

ولما حان الوقت للحديث عن الحداد مترجما واجهتنا عقبتان رئيسيتان كادتا ان تقعدا بنا عن مواصلة العمل: فجل مترجماته القصصية منشور بشكل مسلسلات في ذيول الصحف، والقليل الذى طبع منها بعضه نفذ وبعضه لم يلق، مع مرور الزمن، عناية خاصة ففقد. فاضطررنا الى الاطلاع على معظم هذه المترجمات من خلال هذه المسلسلات، كما الجأتنا ضرورات البحث الى استنساخ الكثير منها وفي هذا من العناء ما فيه. غير اننا لم نواجه مثل هذه الصعوبات في

---

(١) الكتاب : ٨:٦٣١
(٢) تأمل ذلك

دراستنا لمسرحيات الحداد ، ذلك ان الدكتور محمد يوسف نجم نشر عددا منها في الحلقة السادسة من المسرح العربي . كما تكرم بتزويدنا بنسخ من مسرحيات اخرى للحداد لم تتضمنها تلك الحلقة . اما العقبة الثانية فهي جهلنا للغة الافرنسية وهي اللغة التي نقل عنها الحداد كل مترجماته . وما كنا لنتغلب على هذه العقبة لولا تعاون الزملاء ومساعدة الاساتذة في الجامعة الاميركية وخارجها . فحرصت ان استشير منهم من اثق بمعرفته الجيدة لتلك اللغة ، واستيعابه الواضح الاكيد للمشكلة التي اعاني منها . فاجتمعت معهم مديد زمن مستفهما ومصغيا .

وكل ما اتمناه ان اكون قد وفقت في ابراز دور الحداد في تطور عدد من الفنون الادبية في النهضة الحديثة .

هانـــي خـــوري

بيـــروت ، شباط ١٩٦٩

ومغالطات. ولشد ما كانت دهشتنا عندما رأينا شوقي ضيف يرى في ذلك الكتاب "لوحة بديعة فيها جمال الفن والأسلوب... وفيها تثبت حصيف أملاه الهدوء والتأني والتبصر والتروى... (وأنه) وثيقة تاريخية تصاغ في اطار جميل"[1] ولا نرى مبررا لمثل هذا القول يصدر عن ضيف الا اذا كان صادرا بدافع المجاملة او المداعبة.

***

اعترضتنا ونحن نعد هذا البحث عقبات عدّة: فعندما قمنا بكتابة الفصل المتعلق بحياة الحداد لم تمدنا المصادر والمراجع الا بنزر من الحقائق تتعلّق بنسبه وولادته وتنقلاته. وكلها معيدة بشكل أو بآخر ما ورد في مقالتين اثنتين عنه بقلم معاصريه طانيوس عبده وحنا سركيس الحقتا بديوانه. فاضطرنا الى العودة الى سجلات المدرسة التي درس فيها بحثا عن سيره المدرسي وتحديدا لمعالم ثقافته. واستفدنا كثيرا من بعض الرسائل التي كان نجيب قد تبادلها مع صديقه عبده بدران والتي اهتمت بها فيما بعد جريدة البصير القاهرية. كما حاولنا الاستفادة من دقائق المعلومات المبعثرة نتفا في شتى الجرائد والمجلات التي ذكرت عن نجيب اما مباشرة أو عرضا، حتى تسنى لنا الالمام باطراف الموضوع.[2]

ولم يكن بد من العودة المباشرة الى مقالات نجيب الصحفية لنتمكن من الحديث عن مضمونها وأسلوبها وهذا يعني العودة الى مصادر لم تتوفر في مكتبة الجامعة الاميركية او غيرها من المكتبات اللبنانية. فتبعنا الحداد الى مصر حيث تسنى لنا الاطلاع على مقالاته في لسان العرب والسلام وأنيس الجليس وغيرها من الصحف والمجلات. فكانت هذه المصادر خير معوان لنا في تحديد الاتجاهات العامة التي سلكتها مقالته.

ولما حان الوقت للحديث عن الحداد مترجما واجهتنا عقبتان رئيسيتان كادتا ان تقعدا بنا عن مواصلة العمل: فجل مترجماته القصصية منشور بشكل مسلسلات في ذيول الصحف، والقليل الذى طبع منها بعضه نفذ، وبعضه لم يلق، مع مرور الزمن، عناية خاصة ففقد. فاضطررنا الى الاطلاع على معظم هذه المترجمات من خلال هذه المسلسلات، كما الجأتنا ضرورات البحث الى استنساخ الكثير منها وفي هذا من العناء ما فيه. غير اننا لم نواجه مثل هذه الصعوبات في

---

(١) الكتاب : ٨:٦٣١
(٢) تأمل ذلك

دراستنا لمسرحيات الحداد ، ذلك ان الدكتور محمد يوسف نجم نشر عددا منها في الحلقة السادسة من المسرح العربي • كما تكرم بتزويدنا بنسخ من مسرحيات اخرى للحداد لم تتضمنها تلك الحلقة • اما العقبة الثانية فهي جهلنا للغة الافرنسية وهي اللغة التي نقل عنها الحداد كل مترجماته• وما كنا لنتغلب على هذه العقبة لولا تعاون الزملاء ومساعدة الاساتذة في الجامعة الاميركية وخارجها • فحرصت ان استشير منهم من اثق بمعرفته الجيدة لتلك اللغة ، واستيعابه الواضح الاكيد للمشكلة التي اعاني منها • فاجتمعت معهم مديد زمن مستفهما ومصغيا •

وكل ما اتمناه ان اكون قد وفقت في ابراز دور الحداد في تطور عدد من الفنون الادبية في النهضة الحديثة •

هانـــي خـــورى

بيـــروت ، شباط ١٩٦٩

الفصل الأول

تمهيد : السوريون المتمصرون

الفصل الأول

تمهيد : السوريون المتمصرون

اعتاد الدارسون في بحثهم عن الأدب المهجرى ان يتجهوا بانظارهم الى الاميركتين، ولكنهم نادرا ما التفتوا الى مصر للوقوف على ما يمكن ان يسمى بأدب مهجرى نشأ هناك وترعرع في الربع الأخير من القرن الماضي، وفي العقود الأولى من القرن الحالي. فاذا ما سلمنا بأن الدافع الى تسمية الأدب المهجرى بهذا الاسم عائد الى كونه قد نشأ في ديار الغربة فاننا لا نعدم سببا يدفعنا على ألّا نقصره على ما حبّرته أقلام السوريين في المهاجر الاميركية بل ان نوسع دائرته لتشمل، ايضا، ما خطّه السوريون في مصر. فبالرغم من أن المغتربين السوريين المتمصرين عاشوا في مناخ عربي تربطه بالمجتمع السورى أواصر التاريخ واللغة، الا أنهم كثيرا ما كانوا يعون في قرارة أنفسهم حقيقة اغترابهم. ومع أنهم وجدوا في مصر بلدا مضيافا الا أن عددا من الصحف المصرية المحلية، وفي كثير من المناسبات، لم تتردد عن نعتهم بالغرباء، والدخلاء، والمارقين وأكثر من ذلك من أمثال هذه الصفات.

وقد أنتج السوريون المتمصرون، وهم تحت وطأة شعورهم بالغربة، ووعيهم للمآسي السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي خلفوها في بلادهم، أدبا فيه الكثير من ملامح أدب اخوانهم في المهجر الاميركي. فهو من حيث القالب منفلت، الى حد كبير، من عبودية التقليد والرواسب المحنطة، قائم على مألوف الألفاظ والتعابير وفي هذا شيء من الجدة نظرا لما كان شائعا دور ذاك من اهتمام بالغ بقوة السبك واختيار اللفظ. وهو من حيث المضمون أدب رسالة. فقد جاء يفصح عما كان يعتمل في نفوس المهاجرين من شوق دائم الى بلادهم، وتوق حران لايقاظ الشعور القومي في الديار العربية، وتحطيم للأنهار التي وضعها العثمانيون

على كواهل المواطنين، كما جاء يدعو الى الثورة على المفاسد الاجتماعية في كل مظهر من مظاهرها، ويفصح عن مواقف أصحابه من مآسي الانسان أينما كان ٠

وسنحاول في ما يلي أن نلم بالظروف الثقافية التي أنشأت فئة من المتنورين السوريين، وأدت الى اغترابهم وذلك تمهيدا لبحث أحد أعلامهم البارزين الشيخ نجيب الحداد ٠

* * *

كان المجتمع الشامي قبل اتصاله بحضارة الغرب مجتمعا راكدا بسيطا الا أن هذه الحالة لم تدم طويلا بعد ان بدأت عقلية الاجيال الصاعدة في القرن الماضي تتفتح على الثقافات الغربية وتحوز لنفسها نصيبا منها ٠

ولعله من المسلم به أن البيئات المسيحية في مختلف الديار الشامية قد أخذت لنفسها نصيبا من الثقافة الغربية أكبر بكثير من نصيب البيئات الاسلامية، نتيجة لطبيعة الظروف السياسية والتربوية التي كانت تهيمن على البلاد السورية خلال الحكم العثماني ٠ فقد كان الطلاب المسلمون يختلفون الى المدارس الوقفية القديمة التي لم يكن لها اى حظ من الاصلاح ، والمدارس الرسمية التي كانت تعتمد التركية لغة للتدريس ٠ فالتصقوا بهذه المدارس لأنها وحدها هي التي كانت تهيئهم للعمل في دوائر الحكومة ٠[(١)] فكانت هذه المدارس ملتقى أبناء الموظفين ، والوجهاء، وعلية القوم من أبناء المسلمين ٠[(٢)]

وكان الطلاب المسيحيون يذهبون الى المدارس الطائفية التي كانت تدرّس باللغة العربية، او الى المدارس الأجنبية كالفرنسية والارلندية والانكليزية والاميركية والروسية التي كانت تدرس

(١) ساطع الحصرى، حولية الثقافة العربية السنة الاولى ١٩٤٨ــ ١٩٤٩ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩) ١٢
(٢) جميل صليبا، محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام (القاهرة: المطبعة الكمالية ، لا ت) ٥٧، انظر ايضا : الثقافة: عدد ٢٥٩: ٣ ــ ٤

باحدى اللغات الأوروبية، وتعتني عناية خاصة باللغة العربية.[1] وتهيأ للمدارس الطائفية والأجنبية ان تنمو وتترعرع على مر الزمن نتيجة لما كان يحدث بينها من مزاحمة وتسابق. فاستطاعت البعثة الانجيلية المشيخية ان تتوج منجزاتها العلمية بتأسيس الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الاميركية في بيروت فيما بعد) سنة ١٨٦٦ وقيض للبعثة اليسوعية ان ترسي قواعد جامعة القديس يوسف سنة ١٨٧٤. فكانت الجامعة الأولى مركز الدائرة من الثقافة الانجلوسكسونية، وصارت الثانية قطب الرحى من البيئة الثقافية اللاتينية.

وأخذ أبناء المدارس الطائفية والأجنبية، خاصة الجامعيون منهم، يتعرضون لنظريات العلوم الحديثة المبنية على العلم والتجربة، ويتدارسون المواضيع على ضوء الفكر والمنطق، ويطلعون على جانب من الآداب السكسونية واللاتينية، ويتطرفون الى علوم الاجتماع، ويقفون على آراء كبار الساسة والمفكرين، ويتعرفون الى تاريخ الشعوب في كفاحها من أجل التحرر من السيطرة أيا كان مصدرها وطابعها. فأعجبوا بشكل خاص بما حملته الثورة الفرنسية من قيم ومقاييس اجتماعية، وبما احتوت عليه الدساتير وشرعة حقوق الانسان من ضمانات للحريات الخاصة والعامة.[2] هذا فضلا عما تيسر لهم من تربية لاهوتية قائمة على معرفة مباشرة للكتاب المقدس.

والواقع أن المؤسسات التربوية، الطائفية منها والاجنبية، حين زودت روادها في القرن الماضي بالمعارف الانسانية الشاملة كانت تجتث جذورهم شيئا فشيئا من بيئتهم، وتوسع الهوة بينهم وبين مجتمعهم. فبينما استطاعت مقاعد الدراسة ان تمد عقولهم بالمعرفة الشاملة على اختلاف فروعها، وتدفع بهم الى الحلم بالحياة المثلى سياسيا، واقتصاديا، ودينيا، وأدبيا، فشل واقع الحياة خارج أسوار تلك المدارس ان يحقق لهم، ولو شيئا يسيرا، من تلك المثل.

---

(١) الحصري، حولية الثقافة العربية: ١٣

(٢) جبران مسعود، لبنان والنهضة العربية الحديثة، (جونية: مطابع فؤاد بيبان، ١٩٦٧) ١١١

فمن الناحية السياسية كانت البلاد الشامية تئن تحت نير الحكم العثماني الذى تسلط فيها على جميع مرافق الحياة، وعمل على تجزئتها، وأطلق في ربوعها العيون، وشدد في تضييق الخناق على الحريات، وسهر على تكسير الأقلام وكم الأفواه . وكان لبنان قد عانى أكثر من غيره من البلاد الشامية خاصة بعد أن أصبح متصرفية سنة ١٨٦١ . فتوالى على حكمه ثمانية من المتصرفين يستندون في اجراءاتهم الى دستور لا تزيد بنوده على الأربعة عشر بندا .(١) ولم يكن من هم لهؤلاء المتصرفين الا نيل عطف الباب العالي عن أى طريق كان فانحدر كل منهم أكثر من سلفه نحو الفساد .(٢)

ولم تكن الحياة الاقتصادية بأفضل من الحياة السياسية . فعندما حصر العثمانيون لبنان في الجبل قطعوا عنه الاتصال بمدنه الرئيسة، ووضعوا حدا بينه وبين مناطق الخصب فيه . فعجزت رقعته الجبلية الضيقة عن ان تزود أبناءه ببعض مصادر الحياة . ولم يستطع الفلاح ، دورئذ ، بأساليبه الزراعية البدائية ومعرفته المحدودة أن يحسن استغلال الأرض التي حصر بها، أو أن يتغلب على الآفات الزراعية التي كانت تفتك بمحاصيله . وزاد سوء توزيع الارض الحالة تعقيدا فقد كانت العائلات الاقطاعية تتمتع بالسيطرة على قسم كبير من الأراضي، وتنعم بامتيازات جمة تميزها عن سواد الفلاحين .(٣)

ولم تكن الحياة الدينية في الديار الشامية بأفضل من سابقتيها . فباسم الدين صار لكل طائفة دولة تعطف عليها وترعى شؤونها .(٤) وباسم الدين اشتعلت نيران الحرب الطائفية في

---

(١) اطلب بنود هذا الدستور في : يوسف مزهر ، تاريخ لبنان العام، ١ :٧١٢

(٢) فيليب حتي، مختصر تاريخ لبنان، ترجمة فؤاد جرجس نصار (بيروت، دار الثقافة، المطبعة

(٣) ابراهيم بولياك، الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين، ترجمة عاطف كرم (ط ١ : بيروت : وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٤٨) ٢١٥

(٤) انظر : أنيس صايغ ، لبنان الطائفي (بيروت : دار الصراع الفكرى، ١٩٥٥)١٠٦، بيير روندو ، النصارى في الشرق (ط ١، بيروت : دار المكشوف، ١٩٤٦) ١٤

السنوات ١٨٤١، ١٨٥٥، ١٨٦٠.[١] وباسم الدين ألحقت الاهانة بالمواطن المسيحي على الصعيدين الحكومي والاجتماعي. فقد كانت الدولة العثمانية دولة اسلامية الصبغة فسمحت للمسلمين بدخول الادارة والجيش واعتبرتهم مواطنين كالعثمانيين أنفسهم،[٢] وحرمت على المسيحيين حق المساواة مع غيرهم من المواطنين ومنعت عنهم حق الالتحاق بالادارة والجيش، ونظرت اليهم كرعايا لا كمواطنين.[٣] وبالاضافة الى ذلك كثيرا ما كان يتعرض المسيحيون الى الأذى.[٤] ثم ان العقلية الدينية المحافظة في لبنان، المسيحية منها والاسلامية، لم تكن على استعداد للتجاوب مع الذهنية اليقينية المادية التي حملتها الثقافة الغربية؛[٥] وان رجال الاكليروس المسيحي حاولوا بعد فتنة الستين ان يحلوا محل الامراء والمشايخ، وان يستولوا على زمام الثروة في البلاد، ونجحوا في ذلك الى حد كبير.[٦]

وهكذا جاءت الحياة السياسية بما تخللها من مظالم، والاقتصادية بما داخلها من سوء توزيع للثروة، والدينية بما واكبها من تعصب واضطهاد، جاءت على طرف نقيض من الصورة المثالية التي انطبعت في أذهان تلك الفئة المتنورة. وعندما انبرت بعض الأقلام تعبر عن أفكارها كانت تتعرض لتنكيل الحكومة العثمانية. فالتعليمات[٧] التي صدرت في عهد السلطان عبد الحميد حددت السلطات الصحفية بحيث شلت قواها وأمنت شرّها. فراحت هذه الفئة تعاني من اللا انتماء بعد ان تقطعت الاسباب التي تشدها الى قيم المجتمع ومثله، وبدأت تقاسي من

(١) انظر تفصيل ذلك في: حتي، مختصر تاريخ لبنان: ٢١٣_٢٢٢، ميخائيل مشاقة: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان (القاهرة: ١٩٠٨): ١٤٥_١٥١، ١٦٠_١٦٩، ١٧٤_١٧٦
(٢) صايغ، لبنان الطائفي: ١٠٤
(٣) المصدر نفسه
(٤) انظر: مشاقه، مشهد العيان: ٢٦ _ ٢٧
(٥) المقتطف: ٩٤؛ ٤١٤
(٦) بولس مسعد، لبنان والدستور العثماني، (القاهرة: مطبعة المعارف ١٩٠٩) ١٤_١٥
(٧) اطلبها في: جورج سعادة، النهضة الصحفية في لبنان (ط ١، جونية: منشورات وكالة النشر العربية، ١٩٦٠) ١٣٠ _ ١٣١

القلق والحيرة الناجمين عن عدم التوازن بين ما اختزنته في صدورها من مثل، وبين ما كانت تشاهده في الحياة العامة من مساوئ. فاستحال عليها البقاء في سوريا وراحت تبحث لنفسها عن منطلق أرحب لا يبخل عليها بالحرية الضرورية للتعبير عن أفكارها، ولا بالمال اللازم لرد غائلة الفقر.

***

وكان من الطبيعي ان تتجه أنظار المتنورين الى مصر. فالقانون العثماني ظل حتى سنة ١٨٩٠(١) يمنع هجرة الرعايا العثمانيين الى أي بلد آخر سواها. هذا فضلا عن أنهم رأوا في ذلك البلد مكانا مناسبا لاستغلال كفاءاتهم، وللتعبير عمّا اختزنته صدورهم في حياتهم الدراسية من أفكار ومبادئ.

كان الخديوي اسماعيل، وقد تلقى علومه في أوروبا وشاهد عن كثب نهضتها الاجتماعية والأدبية والعمرانية والعسكرية، شديد الميل الى نقل التمدن الاوروبي الى مصر. فالتفت، فيما التفت اليه، الى الصحافة لعلمه بما لها من أثر فعال في تطوير حياة المجتمع من الاعماق.(٢) فتأسست في عهده الصحف العلمية والأدبية والسياسية وأخذ يمدها بالمال اللازم حفاظا على حياتها.(٣) وتيقن ان الاعتماد على العنصر المصري وحده لا يحقق ما يجول في مخيلته من مخططات. فمدّ يده الى العنصر السوري يشجعه على الهجرة الى مصر ويحسن وفادته اليها.(٤) وكان من حسن الطالع ان تعاقب على كرسي الوزارة المصرية رجالات من أمثال رياض باشا(٥)

(١) Philip Hitti, The impact of the west on Syria & Lebanon in the Nineteenth Century, in Cahiers d'histoire mondiale vol. 11, No.3) 628, (Paris: 1955)

(٢) قسطاكي الياس عطاره، تاريخ تكوين الصحف المصرية، (الاسكندرية: مطبعة التقدم ١٩٢٨) ١٠٧

(٣) عبد الرحمن الرافعي، عصر اسماعيل، (ط ١، القاهرة: مطبعة النهضة، ١٩٣٢) ١: ٢٦

(٤) Evelyn Cromer, Modern Egypt, (London: Macmillian, 1908) 214-215

(٥) انظر بشأنه: الهلال، ٢٠: ٢٧٥ ـ ٢٨٩

وشريف باشا(١) ممن كان لهم الأيادى البيضاء على ذوى المعارف والآداب فاهتبل السوريون الفرصة ويمموا شطر مصر ليصبحوا، فيما بعد، من مشاهير رجال اليقظة العربية الحديثة.

* * *

وان نحن أمعنا النظر في السمات العامة لهؤلاء المغتربين، تبين لنا انهم في غالبيتهم الساحقة من المسيحيين. فأثر ذلك في تحديد مواقفهم من التيارات السياسية الناشطة في القرن الماضي، وعمل على ايجاد نوع من التجانس العام في ثقافتهم. فقد كانت مسيحيتهم سببا في حرمانهم من الالتحاق بوظائف الدولة من جهة، وفي اضطهادهم الاجتماعي من جهة أخرى. وكان من الطبيعي، والحالة هذه، ان يعملوا في ديار غربتهم على مناهضة الدولة العثمانية، وان يوقفوا ايضا أقلامهم على التنديد بما الحقته في بلادهم من مظالم وتعسف. وكان من الطبيعي ايضا الا يدعموا الجهود الرامية الى اقامة جامعة اسلامية خوفا من ان ينتهي مصيرهم الى وضع يشبه الوضع الذى خلفوه في ديارهم والذى لا يحفظ لهم، بالضرورة، نموهم المتكامل الحر. أضف الى ذلك أنهم كمسيحيين يميلون الى فصل الدين عن الدولة وتحديد كل منهما في مجال خاص به.

وكان هؤلاء المغتربون بحكم مسيحيتهم أيضا، قد درسوا في مدارس طائفية وفي مؤسسات تربوية أجنبية. وقد سبق أن أشرنا الى أن هذه المدارس قد أولت العربية واللغات الاوروبية اهتماما خاصا. فاحتوى هؤلاء المغتربون لانفسهم معرفة جيدة بالعربية وبلغة او أكثر من اللغات الاجنبية. فكانوا بغالبيتهم، مطلعين على التراث العربي، متصلين بكنوز الآداب الغربية قديمها وحديثها. ففتحوا عيونهم على فنون أدبية لم تكن في يوم من الأيام من عناصر التراث العربي، وأيقنوا ان موروثنا الأدبي فقير في كثير من جنباته، وان الطريق الى اغناء هذا التراث هو نقل بعض الآثار الغربية الى العربية.

---

(١) انظر بشأنه: زخورا، مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر، (القاهرة: المطبعة العمومية، ١٨٩٧) ١٢٥ـ١٣٠

وكان المغتربون ايضا بحكم مسيحيتهم وثقافتهم أكثر انفتاحا على الغرب ، وأشد تواصلا معه من البيئات الأخرى· فلم يكن بالعسير عليهم أن يشايعوا، في بحثهم الدؤوب للخروج من معضلاتهم السياسية والاجتماعية، الدول الغربية او أن يروا فيها نافذة خلاص·

وكان بعضهم يؤمن بضرورة الالتفات الى التقدم الصناعي والتقني، ويرى ان الانغلاق أمام المكتشفات الحديثة، وتجاهل منجزات الفكر البشرى أيا كانت هويته سيؤدى الى مزيد من الجهل والتأخر· فالمدنية، عندهم خير بحد ذاتها، والعلم هو أساس المدنية فعلام لا يعمل العقل العربي على تحصيله! ومن هنا اعتنت مجلة المقتطف بالاكتشافات التي انتجها العالم الغربي وتبسطت مجلة الهلال في التاريخ ، وعلم الاجتماع ، والآداب ، وجهدت الجامعة ، فيما اعتنت به ، في تعميم افكار بعض الفلاسفة الغربيين من أمثال جول سيمون واوغست كونت ·

***

وفي مصر حاول المهاجرون السوريون ان يعودوا الى الجماهير بعد ان تقطعت أسباب اتصالهم بها في الربوع الشامية، بغية تحقيق انتمائهم من جديد · ووجدوا أن قيمهم وتعاليمهم وأفكارهم ما برحت تعرقل مثل هذا التواصل · وتبين لهم أنه لا بدّ من قيام مجهود تثقيفي بين فئات الشعب ، ومن هنا لجأوا الى الصحافة_لانها كانت ، في القرن الماضي على الاقل، أهم وسيلة للتعبير والتفاهم بين الشعوب والحكام والافراد والمفكرين والفلاسفة·[1] هذا فضلا عن أنهم كانوا مهيئين للعمل في الحقل الصحفي بحكم ثقافتهم وخبرتهم فتمكنوا من اصدار الصحف اليومية والمجلات الثقافية، والقضائية، والزراعية، والطبية، والدينية، والأدبية·[2]

وكان من الطبيعي أن يلتفت هؤلاء المغتربون، بحكم اطلاعهم على الآداب الغربية وتمرسهم باللغات الاوروبية وتمكنهم من العربية، الى نقل بعض الآثار الأدبية· ولم يقصدوا من

---

(١) سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال، (القاهرة : المكتبة العربية، ١٩٦٨) ٥

(٢) تجد في الملحق رقم(١) قائمة باسماء الصحف والمجلات السورية التي صدرت في مصر في الربع الاخير من القرن الماضي ·

وراء ذلك سد الثغرة التي لمسوها في المكتبة العربية فحسب بل ابتغوا، أيضا، وضع نماذج فنية بين أيدي المؤلفين العرب ليتشبهوا بها وينسجوا على منوالها. وكان فنا القصة والمسرحية بشكل خاص موضع عنايتهم. فانشغل من نشأ منهم في مناخ الثقافة اللاتينية بآثار الكتاب الفرنسيين، والتفت من نشأ منهم في جو الثقافة الانجلوسكسونية بنتاج الادباء الانجليز. ولا يندر ان نجد بين صفوفهم من اعتنى منهم بنقل بعض آثار لمؤلفين من جنسيات اوروبية أخرى.

وحاولت جمهرة من هؤلاء المغتربين ان تثقف جمهور القراء عن طريق التأليف. فاعتنى عدد منهم بقصة التسلية والترفيه، واهتم نفر منهم بالقصة التعليمية. ولعلّ أشهر من عالج الضرب الاخير منها هو جرجي زيدان اذ ترك لنا اثنتين وعشرين قصة يقوم التاريخ العربي في صميمها. فقد كتب القصة التاريخية للشعب "ليعلمه التاريخ وليصرف عنايته الى ما هو أدسم وأكثر فائدة من قصص حمزة البهلوان وفيروز شاه والزير سالم وتغريبة بني هلال وغيرها من القصص الشعبية"(١) ولم يقصر نشاط هؤلاء المغتربين في حقل التأليف على القصة بمختلف فروعها فحسب بل تعداها ايضا الى وضع بعض المؤلفات الفلسفية ونظم العديد من الدواوين الشعرية.

* * *

نجيب الحداد واحد من هذه الفئة المتنورة القلقة الحائرة التي ضاقت بها الديار الشامية، فتوجه الى مصر، كما فعل العديد من أترابه، وعمل هناك في الصحافة، وزاول الترجمة والتفت الى نظم الشعر. فتهيأ له من النجاح في هذه الحقول ما جعله من مشاهير الكتاب في اليقظة العربية الحديثة. ونحن اذ نبحث نجيب الحداد في الفصول التالية نعطي أنموذجا مفصلا عن هذه الفئة المتنورة من الأدباء السوريين الذين اتخذوا لأنفسهم من مصر موطنا ثانيا.

* * *

(١) محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث (ط ٢، بيروت : منشورات المكتبة الاهلية، مطبعة نمنم، (١٩٦١) ٢٤٨

الفصل الثاني

نجيب الحداد : الرجل

الفصل الثاني

نجيب الحداد - الرجل

I سيرته :

أ- لمحة عامة عن أسرة الحداد :

تتوفر في التاريخ العربي القديم الدوافع العنصرية، والحضارية، والسياسية، للاهتمام بعلم النسب. أما اليوم فقد زالت هذه الدوافع أو شارفت على الزوال، فان علم النسب قد أصبح غريبا على حياتنا المعاصرة. فالمؤلفات التي تقصت أخبار الأسر الحديثة قليلة جدا. ولم نقف على شيء بصدد تاريخ آل الحداد الا في الجزء الثاني من كتاب "الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية". فقد تحدث مؤلفه عيسى اسكندر المعلوف عن هذه الاسرة في جملة حديثه عن أصهار اليازجيين وأسباطهم.

الحق عيسى المعلوف اسرة الحداد ببني لطيف وجعل أصلها من حوران.[1] وذكر أن جرجس لطيف جد هذه الأسرة، سكن عين قنية[2] وأنه رزق بولد أسماه نجما.

عرف نجم، فيما بعد، بنجم الحداد لأنه كان يشتغل بتعدين الحديد للأمير بشير الشهابي. وقد نال حظوة عند الامير حتى أصبح من مدبريه والمقربين اليه. فاصطحبه الامير معه الى مصر حين التجأ الى محمد علي سنة ١٨٢١. ويذكر المعلوف أن نجما مهذ كان في أول صباه.[3] وعندما اجتاح الطاعون البلاد وفتك بالعديد من الاسر، مات بهذا المرض سبعة من اولاد نجم ولم يبق منهم الا جرجس.

---

(١) عيسى المعلوف، الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية (بيروت: ١٩٤٥) ٢: ٧
(٢) قرية لبنانية في قضاء الشوف تقع بالقرب من المختارة.
(٣) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢: ٨

ولما شب جرجس عمل في خدمة الامير بشير الشهابي أيضا · ويبدو أنه نال حظوة عند الامير كتلك التي نالها والده من قبل · ورافق الامير بشير عندما نفي [illegible] الى مالطه والاستانة وبقي في صحبته حتى توفي عام ١٨٥٠ · عندئذ قفل جرجس عائدا الى بيروت وفيها توفي عن ولدين هما سليمان ونجم[١] وله من العمر ثمانون عاما ·[٢]

ب ـ عائلتــه :

والده الشيخ سليمان الحداد :

كان للشيخ سليمان الحداد أثر ملموس في حياة ابنه نجيب· فقد فعل الى حد بعيد في تكوين ذوقه الأدبي، وتوجيه نشاطاته المختلفة· ولذا فان تفاصيل حياته تعنينا في هذه الدراسة نظرا لما نلمسه من ترابط بين شخصيتي الأب والابن·

ولد الشيخ سليمان في بلدة عين قنيه ، في أسرة تنتمي الى طائفة الـــروم الكاثوليك· وقد جعل عيسى المعلوف ولادة سليمان سنة ١٨٢٩ ·[٣] ونود هنا ان نقف قليــلا لنتأمل في بعض التواريخ التي أثبتها المعلوف· فقد ذكر أن نجما، وهو جد سليمان، قـــد ارتحل الى مصر سنة ١٨٢١ عندما التجأ اليها الأمير بشير الشهابي · وقال ان نجما كان عهدئذ في أول صباه · وان نجما هذا قد رزق بولد اسماه جرجس· وأعلمنا ان جرجس هذا قد رزق بولدين هما سليمان ونجم· وجعل مولد سليمان سنة ١٨٢٩، وأغفل ذكر السنة التي ولد فيها نجم· وهكذا يبدو من غير المعقول أن يولد سنة ١٨٢٩ حفيد لجد هو نجم كان سنة ١٨٢١ ، على حد قول المعلوف ، في أول صباه · ويستلفت انتباهنا امر آخر· فقد ذكر المعلوف أيضا

---

(١) انظر بشأنه وشأن أولاده : الغرر التاريخية : ٢: ١٢٠ـ١٣٠

(٢) المعلوف ، الغرر التاريخية : ٢: ٨

(٣) المصدر نفسه

أن نجما الحفيد قد مات شابا سنة ١٨٨١.[١] فاذا صح هذا التاريخ ، وان نجما بالفعل كان شابا عند وفاته ، فان السنة التي ولد فيها تبتعد أكثر من المعقول عن السنة التي ولد فيها أخوه سليمان.

ولهذا فاننا نرى ان التواريخ التي أثبتها المعلوف في كتابه قد جاءت مشوشة مما لا يشجع على الأخذ بها. ومما يؤسف له حقا ان هذا هو المصدر الوحيد الذى وقعنا فيه على تاريخ ولادة سليمان.

ونستفيد من كتاب المعلوف ان الشيخ سليمان ترعرع في دار الأمير بشير الكبير.[٢] وكانت هذه الدار تشكل بيئة ممتازة للنشاط العلمي، والمجالس الأدبية، والمنافسات التي كانت تدور بين رجال الأمير وكبار الزائرين من الوطنيين والأجانب. وكان مجلس الأمير محط ركاب مشاهير العصر علما وأدبا[٣] كالياس آده ، ونقولا الترك وبطرس كرامه وأمين الجندى وناصيف اليازجي وغيرهم من الشعراء والكتاب .

ولا بدّ ان يكون سليمان قد حضر مجالس الأدباء وتثقف على شعراء الأمير. ولكن أخباره في صدر شبابه تغيب عنا فلا نعلم عنه شيئا، الى أن نلتقي به موظفا حسب رواية المعلوف[٤] في متصرفية لبنان بقلم المساحة. وقد بقي في هذه الوظيفة طوال عهد داود باشا (١٨٦١ــ ١٨٦٨) وهو اول متصرفي لبنان، وعهد خلفه فرانكو باشا (١٨٦٨ــ ١٨٧٣). وقد اقترن سليمان بحنة اليازجية سنة ١٨٦٥[٥] وكان عهدئذ يتولى وظيفة في الدولة .

---

(١) المعلوف ، الغرر التاريخية ١٢٠:٢
(٢) المصدر نفسه : ٨:٢
(٣) بطرس الصغير ، الأمير بشير الشهابي طرائف عن حياته وأخلاقه ، (بيروت : دار الطباعة والنشر اللبنانية، لا ت) ١٦٥
(٤) المعلوف، الغرر التاريخية : ٨:٢
(٥) المصدر نفسه : ١٥:٢

وقد استدعاه غريغوريوس يوسف[١] (١٨٢٣-١٨٩٧) بطريرك الروم الكاثوليك الى الاسكندرية في سنة ١٨٧٣ وانتدبه شيخا على طائفة الروم الكاثوليك هناك.[٢] ولا نعلم من تفاصيل حياة سليمان في مصر سوى أنه كان يتمتع بمركز اجتماعي مرموق بين أفراد الجالية السورية،[٣] وانه عمل في التمثيل مدة من الزمن. وعلى الرغم من أن تفاصيل حياته الشخصية غير متوفرة فان باستطاعة الباحث ان يتسقط بعض أخبار نشاطاته الفنية، خاصة وانها كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة ابنه نجيب. فالأخير كان يمد الفرق التمثيلية التي عمل فيها والده أو ترأسها، بمعظم مسرحياتها، سواء أكان ذلك ذلك عن طريق التأليف او الترجمة او التعريب.

ويجد المتتبع لنشاطات سليمان الحداد التمثيلية انه كان يتأرجح بين قطبين فهو اما ممثل بارز في احدى الفرق التمثيلية المشهورة، او رئيس لفرقة خاصة به. والذي يبدو أن سليمان لم يكن ليستقر على أي من الحالين فترة طويلة من الزمن.

وزودنا محمد يوسف نجم في كتابه "المسرحية في الأدب العربي الحديث" [٤] بطرف من أخبار نشاطات سليمان الحداد التمثيلية، وذلك في معرض حديثه عن الأجواق التمثيلية الصغيرة في مصر. واثبت لنا في ملاحظة هامشية أرقام أعداد من جريدة الأهرام كانت قد أشارت الى نشاطاته الفنية.[٥] وقد أفادنا نجم أن سليمان كان قد شارك في نشاط الأجواق الكبيرة فمثل مع يوسف الخياط، وسليمان القرداحي، واسكندر فرح. وانه

---

(١) انظر بشأنه : زخورا، مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر : ٢٣٠؛ جريدة لسان العرب - العدد ٨٧٨ - سنة ١٨٩٧؛ البيان : ١: ٤٧٣
(٢) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢: ٨
(٣) المصدر نفسه : ٢: ٩
(٤) محمد يوسف نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث، (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦) ١٦٨-١٦٩
(٥) المصدر نفسه : ١٧٤

استطاع ان يستقل بجوق خاص به سنة ١٨٨٧ أسماه "الجوق الوطني المصرى" . وقام هذا الجوق بتمثيل مسرحيتي "العلم المتكلم" و "المروءة والوفاء" في تياترو البوليتياما في الاسكندرية في شهر آب من العام المذكور. كما مثّل في شهر أيلول من العام ذاته مسرحية "محاسن الصدف". وأنه بعد بضعة اشهر ألف مع اسكندر مسكاوى جوقا آخر ومثل مسرحية "مشلق الاخرين" على مسرح زيزينيا في ١٨ شباط عام ١٨٨٨.

وقد بحثنا عن المزيد من أخبار سليمان الحداد الفنية في الاعداد التي أشير اليها فعلمنا انه التحق سنة ١٨٩١[١] بالجوق العربي الوطني الذى كان مديره اسكندر فرح. وكانت أحيانا تسند اليه مهمة تلقين الممثلين الرئيسيين أدوارهم في بعض المسرحيات، وأحيانا اخرى مهمة تمثيل أدوار هامة فيها. وقد أشار محمد يوسف نجم الى الطريقة التي كان سليمان يتبعها في تلقينه فقال "يبدو انه (سليمان) كان صاحب طريقة في الاداء الطبيعي الواقعي الهادئ التي كانت تقابل آنئذ طريقة الاداء الرومنطيقي الصاخب التي كان القرداحي علما عليها..."[٢] وقد بقي سليمان يعمل في هذه الفرقة الى ان استطاع ان يستقل بجوق خاص به مرة أخرى.[٢]

استطاع سليمان سنة ١٨٩٣ أن يؤلف فرقة اسماها "فرقة الجوق العربي"[٣]. وقد مثلت هذه الفرقة عددا من المسرحيات التي اقتبسها او عربها نجيب الحداد. فقدمت مسرحية حمدان في مسرح كوسيلينا في الاسكندرية مساء الأحد في ٢٨ من كانون الثاني سنة ١٨٩٣.[٤] ويبدو ان هذه الفرقة قد اصابت في تمثيلها هذه المسرحية قسطا وافرا من

---

(١) الاهرام، العدد ٤١٥٣، سنة ١٨٩١

(٢) نجيب الحداد، المسرح العربي (٦) نجيب حداد، اختيار وتقديم محمد يوسف نجم، (بيروت، نشر وتوزيع دار الثقافة، ١٩٦٦) المقدمة، أ

(٣) الاهرام، العدد ٤٥٢٣، سنة ١٨٩٣

(٤) الاهرام، العدد ٤٥٣٤، سنة ١٨٩٣

النجاح بدليل ما اشارت اليه الأهرام من أن خطبا وقصائد تقريظية قد قيلت فيها.[(١)] ومثلت فرقة الجوق العربي أيضا مسرحية "شهداء الغرام" على المسرح نفسه مسائي ١٧ و ١٨ نيسان.[(٢)]

وكانت فرقة سليمان هذه قد بلغت من المهارة والكفاية ما استلفت اليها نظر الحكومة فسمحت لها باحياء خمس حفلات في دار الاوبرا المصرية في القاهرة.

قدمت فرقة الجوق العربي خمس حفلات في دار الاوبرا. فمثلت مسرحية "صلاح الدين الأيوبي" مسائي ٢٨ آذار، ٥ نيسان سنة ١٨٩٣.[(٣)] وقدمت مسرحية "حمدان" في ٣٠ آذار،[(٤)] ومسرحية "شهداء الغرام" في مساء ٣ نيسان،[(٥)] واختتمت حفلاتها في دار الاوبرا بتقديم مسرحية "عائدة" في ٦ نيسان.[(٥)]

قفل سليمان عائدا بفرقته الى الاسكندرية بعد ان أصاب نجاحا ملحوظا في دار الأوبرا بالقاهرة. وما هي الا أيام قلائل حتى سمح المجلس البلدى في الاسكندرية لفرقة سليمان الحداد بتمثيل اثنتي عشرة حفلة على مسرح زيزينيا. وقد زودتنا جريدة الأهرام بأخبار بعض تلك الحفلات. فأعلمتنا ان تلك الفرقة قد مثلت مسرحية "صلاح الدين الايوبي" في ١١ و ١٨ من نيسان، ٢ أيار.[(٦)] وقد ألقى خليل مطران في حفلة مساء ١٨ نيسان خطابا أشاد فيه بما بذله كل من سليمان وولده نجيب من جهود في سبيل ترقية فن التمثيل في مصر. ومثلت

---

(١) الأهرام، العدد ٤٥٣٤، سنة ١٨٩٣
(٢) المصدر نفسه، العددان: ٤٥٥٠، ٤٥٥١، سنة ١٨٩٣
(٣) المصدر نفسه، العددان: ٤٥٨١، ٤٥٨٧، سنة ١٨٩٣
(٤) المصدر نفسه، العدد ٤٥٨٤، سنة ١٨٩٣
(٥) المصدر نفسه، العدد ٤٥٨٨، سنة ١٨٩٣
(٦) المصدر نفسه، الاعداد: ٤٥٩٠، ٤٥٩٤، ٤٦٠٥، سنة ١٨٩٣

مسرحية "عائدة" في مساء ١٢ نيسان.[١] وقدمت مسرحية "حمدان" في مسائي ١٣، ٢٥ نيسان،[٢] ومسرحية "ميلادى" في مساء ١٤ نيسان. وكان نجيب قد اقتبس هذه المسرحية عن قصة الفرسان الثلاثة لاسكندر ديماس الأب.[٣] كما قدّمت ايضا مسرحية "شهداء الغرام" مساء ١٥ نيسان.[٤]

والتحق سليمان بعد مدّة بالجوق الاسكندرى العربي، الذى تألف برئاسة رشيد لطيف سنة ١٨٩٥.[٥] ومثل مسرحية "حمدان" في ١١ كانون الاول من العام المذكور. وقد اسند دور حمدان في هذه المسرحية الى سليمان الحداد، ويبدو انه أجاد في تمثيل دوره بشكل ملحوظ مما دعا جريدة لسان العرب الى القول "ان هذا الدور قد خلق له (لسليمان) لحسن اتقانه واجادته فيه".[٦] والتحق سليمان بجوق القباني حيث تطالعنا الأهرام باسمه ضمن أسماء ممثلي هذا الجوق في سنة ١٨٩٧.[٧]

ثم انقطعت عنا اخبار سليمان بعد ذلك. ومن الجائز انه ابتعد عن التمثيل فترة من الزمن خاصة واننا نعلم ما حلّ بابنه نجيب في هذه الحقبة. ويبدو ان الحنين الى المسرح قد عاود سليمان فانتظم في جوق سلامة حجازى سنة ١٩٠٥، واشترك في تمثيل رواية "السر الهائل" وغيرها من المسرحيات التي قدّمها هذا الجوق.[٨]

---

(١) الاهرام، العدد ٤٥٩٧، سنة ١٨٩٣
(٢) الاهرام، العددان : ٤٥٩١، ٤٥٩٩، سنة ١٨٩٣
(٣) المصدر نفسه، العدد ٤٥٩٧، سنة ١٨٩٣
(٤) المصدر نفسه، العدد ٤٥٩٣، سنة ١٨٩٣
(٥) نجم، المسرحية في الادب العربي : ١٧٠
(٦) لسان العرب، العدد ٤١٣، سنة ١٨٩٥
(٧) انظر نجم، المسرحية في الادب العربي : ١٤٠
(٨) الاهرام، العدد ٨٣٨٣، سنة ١٨٩٧

ترك لنا سليمان بعض مقالات نشرها في جريدة الاسكندرية.[١] وطبع ديوانا أسماه "قلادة العصر" صدر عن مطبعة الاهرام عام ١٨٩١ ويقع هذا الديوان في مائة وأربع صفحات بقطع الربع. وقد جمع قصائد مدح، وغزل، ورثاء، وتقريظ، وتأريخ. ولا يختلف شعر سليمان بقليل او كثير عن ذلك الشعر التقليدي المقتصر على اغراض الشعر المألوفة، وهو شعر تألفه في الكثير من دواوين القرن التاسع عشر.

أما صفاته فقد قال فيها المعلوف "اشتهر (سليمان) بدماثة أخلاقه وأدبه وصحة روايته وقوة حافظته، حتى كان جليسه لا يمل حديثه مهما طال. وكان بشوشا واسع الصدر كبير العقل اصيب بفقد اولاده النوابغ في مقتبل العمر، فضلا عما أصاب بيت حميه اليازجي من النكبات فاقتبل ذلك بصبر، ونال منزلة بين علماء الاسكندرية ووجهائها حتى اشتهر بحسن المخالقة وصدق المودة والوفاء..."[٢]

وكانت وفاة سليمان في مدينة الاسكندرية في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩١٥ عن عمر يناهز السادسة والثمانين عاما.[٣]

أما اخبار بقية أفراد العائلة فقليلة. وما عثرنا عليه بشأن والدة نجيب لا يتعدى بعض التعميمات: منها انها حنة ابنة الشيخ ناصيف اليازجي، واليصابات الشامي. ولدت في بيروت سنة ١٨٣٥، وهي الكبرى بين بنات الشيخ اليازجي والمولود الثاني في عائلته[٤] ومعرفتها للقراءة والكتابة لم تتعد المعرفة البسيطة، شأنها في ذلك شأن معاصراتها من النساء. ولعلها تعلمت هذه المبادئ على والدها. ويذكر عيسى المعلوف انها "اشتهرت بأخلاق

(١) المعلوف، الغرر التاريخية: ٢:٩
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ولد حبيب، بكر العائلة، سنة ١٨٣٣، (الغرر التاريخية: ١:٤٦)

حميدة وكرم على البائسين "(١) ومما لا شك فيه انها قاست في حياتها وفرة من الاحزان. فقد فقدت أبناءها الثلاثة وهم في مقتبل العمر، ثم ما لبثت ان فقدت زوجها فعاشت منفردة محزونة الى ان وافاها الأجل في الاسكندرية في الثالث عشر من أيلول سنة ١٩٢١.(٢)

وأما أفراد العائلة الآخرون فهم شقيقة وأخوان. أما الشقيقة فهي فريدة التي ولدت توأما لاخيها أمين سنة ١٨٦٨(٣)، واقترنت بمترى المعلوف ثم هاجرت معه الى البرازيل(٤). وأما الاخوان فهما أمين ونسيب. وسيأتي لنا حديث عن أمين في مكان آخر من هذا البحث. أما نسيب فلا نعلم عنه شيئا الا اشارتين أورد احداهما عيسى المعلوف فأعلمنا ان نسيبا مات أعزب وهو في شرخ الشباب(٥). وأورد الثانية حنا سركيس(٦) فأخبرنا ان نسيبا قضى نحبه بداء الصدر(٧).

جـ - حياته

١. مولده، نشأته، دراسته :

ولد نجيب الحداد في بيروت(٨) في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧(٩). وقد أرخ خاله الشيخ ابراهيم اليازجي ولادته بقوله :

---

(١) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢ : ١٥
(٢) المصدر نفسه
(٣) أمين الحداد، منتخبات الشيخ أمين الحداد، (الاسكندرية : مطبعة غرزوزى، ١٩٠٣)، المقدمة : ع
(٤) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢ : ١٤
(٥) المصدر نفسه : ٢ : ١٥
(٦) انظر بشأنه الياس زخورا، السوريون في مصر، (القاهرة : المطبعة العربية، ١٩٢٧)، ٢٦٢ - ٢٦٤
(٧) الحداد، منتخبات الشيخ أمين الحداد : المقدمة : ع
(٨) جاء في البصير، العدد ١٤١٥٧، ان نجيبا ولد في الاسكندرية. وهذا زعم لا تؤيده المصادر الاولى التي أرخت له
(٩) البيان : ١ : ٣٧٢

تجلى هلال السعد في حسن طلعة   بها الله وافانا بحسن واحسان
نجيب نراه حيث أرخ فائقا   ولا غرو فيه انه من سليمان[١]

نشأ في بيروت. ولما بلغ من العمر ست سنوات ارتحل عنها مع أسرته الى الاسكندرية سنة ١٨٧٣[٢]. وهناك التحق بمدرسة الفرير، وفيها تلقى مبادئ اللغة الفرنسية[٣]. وبعد ان قضى فيها سنتين، التحق في عام ١٨٧٥ بمدرسة "الاميركان" وبقي فيها قرابة ست سنوات.

ولما شبت الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ عمت الفوضى والاضطرابات الاسكندرية وتعرضت للضرب، والحرق، واضطربت فيها الحياة بجميع مرافقها من شهر حزيران سنة ١٨٨٢ وحتى اواخر شهر أيلول من تلك السنة[٤]. ويبدو ان بعض العائلات المسيحية من الجالية السورية وغير السورية، قد تعرضت للاذى فلم تجد مندوحة عن ترك الاسكندرية الى حين،[٥] فعاد نجيب الحداد مع من عاد الى لبنان في صيف عام ١٨٨٢.

وفي بيروت التحق نجيب بالمدرسة البطريركية[٦] للروم الكاثوليك. ونكاد ان نجزم بان نجيبا قد انضم الى تلك المدرسة في اوائل السنة الدراسية (١٨٨٢ـ ١٨٨٣)، فأقدم ثبت باسماء الطلبة في هذه المدرسة يرقى الى العام الدراسي (١٨٨٣ـ ١٨٨٤) ولم نقع له فيه على اسم. ونستدل من بعض المصادر[٧] ان نجيبا قد مكث في هذه المدرسة سنة

---

(١) ابراهيم اليازجي، العقد، (سان باولو: لا مط، لا ت) ١٢٢
(٢) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢ : ١٦
(٣) محمد صبري، شعراء العصر، (القاهرة : مطبعة الأمة، ١٩١٠) ٢ : ١٤٢
(٤) ابراهيم عبده، جريدة الاهرام تاريخ وفن، (القاهرة: نشر سجل العرب، لا مط، ١٩٦٤) ١٥٧
(٥) عقد نجيب في لسان العرب، العدد ٨٨٠ سنة ١٨٩٧، مقارنة بين ما اصاب المسيحيين من أذى سنة ١٨٨٢ وبين ما لحق بهم في بور سعيد سنة ١٨٩٧
(٦) تأسست هذه المدرسة بأمر من البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٦٥ (لسان العرب، العدد ٨٧٨، سنة ١٨٩٧؛ البيان : ١ : ٢٧٥). انظر بشأنها : اللطائف : ٥ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣
(٧) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢ : ١٦؛ الحداد، تذكار الصبا : ١٠٨

واحدة ليلتحق بعد ذلك بسلك التعليم. فقد عيّن مدرسا في مدرسة بعلبك سنة ١٨٨٣ (١) حيث قام بتدريس اللغتين العربية والفرنسية سنة واحدة.

وقد أشارت المصادر التي أرخت لحياته في هذه الفترة انه انتقل من بعلبك الى الاسكندرية. ولكننا عثرنا على ملاحظات للحداد، بعضها يتعلق بأحاج لغوية نشرت في مجلة الجنان (٢) تحمل اسمه وعنوانه، مما يدل على انه كان يقطن اللاذقية في شهر كانون الاول سنة ١٨٨٤. وليس لدينا وثائق نستند اليها في تبيان ماهية العمل الذى كان يمارسه في اللاذقية. فربما عمل هناك في حقل التعليم ايضا.

ولا شك ان الحداد لم يكن راضيا بمثل الاعمال التي زاولها حتى هذا التاريخ، وانه كان يطمح الى شيء أهم من ذلك. ففي العديد من قصائده المنسوبة الى عهد شبابه الاول، ما يشير الى انه كان يروم العلى، ويستمرئ التغرب من أجل تحقيق مطالبه. ففي قصيدة، تردّها جامعة الديوان الى هذه الفترة المبكرة من حياته يقول :

فان صروف الدهر يوم وليلة ... على الناس بالاحداث يختلفان
فكل طويل الباع يسعد فيهما ... ويشقى الذليل العاجز المتواني
اذا عز نيل العز في بلدة فدع ... منابتها وارتع بغير مكان
أبى الله أن أرضى الهوان وهمتي ... لها مطلب لا يدّني لهوان
ولي من ذكاء القلب اصدق شاهد ... ومن كرم الجدين لي عضدان (٣)

ولعل في شهادة عيسى المعلوف به، على ما فيها من تعميم، ما يقوى اعتقادنا بان نجيبا لم يكن ليكتفي من حياته بدور معلم بسيط في بعلبك او غيرها. يقول

---

(١) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢:١٦؛ الحداد، تذكار الصبا : ١٠٨
(٢) الجنان : ١٨٨٤: ١٤٧، ٦٥٥
(٣) نجيب الحداد، تذكار الصبا، (ط٠ ٢، الاسكندرية : مطبعة جرجس غرزوزي، ١٩٠٥) ٧٤

المعلوف "ظهرت عليه مخايل النجابة منذ صغره مع الذكاء والنبوغ ... (و) كان آية في آدابه ومعارفه حتى أدهش اساتذته وعارفيه وزملاءه ..."(١) ولا بدّ ان نجيبا كان يتحين فرصة تتيح له تحقيق ما تصبو اليه نفسه من أمان واحلام ·

٣· ارتحاله الى مصر وعمله في جريدة الاهرام:

جاءت الفرصة المرتقبة عندما دعا سليم تقلا نجيب الحداد ليعمل معه في جريدة الاهرام(٢). ذلك ان تقلا كان بحاجة الى عناصر جديدة تتعاون معه للحفاظ على حياة الجريدة، والنهوض بها من كبوتها بعد المحنة القاسية التي مرّت بها أثر الثورة العرابية اذ احرق الثائرون مطبعتها ودار صاحبها(٣). فتوقفت عن الصدور الى حين ثم استأنفت حياتها الطبيعية بعد فترة وجيزة· وقد وجد صاحبها نفسه بحاجة الى المزيد من العاملين في الحقل الصحفي ليتعاونوا معه · فظروف مصر السياسية بعد الثورة العرابية قد فرضت تغييرات وتوسيعات في امكانات الجريدة· وهذا ما يفسر لنا السبب الذى دفع بسليم الى دعوة عدد من الكتاب للعمل معه ·

ولا شك ان سليم تقلا كان على سابق معرفة بنجيب الحداد · فالذى يتصفح ديوان والده الشيخ سليمان الحداد يقع فيه على عدد من القصائد(٤) التي تنبئ بعلاقة حميمة بين والد نجيب وسليم تقلا· ثم ان سليما قد تتلمذ على يدى الشيخ ناصيف اليازجي(٥). وان الشيخ وجد فيه الصديق والتلميذ(٦). ونعلم ان سليمان قد زامل

(١) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢:١٦
(٢) المصدر نفسه ·
(٣) زخورا، السوريون في مصر : ١٨١
(٤) انظر سليمان الحداد، قلادة العصر، (الاسكندرية : مطبعة الاهرام، ١٨٩١) ٢٢، ٨٩
(٥) زخورا، السوريون في مصر : ١:١٨٠
(٦) نقولا ابي الهناء، الشيخ ناصيف اليازجي، (حريصا : مطبعة القديس بولس، لا ت) ٤٩

الشيخين ابراهيم وخليل اليازجي في المدرسة البطريركية اثناء تدريسه فيها • ومن البديهي ان تؤدي هذه الصداقات الى معرفة سليم لنجيب الحداد واكتشافه مواهب الشاب وطموحه • فاستدعاه للعمل معه في مصر فلبى نجيب الدعوة وارتحل اليها سنة ١٨٨٤[١].

ولم نستطع ان نحدد بالضبط تاريخ التحاق نجيب بجريدة الاهرام• فقد اجتهدت المصادر التي ارخت له ان تشير الى السنة التي التحق فيها بهذه الجريدة ، دون ان تذكر اليوم او الشهر• ولكن ابراهيم عبده يقول : " ثم جاء في نبا آخر أن نجيب الحداد قد انتظم في هيئة تحرير الاهرام"[٢] محيلا القارىء الى عدد الاهرام الصادر بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣• ولا نود ان نأخذ بذلك لسببين اولهما ان عدد الاهرام المشار اليه في الهامش خال من أية ملاحظة تفيد ذلك• وثانيهما اننا عثرنا على مقالات لنجيب في هذه الجريدة تعود الى سنة ١٨٩٠، ومترجمات ترقى الى سنة ١٨٨٨•

استمر نجيب يعمل في الاهرام مترجما ومحررا قرابة السنوات العشر، الى ان أقيل في الاسبوع الاول من شهر ايار سنة ١٨٩٤[٣]• ولم تذكر المصادر التي أرخت لحياة نجيب الحداد الاسباب التي أدت الى اقالته من الاهرام بعد أن أمضى في خدمتها هذه المدة الطويلة• ولكننا نرى ان عدة عوامل قد تضافرت فجعلت بقاءه في الاهرام أمرا عسيرا • ونذكر من هذه العوامل ما يلي :

اولا : انتقلت ادارة الاهرام على أثر وفاة صاحبها سليم تقلا في آب سنة ١٨٩٢ الى اخيه بشارة• وكان بشارة يختلف باختباراته ، وشخصيته ، ونهجه عن أخيه سليم،

---

(١) اطلعنا على ملف نجيب الحداد المحفوظ في دائرة موظفي جريدة الاهرام بغية تعيين التاريخ الذي التحق فيه نجيب بجريدة الاهرام، ولكننا لم نوفق الى ذلك لان الملف خال الا من صورة له•
(٢) عبده ، جريدة الاهرام تاريخ وفن : ٢٦٤
(٣) البصير ، العدد ١٤١٥٧

الذي كان لين الطبع، سهل الخلق(١) سمحا في معاملته لمرؤوسيه (٢). فمالت اليه القلوب ونال احترام موظفيه ومحبتهم. حتى ان نجيب الحداد لم يتردد في ان يدعوه "سيدي" في احدى مقالاته(٣)، وان ينظم فيه مرثاة تعتبر بحق من عيون القصائد التي نظمها(٤). ولعلّ مهنة التعليم التي مارسها سليم في اكثر من مدرسة قد عمقت في نفسه صفة الليونة والتسامح، وزودته بطول الأناة والروية. فكان صبره يتسع لتصرفات مرؤوسيه وادراك مشاكلهم.

الا ان صفات التفهم والليونة هذه لم تكن من صفات خلفه بشاره.

فقد كان انسانا مدققا لا يتردد في ان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الجريدة ويطلع بنفسه على كل شاردة وواردة(٥). وكان منصرفا بكليته الى مهنته ومؤسسته حتى انه كان يعيش في جريدته "كأنها بيته وناديه بل محرابه ومعبده"(٦). وكان منظما في عمله بشكل فائق، فوصفه خليل مطران بقوله "يكره الخلط وتشويش النظام وتأخير الشيء من يوم الى يوم..."(٧) كما كان عصبي المزاج محبا للسيطرة(٨). اما سياسته المالية فليس أدل عليها من قوله "ان سوء التدبير ادعى الى الافلاس وتخريب البيوت العامرة من السرف المتجاوز حدّه..."(٩) فلم يبسط بشاره يده خوفا من سوء العاقبة. وكان لا يمل من اعمال الفكر في انجح الوسائل التي من شأنها ان ترقى بجريدته نحو الافضل(١٠) وسرعان ما

---

(١) زخورا، السوريون في مصر : ١٧٩
(٢) البصير، العدد ١٤١٥٧
(٣) انظر مقالته "نظرة عربية" في الاهرام، العدد ٣٨٠٨، سنة ١٨٩٠
(٤) اطلبها في : الحداد، تذكار الصبا : ٦٧ _ ٦٩
(٥) عبده، جريدة الاهرام تاريخ وفن : ١٠٦
(٦) المصدر نفسه
(٧) بشاره تقلا باشا، القاهرة : مطبعة الاهرام، ١٩٠٢) ٨
(٨) زخورا، السوريون في مصر : ١٥٣
(٩) بشاره تقلا باشا : ٧
(١٠) المصدر نفسه

اصطدم بشاره مع موظفيه بعيد توليه الادارة. فهم لم يكونوا قد اعتادوا في عهد سلفه سليم مثل هذه القسوة والسيطرة والمبالغة. واسفرت النتيجة عن اقصاء بعض الموظفين عن اعمالهم او تركهم لها . فقد استقال خليل زينيه[1] في كانون الاول سنة ١٨٩٣[2]. وابعد نجيب في ايار. واستقال امين في حزيران. وتبعه عبده بدران في تموز .

ثانيا : لم يكن عمل نجيب في الاهرام ليؤمن له حياة مادية مطمئنة. فقد كان مرتبه ضئيلا حتى انه لم يجد لديه من المال ما يكفي لتغطية نفقات اقامة دعوى على ادارة الاهرام التي فصلته بطريقة غير قانونية. ونستشف بعض المعلومات عن الاحوال المادية التي كان يعاني منها نجيب من خلال رسالة بعث بها أمين الى صديقه عبده بدران جاء فيها "اما بشاره بك فمسرور منا كثيرا وقد زاد راتبي فصار (٧) ليرات وراتب نجيب (١٣) اى ان زيادتنا كلنا نحو (٥٠) فرنكا وكان يريد لذلك قطع ألسنتنا .... الزيادة ليست مما يذكر ولا تدفع فقرا او تسد عوزا ..."[3] ونعثر على اشارة اخرى مماثلة في رسالة بعث بها أمين الى صديقه عبده بدران حيث يقول "هذا المشروع (اى اصدار جريدة لسان العرب) ظاهر النفقة مأمون الدخل .... ولا أظن دخله مهما كان لا يكفي لمثل كلينا وغاية ما فيه الكساد اذ انه يأتي باجرتنا على الاقل ولكن على غير الوجه الذى نحن فيه ... صاحبنا (اى بشاره) ضيّق علينا كل التضييق "[4] وعلى ذلك فان دخل نجيب الحداد المادى لم يكن كافيا لتأمين حياة مرضية مما خلق فيه استعدادا لترك عمله اثر اول سانحة.

---

(١) صاحب جريدة "العصور" و "المرأة". ومن اثاره "العلم والتربية" و "القضاء والقدر"؛ "انظر مجلة الجامعة : ٣ : ٤-٥ "

(٢) الاهرام ، العدد ٤٥٢٤، سنة ١٨٩٣

(٣) البصير ، العدد ١٤١٥٧

(٤) المصدر نفسه

ثالثا : كانت سياسة الاهرام، منذ ان تأسست، ترمي الى تمجيد الدولة العثمانية. وكانت صلتها بتلك الدولة صلة التابع بالمتبوع (١). واعتبر اصحابها انفسهم، على غير ما فعل بعض الصحفيين في مصر، من رعايا السلطان. وكان ان اسفرت سياسة الجريدة القائمة على الولاء للباب العالي من نيل اصحابها حظوة عند السلطان. وعندما مثل بشارة بين يدي السلطان عبد الحميد خاطبه قائلا "اني اعترف بصدق وطنيتكم واخلاصكم وجريدتكم التي أقرأها في اوقاتها ... فثابروا انتم على خطتكم هذه الوطنية فليس يفوتكم التفاني لأني أكافي الصادقين بما يستحقون (٢) " وقد انعم السلطان على نفر من آل تقلا واصدقائهم بعدد من الأوسمة.

ان اتجاه الاهرام السياسي وموقفها من الدولة العثمانية لم يتفقا مع اتجاه نجيب وموقفه. فالذي يطلع على لسان العرب يرى ان نجيبا كرس جهدا ملحوظا لتبيان سيئات الحكم العثماني من جهة، ودعا الى تمجيد الامة العربية من جهة أخرى. فأكد في كثير من مقالات لسان العرب الافتتاحية حق العرب في الخلافة، ودل على ان الاتراك قد اغتصبوا هذا الحق من أهله. فنجيب اذن كان يعمل في صحيفة لا يؤمن بسلامة اتجاهاتها السياسية من قريب او بعيد. وكان من شأن هذه العوامل مجتمعة ان باعدت الشقة بينه وبين الاهرام.

رابعا : لم تتسع صفحات الاهرام لطموح نجيب الأدبي. فانتاجه في حقبة السنوات العشر التي قضاها في الاهرام قليل اذا ما قورن بما انتجه في السنوات الاربع التي تلت تركه لها. ومرد ذلك الى ان صاحبي الاهرام كانا يقومان غالبا بتدبيج المقالات الافتتاحية،

---

(١) عبده، جريدة الاهرام تاريخ وفن : ١٥١
(٢) بشاره تقلا باشا : ٣٨

او بافساح المجال في ذلك لمن له اسم بارز وشهرة ملموسة(١) وبما ان نجيبا لم يكن بعد قد اصبح في عداد هؤلاء المشهورين فانه ، من هنا، شاء ان يستقل بصحيفة خاصة به (٢).

وهكذا فقد تضافرت عوامل سياسية، وادارية، ومالية، وشخصية، على اقصاء نجيب عن التحرير في الاهرام. وبالفعل استطاع نجيب ان يستقل بجريدة خاصة به يسهم في تحريرها كل من شقيقه أمين وصديقه عبده بدران. وسنعرض فيما يلي جهود نجيب الحداد لانشاء جريدة لسان العرب.

٣. اصداره جريدة لسان العرب :

عندما أقيل نجيب الحداد من جريدة الاهرام سنة ١٨٩٤، كان هو واخوه أمين، وصديقهما عبده بدران، على وشك الانتهاء من التحضيرات اللازمة لبدء مشروع صحفي جديد . فقد تهيأت الظروف بل هيأها الثلاثة بجدهم ومثابرتهم ، لاصدار جريدة خاصة بهم.

ولا نستطيع ان نتحدث هنا عن جهود نجيب الحداد في هذه الفترة بمعزل عن جهود أخيه أمين، وصديقهما عبده بدران. فقد عملوا جميعا، وبتفان ملحوظ ، على اصدار جريدتهم المرجوة. وكانوا يطلقون على أنفسهم في رسائلهم المتبادلة لقب " شركة نجيب الحداد "(٣).

وكان من المتعذر علينا ان نكشف النقاب عن تفاصيل تأسيس جريدة لسان العرب ، وان نقف على العقبات التي عانى منها نجيب وشركاه، ونتعرف على الوسائل التي

---

(١) عبده، جريدة الاهرام تاريخ وفن : ١٠٤
(٢) الحداد، منتخبات الشيخ أمين الحداد : المقدمة : ك
(٣) البصير، العدد ١٤١٥٧

لجأوا اليها. فدائرة المطبوعات المصرية قد اتلفت ملف الجريدة لتقادم الزمن عليه [1].

وكان من حسن الطالع ان انتهت الرسائل التي تبادلها نجيب وأمين الحداد مع صديقهما عبده بدران، وكانت ادارة الاهرام قد نقلته محصلا للاشتراكات في محافظة الدقهلية، انتهت الى يد رجل لم نستطع كشف هويته. فعمل هذا على نشر محتوياتها في جريدة البصير متخفيا تحت توقيع "صاد شين".

تجمعت لدى "صاد شين" هذا اربع وسبعون رسالة: ثلاثون من نجيب وأربع واربعون من أمين،[2] وكلها موجهة الى عبده. ورأى "صاد شين" في هذه الرسائل قصة كفاح هي في الواقع نموذج واضح لقصة الصحافة في القرن التاسع عشر. وتبين له انها تعكس الصعوبات الجمّة التي كان يعاني منها كل من ساورته نفسه اصدار جريدة عهدئذ، فاراد اطلاع القراء عليها.

ولما كان نشر هذه الرسائل كلها يفوق امكانات اية جريدة، فقد لجأ "صاد شين" الى استخلاص قصة كفاح هؤلاء الشبان من الرسائل. فكتب هذه القصة في خمس مقالات ونشرها في جريدة البصير[3]. وكان يضمن، وهذا ما نشكره له، كل مقالة بعدد من الفقرات التي وردت في بعض تلك الرسائل، ويشير الى كاتبها وتاريخ ارسالها. وهكذا تسنى لنا الوقوف على حقائق هامة جدا ما كنّا لنحصل عليها لولا ذلك، وعرفنا سيكولوجية هؤلاء الشبان في سعيهم الدؤوب وعراكهم الراسخ مع الظروف القاهرة التي عانوا منها.

---

(١) اعلمنا السيد طه محمد اسماعيل، مدير المطبوعات المصرية، في مقابلة لنا معه بتاريخ ٧ ايلول سنة ١٩٦٧ ان الدائرة المذكورة تتلف ملفات الصحف بعد مرور خمسة وعشرون عاما على توقيفها عن الصدور.

(٢) البصير، العدد ١٤١٦٢

(٣) البصير، الاعداد: ١٤١٥٧، سنة ١٩٤٣، ١٤١٦٢، ١٤١٧٤، ١٤١٨٠، ١٤١٨٦، سنة ١٩٤٤

نعلم من بعض هذه الرسائل [١] ان فكرة انشاء جريدة لسان العرب ترقى الى سنة ١٨٩٢، وهي السنة التي توفي فيها سليم تقلا. فقد جاء في رسالة كتبها أمين في ذلك العام قوله "مسألتنا (اى اصدار الجريدة) لا تزال مكتومة" [٢]. ثم نعلم من رسالة اخرى ان بشاره تقلا قد جعل أمينا وكيلا لادارة الطباعة ووعده ان يعلمه سكب الأحرف [٣]. ولكن أمينا رغم ذلك، لم يكن راضيا عن وضعه. فقد وصف حاله بقوله "ان عيشتي هنا عيشة سجين ينتظر انتهاء سجنه" ولا يعود هذا الشعور بالقلق وعدم الاطمئنان الى ما كان يعانيه أمين من ضائقة مادية، ولا من انتظاره تحقيق مشروع عاش في خاطره، وداعب احلامه. فهذان العاملان قد اسهما بالفعل في ايجاد مثل هذه السوداوية. ولكننا نعتقد ان أمينا كان يترقب الفرصة التي يتسنى له فيها نشر نتاج أدبي له. فقد كان يشعر انه أديب أصيل، وان مواهبه كانت تتعدى العمل الآلي المحدود الذى عهد به اليه في جريدة الاهرام. فهذه الجريدة لم تحقق له، ولو جزئيا، شيئا من طموحه الأدبي. وعبثا حاولنا الوقوف له على اى أثر فيها.

ولم تكن حالة عبده بدران باحسن من حالة الاخوين أمين ونجيب. وقد زاد وضعه سوءا ارساله محصلا للجريدة في الدقهلية. ولعله قد عرف الدافع من وراء هذا الاجراء فكان يلتهب غيظا دون ان يجد متنفسا لغيظه.

وهكذا عقد ثلاثة من الشبان النشيطين، هم نجيب وأمين الحداد وعبده بدران، العزم على اصدار جريدة خاصة بهم، تكون منبرا لنتاجهم الادبي والصحفي. فقد ضاقت الاهرام بمواهبهم ورأوا "مجال الامال غير فسيح وهم في خدمة الغير" [٤].

---

(١) سنشير اليها من الآن فصاعدا برسائل جريدة البصير.
(٢) البصير، العدد ١٤١٥٧
(٣) المصدر نفسه
(٤) الحداد، منتخبات الشيخ أمين الحداد : المقدمة :ك

وتطلب انشاء الجريدة معاملات ادارية لنيل الامتياز، ومعاملات مالية لشراء المطبعة ولوازم العمل. أما من حيث الامتياز فتشير احدى رسائل البصير الى ان محاولة الحصول عليه قد استغرقت سنتين تقريبا. فكان اول من حاول الحصول على هذا الامتياز هو والد نجيب الشيخ سليمان الحداد. ويبدو انهم قد استعانوا به في مثل هذا الغرض لما كان يتمتع به، دونهم، من مكانة اجتماعية بارزة من شأنها ان تيسر مثل هذه المهمة لدى المسؤولين. غير ان سليمان، على الرغم من ذلك، لم يوفق في مسعاه.[1] وقد عزت احدى رسائل البصير ذلك الى قانون المطبوعات عهدئذ الذي كان متشددا في مسألة اعطاء مثل هذه الامتيازات لغير الاجانب، ويتضح من احدى رسائل البصير ان نجيبا ورفيقيه قد ظنوا انهم يصلون الى غايتهم عن طريق الادب والشعر بأن يكيلوا المديح لهذا او ذاك من رجال الدولة. وفعلا قام امين بنظم قصائد مدح في بعض المسؤولين الا انهم عدلوا عن هذا المسلك نظرا لأن زميلهم خليل زينيه قد تيقن، بعد مجهود عنيف قام به لاصدار جريدة خاصة به، ان اصدار جريدة باسم رجل وطني أمر يكاد يكون في حكم المستحيل وان الطريق السليم الى تحقيق هذه الغاية هو اللجوء لرجل اجنبي.[2]

حاول نجيب ان يحصل على حماية دولة اجنبية فعين ترجمانا للقنصلية اليونانية بالاسماعيلية.[3] الا ان ذلك لم يخدم غرضه اولا: لبعده عن الاسكندرية، وثانيا: لان اليونان لم تكن،على حد قوله، من الدول المرهوبة الجانب في مصر. فأخذ يبحث عن حماية دولة اخرى الى ان تبين له ان المواطن الفرنسي قادر على اصدار أية جريدة في مصر دون الحصول ضرورة على اذن من الحكومة. ففرنسا لم تعترف بقانون

---

(١) البصير، العدد ١٤١٦٢
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه

المطبوعات الذى صدر في مصر عام ١٨٨٠[١]. وتعرف نجيب على صاحب مدرسة فرنسي اسمه (فالو) وأقنعه بأن يحصل على الامتياز باسمه بعد ان تعهد له بجميع المسؤوليات التي قد تترتب على الجريدة بما فيها النفقات او الخسائر او التعويضات[٢]. وبالفعل صدرت لسان العرب على اعتبار ان (فالو) هو صاحب الامتياز.

أما المال فكان أقوى العقبات التي واجهت هؤلاء الشبان. فقد خرجوا من الاهرام صفر الايدى. وعلى الرغم من ان اصدار جريدة ما عهدئذ لم يكن يقتضي رأس مال يذكر، فان جمع المال اللازم لمشروعهم قد استغرق عدّة شهور. ويزعم عبد اللطيف حمزه[٣] أن أديب اسحق[٤] قد اصدر صحيفة وليس معه آنذاك أكثر من عشرين فرنكا. وان عبد الله النديم[٥] أصدر مجلة وليس معه الا بضعة جنيهات. وان علي اليوسف[٦] أصدر جريدته وليس معه الا مائة جنيه.

ونعلم من المقالة الثانية[٧] ان نجيب الحداد قد استدان بعض المال من صديقه نقولا توما[٨]. وان عبده بدران قد حصل على بعض المال من "سليمان أباظه" و"سليم الصيداوى". واتفق أن اعطت الحكومة نجيبا آنئذ مبلغ عشرة جنيهات مكافأة له على قصيدة نظمها لترسم على محطة سكة الحديد. فتيسر لهم جمع مائتي جنيه كانت كافية لاصدار الجريدة. ونستدل من رسائل البصير ان نجيبا[٩] ورفيقه اشتروا المطبعة من اوروبا، وحصلوا

---

(١) انظر مواد هذا القانون في: الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي: ملحق رقم(١)
(٢) البصير، العدد ١٤١٦٢
(٣) عبد اللطيف حمزه، مستقبل الصحافة، (القاهرة: دار الحمامي للطباعة، ١٩٦١) ١: ٣١
(٤) انظر بشأنه: يوسف اسعد داغر، مصادر الدراسة الادبية، (بيروت: لا مط، ١٩٥٥) ٢: ١١١ـ ١١٤
(٥) انظر بشأنه: حمزه، أدب المقالة الصحفية في مصر، (ط ٢، القاهرة: دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، ١٩٥٨) ٢: ١٠٤ـ ١٩٤
(٦) انظر بشأنه: داغر، مصادر الدراسة الادبية: ٢: ٧٦٨ـ ٧٧٠
(٧) البصير، العدد ١٤١٦٢
(٨) انظر بشأنه: زخورا، مرآة العصر: ٣٩٤ـ ٤١٠
(٩) البصير، العدد ١٤١٦٢

على الحروف من محل "باخوص" بالاسكندرية، وحفر الشيخ ابراهيم اليازجي الاحرف اللازمة لاسم الجريدة، واختاروا مكانا لها في شارع الضابط، لكثرة ما كان حوله من التجار. ثم انتقلوا فيما بعد الى ميدان محمد علي المعروف حاليا بميدان التحرير. وابتاعوا بعض الكتب والروايات اللازمة ومنها: قاموس لاروس وتاج العروس واشتركوا في الديبا ومختصر التيمس(١).

وهكذا تغلب نجيب الحداد ورفيقاه على جميع العقبات التي كانت تقف في طريقهم. فوزعوا خلال شهر تموز من سنة ١٨٩٤ نشرات يعلنون فيها عن عزمهم على اصدار جريدة "لسان العرب" في اوائل شهر آب من تلك السنة(٢). وبالفعل صدرت الجريدة في الموعد المحدد.

---

(١) عدنا الى: (The History of the Times, Vol.II, (London: 1939) pp. 597-8)
بحثا عما سمي بمختصر التيمس فوجدنا:
أ- صدر مختصر للتيمس ولمدة خمسة عشر شهرا ابتداء من السادس والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨٨٣ ولغاية الحادي عشر من ايلول سنة ١٨٨٤
ب- صدرت التيمس الاسبوعية بين الخامس من كانون الثاني سنة ١٨٧٧ وحتى الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٥١
جـ- صدرت " The Evening Mail " سنة ١٧٨٩ وحتى ١٨٦٨. وتغير اسمها بعد ذلك فاصبحت " Mail " تصدر مرتين في الاسبوع اعتبارا من ٣٠ حزيران ١٨٦٨ وحتى ١٨٧١. ثم صارت تصدر ثلاث مرات منذ سنة ١٨٧١. وقد صنفت مع "The Times" منذ تلك السنة وحتى سنة ١٩٢٢
لا يعقل ان يكون نجيب ورفيقاه قد اشتركوا في مختصر التيمس لانها صدرت وتوقفت عن الصدور قبل اصدار جريدة لسان العرب وترجيحاتنا ان يكونوا قد اشتركوا في التيمس الاسبوعية او في " Mail " المشار اليها

(٢) اشارت الى ذلك جريدة المقطم في عددها ١٦٢٥ - سنة ١٨٩٤ فقالت " وقفنا على نشرة فحواها: " ان حضرات الادباء نجيب وامين الحداد وعبده بدران عزموا على اصدار جريدة يومية سياسية تجارية ادبية اسمها لسان العرب في اوائل شهر اغسطس القادم ينشرون فيها كل ما يهم القراء معرفته من الحوادث والتلغرافات والتجارة والمواضيع الادبية والمباحث الفكاهية ولا يسعون الى غاية او مأرب ولا يميلون في السياسة الى مذهب دون مذهب".

ونميل الى الاعتقاد، اعتمادا على ما نلمسه في رسائل البصير، [redacted] ان هـذه الجريدة لم تستلم مساعدة مالية من الدولة. وقد وقعنا على اشارة في احد اعدادها، تشير الى مثل ذلك، حيث جاء فيه "هي (لسان العرب) قائمة بمنشئيها واقلام اربابها، ليس لها جعل من دولة ولا مساعدة من حكومة... لا شيء من أمير ولا التفات من كبير.."(١). وقد ذكرت في عددها الاول انها مدينة بوجودها الى من مدّوا لها يد العون. ولعلّ في ذلك اشارة الـى المساعدات المالية التي قدمها كل من نقولا توما، وسليمان أباظه، وسليم الصيداوي. وجاء فـي العدد الاول "وقد انشأنا هذه الجريدة... وفي النفس رغبة داعية وفي القلم همة وانهة بمـا قرّبها من نوافل اولي الهمم واسعاف ذوي المروءة والكرم ولا نذكر اسماءهم اجابة لمنـادي نداءهم وتلبية لداعي نفوسهم وكتمان معروفهم وصاحب المعروف بالطاعة أحق".

٤. <u>تحريره في صحف أخرى:</u>

قصر نجيب الحداد انتاجه في السنوات الثلاث الاولى التي تلت اصداره لسان العرب على تلك الجريدة. ولكنه بدأ في سنة ١٨٩٨ يتخطى بانتاجه جريدة لسـان العرب الى مجلة انيس الجليس وجريدة السلام.

وذكرت بعض المراجع(٢) ان نجيبا قد اصدر جريدة السلام وهي جريدة يومية سياسية، بالاشتراك مع غالب طليمات. وهذا رأي يجانب الحقيقة. فقد عدنا الى جريـدة السلام ولم نعثر لنجيب على ما يوحي بأنه اشترك فعلا في اصدارها. ولكن من المرجح ان نجيبا قد اشترك في تحريرها دون ان يكون له اي التزام في اصدارها. وقد عثرنا له فيها على بعـض الاثار.(٣)

---

(١) جريدة لسان العرب، العدد ١٣٧، سنة ١٨٩٤
(٢) طرازي، تاريخ الصحافة العربية (بيروت: المطبعة الادبية، ١٩١٣) ٤: ٢٢٤؛ الغضبـان، الشيخ نجيب الحداد (القاهرة: مطابع دار المعارف، ١٩٥٧) ١٧؛ داغر، مصادر الدراسة الادبية: ٢: ٣٠١
(٣) انظر صفحة ٩٩ من هذا البحث

واشارت المراجع ايضا الى ان نجيبا قد عمل في تحرير مجلة أنيس الجليس. وهذا رأى صادق. فقد عمل نجيب بالفعل في تحرير هذه المجلة في اواخر أيامه وله فيهـا بعض الاثار (١).

ومجلة أنيس الجليس مجلة شهرية فكاهية نسائية اصدرتها السيدة الكسندرا افيرنيوه في ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٩٨(٢) وسرعان ما نالت هذه المجلّة ثقة القراء واعجابهم حتى قال فيها، نقولا سابا الانطاكي، صاحب مجلة التاريخ القومي، بانها فخر عظيم للشرق (٣) وكانت صاحبتها السيدة الكسندره ترى ما تعاني منه المرأة الشرقية من جهل، وتأخر، واهمال، فرأت ان تنشئ هذه المجلة لتكون في خدمة المرأة نضالا من أجل تثقيفها ومطالبة بحقوقها(٤). وبالفعل حملت المجلة هذه الرسالة قرابة العشر من السنوات، وانتشرت انتشارا ملحوظـا في جميع الاوساط فوصلت قصور الملوك والامراء، وعلية القوم، واحرزت صاحبتها جاها عريقـا، وشهرة ملحوظة في الميدان الصحفي وصار لها شأن كبير عند بعض السلاطين(٥).

---

(١) انظر صفحـة ٩٨ من هذا البحث
(٢) طرازي، تاريخ الصحافة العربية : ٤ : ٣٦٤
(٣) التاريخ القومي : عدد ١١ صفحة : ١٨٠
(٤) إخوراء، السوريون في مصر : ٢٣٥
(٥) يقول طرازي: "ففي سنة ١٩٠١ منحها مظفر الدين شاه ايران لقب "كوكب الشرق" وانشأ لاجلها وساما خاصا بالنساء اتحفها به مع رسمه موقعا بخطه. وفي تموز ١٩٠٣ شهـدت حفلة السلاملك الهمايوني بالاستانة فانعم عليها السلطان عبد الحميد بوسام الشفقة مـن الدرجة الاولى وهو مرصع بالحجارة الكريمة. ولما التأمت جمعية "السلم العام" سنة ١٩٠٠ في باريس انتدبت الكسندرا لتمثل سيدات مصر فيها. فأنشئت حينئذ لمصر راية سلام مخصوصـة جعلها تخفق بين رايات سائر الدول وكانت الاميرة فينيوسكا الايطالية رئيسة لتلك الجمعية. فتعرفت الكسندرا اليها وحظيت بصداقتها وثقتها ولم يكن للاميرة فينيوسكا اولاد يرثون عنهـا لقبها الشريف فاعلنت في وصيتها الاخيرة عن رغبتها في ان ينتقل لقب الامارة بعد وفاتها الى السيدة الكسندرا مع الحق بتسلسل هذا النعت الشريف في ذريتها من بعدها. وللامـيرة صاحبة انيس الجليس مآثر ادبية شتى. فانها عربت رواية "شقاء الامهات" ونظمت القصائـد البديعة في مواضيع مختلفة وطبعت ديوان الشيخ نجيب الحداد ومراثيه اعترافا بفضله علـى مجلتها... وطبعت على نفقتها ديوان شعر قرظها ناظمه الدكتور لويس صابونجـي".
تاريخ الصحافة العربية : ٤ : ٣٢٦ _ ٣٢٧

عمل نجيب في تحرير هذه المجلة كما اسلفت مدّة من الزمن. وليس لدينا من الحقائق ما يكشف النقاب عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط نجيبا بالسيدة الكسندرا . فهل علقها قلبه وارتبط بها برابطة عشق وهي التي كما قالت فيها المقطم[1] قد جمعت الى حسن الخلق توقد القريحة. أيكون حبه لها قد دفع به الى اهدائها ديوانه في قصيدة طويلة مثقلة بالغزل العف ![2] وحدا به الى التحرير في مجلتها ! وهل بادلته السيدة الكسندرا مثل هذا الشعور مما ساقها الى العناية الشديدة به وخاصة ايام اعتلاله ! وهل كان ترؤسها لجنة جمع التبرعات من اجل اقامة نصب تذكاري له **ناجماً** عن شغفها به ! أم كان نجيب يكن لها التقدير والاحترام خالصا من كل شائبة لما لمسه فيها من قوة الشخصية وحدة الذكاء؟ وكانت هي بدورها شاكرة له اسهامه في تحرير مجلتها، ومقدرة فيه طاقته الادبية التي لمستها في مختلف آثاره فاعتنت به مثل تلك العناية! اننا لا نرجح امرا على آخر ونود ان نترك الحكم في هذا الشأن معلقا لعله يصبح بمقدورنا الكشف عما يميط اللثام عن حقيقة الرابطة التي كانت قائمة بينهما. ويكفينا هنا اثارة هذه التساؤلات التي لا نملك الرد الجازم عليها حتى الآن.

٥. وفاتـــــه :

اصيب نجيب بداء الصدر، وتوفي في الساعة الحادية عشرة من ليلة ٨ شباط سنة ١٨٩٩[3] وله من العمر قرابة الاثنين والثلاثين ربيعا وقد سار موكب جنازته في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٩ شباط متجها الى كنيسة الروم الكاثوليك في الاسكندرية ودفن فيها[4]. وقد أبّنه في المدفن كل من خليل زينيه وفرح انطون[5].

---

(١) المقطم ، العدد ٢٦٩٧، سنة ١٨٩٨
(٢) اطلبها في : تذكار الصبا : ٣ ـ ٤
(٣) الاهرام ، العدد ٦٣٥١، سنة ١٨٩٩
(٤) انظر وصف موكب الجنازة في "التاريخ القومي" عدد فبراير سنة ١٨٩٨
(٥) السلام ، العدد ٢٣٩، سنة ١٨٩٩

وكان آخر ما نظمه قوله مؤرخا وفاته وقد شعر بدنو أجله :

ولّى النجيب فارخوا قبرا له　　قد مات مشتاقا الى لبنان[١]

وقد أرخ ضريحه خاله الشيخ ابراهيم اليازجي بقوله :[٢]

قد توارى النجيب في ظلّ لحد　　غاب فيه بدر الحجى والرشاد

بل ثوى فيه للبلاغة بحر　　بات يُسقى بصيبات الفؤاد

سار عنّا مخلفا اى ذكر　　راح يحيي ثناه في كل ناد

بين نثر كأنه قطع الرو　　ض ونظم كالدر في الاجياد

بكت الصحف بعده بدموع　　صبغ وجهها بذوب المداد

فأشار التاريخ فيها بنظم　　لاق بعد الحدّاد ثوب الحداد

وكان قد أرخ خاله وفاته باربعة ابيات أخرى قال في بيت التأريخ :

فصنعت بيتا من التأريخ قلت فيه　　قد مات بعد النجيب الشعر والادب[٣]

وأرخ عيسى اسكندر المعلوف وفاته بقصيدة قال في بيت التأريخ :

لسان العلم في تأريخه نح　　بشرخ الصبا قد مات النجيب[٤]

وقد كان لموته صدى قوي في مصر والبلاد العربية اذ نعته معظم الصحف والمجلات العربية ،واشادت بانتاجه الادبي.وقيلت في رثائه عدّة قصائد منها قصيدة انقولا

---

(١) الزهور ٣ : ٣٠٦، المعلوف، الغرر التاريخية : ٢ : ٢٤

(٢) اليازجي، العقد : ١٦٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) المعلوف، الغرر التاريخية : ٢ : ٢٦

رزق[١]، وثانية للشيخ مصطفى المنفلوطي[٢]، وثالثة لخليل مطران[٣]، ورابعة لخليل حنيكاتي[٤]. وقد عنيت جريدة المشير[٥] ومجلة انيس الجليس باكتتاب وطني لجمع مال يقام به تذكار على قبره[٦].

II ـ شخصيته :

ترك لنا طانيوس عبده[٧] صديق نجيب وقريبه وصفا له فقال " أما صفاته فهو ربعة القامة حنطي اللون كثير التصور حاد الذهن سمح البديهة حتى انه قد يرتجل القصيدة الطويلة على نفس لا يقطعه واذا اقترحت عليه الكتابة فهو يسبق جنانه اللسان ويعدو قلمه البنان. وهو طاهر القلب عف الضمير مهذب الاخلاق لطيف المحاضرة فصيح الكلام فاذا تكلم انصتت اليه الاسماع وشربت حديثه العذب كل الطباع "[٨].

---

(١) اطلبها في الهلال : ٧:٣٨١؛ التاريخ القومي، مجلد ١٨٩٩ جـ ٣: ٤٦ ـ ٤٧

(٢) اطلبها في الهلال : ٧:٣٤٩

(٣) اطلبها في الضياء: ١:٣٨٢؛ خليل مطران، ديوان الخليل (القاهرة : مطبعة دار الهلال، ١٩٤٩) ١:٧٩

(٤) اطلبها في التاريخ القومي ، مجلد ١٨٨٩ ، جـ ٣ :٤٨

(٥) انظر بشأنها : طرازي، تاريخ الصحافة العربية : ٤:٢١٨

(٦) الجامعة :١:١٢؛ المقتطف :٢٣:٢٣٩؛ انظر ايضا انيس الجليس: مجلد سنة ١٨٩٩: ٧٧ ـ ٧٨

(٧) انظر بشأنه : داغر : مصادر الدراسة الادبية : ٢:٥٩٣ ـ ٥٩٦

(٨) الحداد ، تذكار الصبا : ١١١

أما من حيث اخلاق نجيب فقد قال فيها زميله في الدراسة حنا سركيس ما يأتي "كان (نجيب) من أرق الاخلاق واطيبها وارضاها حسن العشرة، لطيف المحادثة يأخذ كلامه بمجامع القلوب وتتعشقه الاسماع فلا تمل له حديثا مهما طال . وكان محمود الصحبة لين الشكيمة جميل الصنع لم يسوء احدا قط بلسانه ولا قلمه ، ولذلك كان قليل الحسّاد والمناصبين على اشتهار فضله وعموم مدحه . الا انه كان قليل الرفقة بنفسه خشن الجانب على حواسه وجوارحه لا يرعى لجسمه صحة ولا يطلب لنفسه راحة على شدة احتياجه الى ذلك، مع ما فطر عليه من ضعف البنية وتسلط الداء. وكان لا يهمه شيء من اسباب السعادة في الدنيا ولا يبالي بشيء من نوازلها كثير الزهد في المال لا يهتم للعز ولا ينقل قدما لدرهم، ولم يكن ينال من اجرته الا أقل من حقه ... واذا عرفنا انه لم تكن له صلة دنيوية هان علينا ان نصدق انه لم تكن له سيئة لأن السيئات لا تصدر الا حيث المطامع "(١).

هذا ما قاله في نجيب صديقان له خبراه عن قرب على مقاعد الدراسة وفي معترك الحياة. وسنحاول ان نضيف الى ما تقدم انطباعات لنا لمسناها من خلال كتاباته .

لعلّ صفة التواضع ابرز صفات نجيب. فاذا انتقد الشعراء على تقصيراتهم وأخذ عليهم النظم في الاعراض الموروثة جعل نفسه "أقلهم مادة واقصرهم باعا ..." و"انه احق منهم بالتنبيه وأحق بالتماس العذر ... "(٢) وعندما طلب اليه خاله الشيخ ابراهيم اليازجي عقد مقارنة بين الشعر العربي والشعر الافرنجي قال في مقدمة تلك المقامة: "وهو لا شك مطلب عسير ونية بعيدة تقف دون غايتها سوابق الاقلام، وتحسر دون ادراكها بصائر الافهام ... مما استلزم علما وخبرة واسعة بجميع هذه اللغات ولكن لست في شيء من ذلك ولا انا في هذا

---

(١) الضياء : ١ :٣٧٢-٣٨٠؛ الحداد، تذكار الصبا : ١١٩

(٢) الاهرام ، العدد ٤٠٠٩ ، سنة ١٨٩١

البحث من حيث الفصاحة اللفظية والتراكيب اللغوية... "(١) وعندما وجه مقالته النقدية "تعريب الروايات" الى المترجمين قال: "ما ابرئ نفسي مما سأذكره فانما انا واحد في جملة اذا صحّ لي ان أدخل الى منتدى هذا المقام... "(٢) وعندما تحدث في مقالته "مجلس الشورى" عن ضرورة دعم الحكومة للفرق التمثيلية قال: "هذا ما سمح به الذهن الكليل.. "(٣) وقد استهل مقالته "نضرة عربية – رجع ما انقطع" بقوله: "أمهد العذر لنفسي ثم استميح المعذرة من اخواني الكتاب فانما أنا واياهم واحد في نسق بل أنا أعلم منهم بضعفي وقصوري والقاصر بالعذر أحق... "(٤) ولعلّ نجيبا في تواضعه سار على النهج نفسه الذي اختطه من قبله جدّه الشيخ ناصيف. فقد كان هذا معروفا بشدة تواضعه ودماثة خلقه. وما نجيب في ايراده للعبارات التي أشرنا اليها الا مكررا بشكل او بآخر لاقوال جدّه القائل في كتابه نار القرى: " انني جمعت ما في هذا الكتاب متنا وشرحا من فضلات اولئك الذين بنورهم اهتديت وبهداهم اقتديت"(٥) والذاكر في مقدمة مجمع البحرين "انني تطفلت على مقام أهل الادب من ايمة العرب بتلفيق أحاديث تقتصر من شبه مقاماتهم على اللقب... "(٦).

وقد تبين لنا ان نجيبا كان محبا للمسالمة على غير ضعف والوئام على غير انخفاض، والتسامح على غير مذلة. وقد انجلت هذه الصفة الطيبة في موقفه من الصحف التي هاجمته بلا رحمة، وانتقدته دون هوادة كالمؤيد والاهرام وغيرهما. فكان في كثير من ردوده على منتقديه

---

(١) البيان: ١:١٠٣

(٢) الاهرام، العدد ٤٧٥٩، سنة ١٨٩٣

(٣) الاهرام، العدد ٣٨٠٨، سنة ١٨٩٣

(٤) المصدر نفسه

(٥) ناصيف اليازجي، نار القرى في شرح جوف الفرا، (لا مط، لا ت) ٣٨٨

(٦) ناصيف اليازجي، مجمع البحرين، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٩٦١)

يستشهد ببيت الوليد بن يزيد ويتمثل به :

لا تلحقن الى الاساءة اختها   شر الاساءة ان تسيء معاودا

وتتبين هذه الصفة في شخص نجيب عندما نتحرى عن طبيعة العلاقات التي كانت تربطه بادارة جريدة الاهرام قبيل انفصاله عنها . فقد بعث برسالة الى صديقه عبده بدران على اثر ذلك يقول : "اما قولك خير لنا ان نخرج معزولين فذلك لا اوافقك فيه لأن عزلتنا يسبب كدرنا مع الجماعة (أى أصحاب الاهرام) ويحط من شأننا وهو ما لا نريد ، بل نريد ان نخرج شرفاء مختارين . . . "(١) ونعلم، من رسالة اخرى بعث بها الى عبده بدران ان المحامي نقولا توما، صديق نجيب الحيم، قد تعهّد بدفع مصاريف الدعوى ضد جريدة الاهرام لانها أقالت نجيبا بطريقة غير قانونية، ولكن نجيبا رفض ذلك العرض "حبا للمسالمة وابقاء للصلح ان لم يكن للود . . . . "(٢).

ومن صفات نجيب عزة النفس بما تستتبعه من رزانة، وجد ، ووقار . فانه لم يرق يوما ماء وجهه في سبيل تحقيق غاية او يتنازل عن كبريائه لتحقيق هدفه لدرجة أنه امتنع عن ارسال أى عدد من لسان العرب على اثر صدورها الى اصدقائه ومعارفه خوفا من "التثقيل عليهم فلا تسمح صداقتهم وادابهم بردّه "(٣).

واذا صحّ لنا ان نحكم على خلق الاديب من خلال كتاباته فان في نتاج نجيب الكثير مما يشهد بان الرجل كان حريا على الفحشاء لا يريد لاحد ان يهبط الى مهاوى الرذيلة، او يتدنى الى مستنقعات الفساد ، او ينغمس في مجالس السوء . وكان ثمرة هذا الموقف فيض من المقالات الاجتماعية نشرها في لسان العرب اليومية والاسبوعية .

---

(١) البصير ، العدد ١٤١٥٧

(٢) المصدر نفسه

(٣) لسان العرب ، العدد ٨٦١ ، سنة ١٨٩٧

وكان نجيب بالاضافة الى ذلك، حافظا لعهوده منفذا لالتزاماته ، شديد الوفاء لمعارفه . نلمس ذلك في عدّة مناسبات منها ما ورد في احدى رسائله الى عبده بدران. فقد ساور عبده الشك ان نجيبا واخاه أمينا قد يتخليانعنه بعد شيوع خبر عزمهم على ترك الاهرام، وفي هذا ما يحرج عبده سيما وان ابن خالته بشاره ، صاحب تلك الجريدة، قد رحّب به فيبيته وأسكنه معه(١) فأجابه نجيب برسالة تقطر الما اذ حزّ في نفسه مثل هذا الهاجس المريب لدى صديقه عبده بدران. ويتردد في تلك الرسالة جمل تعبر عن حزن نجيب وانفعاله كقوله "تنساني يميني اذا نسيتك وانا اقسم لك لو نزل المسيح ثانية واعطاني العالم كله ووعدني بالمنبر ما تغيرت... "(٢) وقد جاءت مقالته "وعود الكبار صغار الوعود "(٣) مصداقا لادعائنا. فقد هاجم فيها بعنف وقسوة من يقطعون على انفسهم الوعود والعهود دون ان ينفذوا منها شيئا.

والطموح الوثاب صفة بارزة من صفات نجيب. فحياته سلسلة من الكفاح المتواصل فانه لم يقف قط عن طرق ابواب الترقي والفلاح . فقد كان طموحا وهو على مقاعد الدراسة ، طموحا في عمله الصحفي حتى قيل انه وصل الى رئاسة تحرير الاهرام وله من العمر خمسة وعشرون عاما(٤). ولما رأى ان العمل في ظل الآخرين لا يحقق طموحه راح يجتهد لاصدار جريدة خاصة به . وما زال يدأب في ذلك حتى حقق امنيته . وعندما قهرته الظروف في أواخر حياته ، وبدأت جريدته تتعثر شارك في تحرير غيرها من الصحف والمجلات.

---

(١) البصير ، العدد ١٤١٧٤
(٢) المصدر نفسه
(٣) اطلبها في : نجيب الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد، (الاسكندرية : المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، ١٩٠٣) ٣٩ ـ ٤٢
(٤) البصير ، العدد ١٤١٧٤

وقد اقترن هذا الطموح في شخص نجيب بجلد ملحوظ. فعلى الرغم من ان حياته كانت قصيرة فقد حقق في غضونها ما لا يمكن تحقيقه بيسر. وكان انتاجه اغزر بكثير من سنوات حياته، مما استلفت انتباه مؤرخيه. فهذا حنا سركيس يقول: "لقد انتهى (انتاجه) قبل وفاته بشهرين ... وانني لا اعتده قد مات في الثالثة والثلاثين بل وانني لو جريت على القياس بين عمره وعمله لكان عمره بالقياس الى مبلغ ما كتب يتجاوز الخمسين والستين ...."(١).

وقصارى القول ان نجيبا قد جمع، كما شهد معارفه واصدقاؤه، وكما نستخلص من مقالاته العديدة ، جمع طائفة من الصفات المحمودة قربته الى قلوب الناس، معارف وقراء، وجعلته شخصية مرموقة سواء أكان ذلك في عالم الصحافة ، ام في حقل الادب .

III ثقافته :

أشرنا سابقا الى ان نجيب الحداد قد امضى السنتين ما بين ١٨٧٤ – ١٨٧٦ في مدرسة "الفرير" في الاسكندرية لينتقل بعدئذ الى مدرسة "الاميركان" ويقضي فيها قرابة ست سنوات ، وهي المدة الواقعة بين سنتي ١٨٧٦ – ١٨٨٢، وقد اختتم نجيب عهد دراسته بالسنة الدراسية ١٨٨٢–١٨٨٣ والتي قضاها في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك. ولم نتمكن من معرفة ما اذا كان نجيب قد اكمل المرحلة الثانوية أم لا . فأقدم سجل في المدرسة المذكورة يرقى الى سنة ١٨٨٣ وهي السنة التي تلت التحاق نجيب بتلك المدرسة . ولذلك لم نتمكن من معرفة الصف الذى وصل اليه. والذى نعلمه أن هذه المدرسة كانت قد حازت على ثقة الناس في لبنان وخارجه. فقد أمها ابناء كبار العائلات من سوريا وفلسطين ومصر وقبرص(٢) . وان ابناء الصدر الاعظم كانوا يوما في عداد

---

(١) الضياء، ١: ٣٧٧

(٢) عبد الرحمن سامي، سفر السلام في بلاد الشام، (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٨٩٢) ٨

طلابها[١]. وقد تتلمذ نجيب الحداد في هذه المدرسة على ايدى نخبة من المعلمين في طليعتهم خالاه ابراهيم وخليل اليازجي. فرضع منهما على حد تعبير لويس شيخو، "أفاويق الأدب"[٢]. وفي تتلمذ نجيب على خاليه كما قال عادل الغضبان "اختصار للزمن وعدول عن الجدول الى النبع الصافي"[٣].

وعبثا حاولنا ان نقف على الكتب التي كانت مقررة في المدرسة البطريركية. وجل ما استطعنا معرفته في هذا الصدد من سجلات المدرسة هو المواد التي كانت تعطى للصف المنتهي سنة ١٨٨٣، وهي السنة التي تلت خروج نجيب مباشرة من تلك المدرسة. ونرجح ان المواد نفسها كانت تدرس قبل هذا التاريخ وبعده[٤].

أما المواد فهي :

١) اللغة الفرنسية وفروعها كما يلي :

انشاء المراسلات. الصرف والنحو. الاعراب. الاملاء.

الترجمة. القراءة . الخط .

٢) اللغة العربية وفروعها كما يلي :

انشاء المراسلات. الاملاء. الترجمة. القراءة. اللفظ.

الاعراب البياني والمنطقي والغرامنطيقي . الصرف والنحو .

الاستظهار. البديع. العروض . البلاغة .

---

(١) عبد الرحمن سامي، سفر السلام في بلاد الشام، (القاهرة : مطبعة المقتطف، ١٨٩٢) ٨.

(٢) لويس شيخو، تاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر، (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨) ٢:١٤٢.

(٣) الغضبان، الشيخ نجيب الحداد : ٢٥

(٤) افادنا مدير المدرسة ان تغيير المناهج عملية بطيئة جدا بحيث يمكن الاطمئنان الى ان المواد المشار اليها كانت معتمدة في التدريس سنتئذ .

٣) العلوم وفروعها كما يلي :

التعاليم الدينية . الأدب . الطبيعة . الكيمياء . التاريخ .

الجغرافيا . الحساب . الجبر . الهندسة .

وهذا البرنامج المدرسي يوحي بأن الطالب كان يتمرس بشكل خاص، باللغتين العربية والافرنسية . فقد شغلت هاتان اللغتان القسم الاكبر من البرنامج . ولهذا نستطيع ان نرجح أن نجيب الحداد قد خرج من تلك المدرسة وقد امتلك ناصية اللغتين مما مكنه فيما بعد من أن يدرسهما في بعلبك، ويترجم من الفرنسية الى العربية الشيء الكثير .

ولم يكتف نجيب بما حصله على مقاعد الدراسة، فالاشارات الوافرة التي تطالعنا بها مقالاته ، وخاصة مترجماته ، والاثار العديدة التي نقلها الى العربية، تدل على ان مطالعاته الشخصية قد جالت به بعيدا في التراثين العربي والغربي .

أ- الثقافة العربية :

- ١ -

نستطيع ان نتلمس كفاءة نجيب الحداد اللغوية في الالغاز النحوية التي ركبها، او حلّ مغاليقها في بعض المجلات والصحف[١]. وها نحن نورد انموذجا من حلوله لاحد هذه الالغاز نتبين من خلاله مدى تعمقه في اللغة .

طرحت مجلة البيان هذا السؤال : أين تجتمع اربع كلمات لا يثبت فيها من اللفظ الا حرف واحد ؟[٢]

---

(١) انظر امثلة على ذلك في البيان : ١:١٤٧، ١٧٩، ٦٥٥، ٦٨٣، البيان : ١:٤٧٣

(٢) البيان : ١:٤٧٣

وقد أجاب نجيب على ذلك بما يلي :(١)

"جواب هذه المسألة في قول الشاعر وهو بيت النحاة المشهور

أبا خراشة اما انت ذا نفر   فان قومي لم تأكلهم الضبع

فان قوله "أما أنت" تقديره لان كنت وهي المراد بالكلمات الاربع التي لا يثبت منها في اللفظ الا حرف واحد . وذلك ان هذه العبارة مركبة من لام الجر وأن المصدرية وكان الناقصة والتاء التي هي اسمها فحذفت اللام على قياس حذفها قبل أنّ المصدرية ثم حذفت كان وعوض عنها ما فصارت "ان ما" ولما كان مخرج النون قريبا من مخرج الميم ابدل فيها ميم وأدغمت في الميم التي بعدها فصارت اما وحينئذ بقيت التاء من كنت وهي ضمير متصل لا ينقل بدون عامله فحذفت ايضا وجعل مكانها الضمير المنفصل الذى هو أنت فلم يبق من أحرف العبارة الاصلية الا الهمزة من أن" . وهذا التحليل لا يصدر الا عن شخص يمتلك حسا لغويا مرهفا، ويجد متعة خاصة في تصيد مثل هذه الدقائق .

ونستشف من حديث نجيب عن كتب اللغة انه كان على اطلاع عميق على امهات المصادر اللغوية . فهو يتحدث عن الفية ابن مالك، وارجوزة الكفراوى، والصبان، والاجروميه، وارجوزة اليازجي حديث المطلع المدقق . ونستشهد هنا على ذلك بقول نجيب عن الاجرومية "فهي وان كانت صغيرة فانها من افضل ما كتب في هذا الفن مع الايجاز المعجز الذى لا أظن أحدا يأتي باحسن منه في هذا الباب"(٢) .

وبالاضافة الى ذلك فقد نشر نجيب اسئلة لغوية عديدة في لسان العرب(٣)

---

(١) البيان : ١:٥٣٥

(٢) الاهرام ، العدد ٤٤٧٥، سنة ١٨٩٢

(٣) تجد امثلة على ذلك في الاعداد : ٤٦١، ٤٧١ ، سنة ١٨٩٦، ٨٦٩، سنة ١٨٩٧ .

وطلب من القراء الاجابة عنها • وقد جاءت هذه الاسئلة على غاية من التعقيد مما ينبيء ان نجيبا كان متمكنا من علوم اللغة •

وقد تبدى تضلع نجيب الحداد من اللغة في تلك المناقشة العنيفة التي دارت على صفحات لسان العرب بينه وبين الشيخ حسن مصطفى الازهري • فعندما نشر نجيب الحداد مقالته "أنباء الامس"(١) بيّن الشيخ ما تراءى له في تلك المقالة من هنات لغوية، واخذ على منشئها استعمال بعض الحروف والكلمات في غير موضعها(٢). فاذا بنجيب يفنّد رأي الناقد ويدعم ردّه بابيات استلها من الشعر العربي القديم، ويفحمه بآيات قرآنية لا يأتيها الخطأ لا من بين يديها ولا من خلفها •

وهكذا فان تتلمذ نجيب على خاليه اليازجيين فترة من الزمن وخوضه في تأليف الالغاز والمسائل اللغوية وحلها وجداله في القضايا الصرفية والنحوية وحديثه عن المصادر اللغوية كلها توحي بأنه بعيد الاطلاع في هذا الحقل •

ـ ٢ ـ

وكان نجيب مطّلعا على العديد من الاصول والمصادر العربية • فقد أتى على ذكر عدد منها في بعض مقالاته • وحديثه عنها يوحي بأنه قد عرف محتوياتها واستوعب مضمونها • ونكاد نجزم بأن نجيبا كان مطلعا بشكل خاص على الآثار العربية ذات المسحة اللغوية وخاصة المقامات • يقول مثلا عن مقامات الزمخشري "هي مقامات وعظ وارشاد وضعها الزمخشري رحمه الله في خطاب نفسه واودعها من ضروب الحكمة والارشاد وأساليب البلاغة والانشاء ما يجب على

---

(١) نشرت في لسان العرب ، العدد ٣١٩، سنة ١٨٩٥

(٢) انظر : لسان العرب ، العددين : ٣٢٠، ٣٢٩، سنة ١٨٩٥

المتأدب تلاوته ويحسن بالمترسل اقتناؤه ... "[١] وقال عنها ايضا "وهي مؤلفة من خمسين مقامة قصرها على الوعظ الرائق والحكم الباهرة في الكلم التي لا تصدر الا عن مثل الاستاذ ولا يتأتى بها الا من رزق سعة علمه واوتي ذكاء فؤاده وغزارة مادته ... جاءت حاوية من فوائد الدنيا والدين وآداب المواعظ ما هو جدير بالفائدة والامثال والاستحسان"[٢] وهذا قول يدفع على الاعتقاد بان نجيبا قد خبر مقامات الزمخشرى بالفعل.

ويتناول نجيب الهمذاني بحديثه فيقول: "الهمذاني من ائمة الترسل ورجال الفصاحة الذين مهدوا طريق الكتابة وأناروا سبيل الانشاء وخرج بصناعة القلم والترسل من مواطن البداوة والخشونة الى منازل الحضارة والزخرفة"[٣].

ويتحدث نجيب عن رسائل ابي العلاء حديث الخبير بمحتوياتها وأسلوبها، فيقول:[٤] "تجد اكثر رسائله ليس فيها من أغراضه الخصوصية بين اجابة على طلب أو وصف لحال الآ بضعة أسطر وما بقي فيها وهو يزيد على العشر صفحات في كل رسالة فمختص بفن من فنون العلم يخوض فيه ويتولى شرحه للمكتوب شرحا مستفيضا لا ينتهي فيه من باب حتى يدخل من باب فاذا عرض له ذكر العروض مثلا واراد الانتقاد او الاسهاب ذكر كل شيء وأحاط بكل شيء وأخذ في ايراد الشواهد وضرب الامثال والاستشهاد بشعر الجاهلية والمخضرمين والمولدين مما ينطبق على المعنى الذى هو فيه حتى يتم كل ما في نفسه منه ... "[٤]

---

(١) لسان العرب، العدد ٥٧٨، سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه، العدد ٢٨٤، سنة ١٨٩٥
(٣) المصدر نفسه، العدد ١٦٨، سنة ١٨٩٥
(٤) المصدر نفســه

ولا بدّ ان يكون نجيب قد اطلع ايضا على بعض انتاج ابن المقفع وابن خلدون وابن الاثير ، بدليل قوله في معرض ردّه على من يعتبر الاسلوب المرسل على غوبية تقصيرا من الكاتب عن الاجادة في الانشاء: "نرد هؤلاء القوم الى كتب البلاغة ورسائل المجيدين من كتاب العرب واستشهدنا لهم بابن المقفع في الدّرة اليتيمة وكليلة ودمنه وابن خلدون في مقدمته وتاريخه فانك لا تجد فيها لفظة غريبة ولا عبارة معقدة ولا تعبيرا غامضا ولا استعارة ولا كناية بل تراها كلها مرسلة سهلة متناسقة المعاني والالفاظ يظهر فيها المعنى الطويل من خلال اللفظ القصير كما ترتسم الديباجة على حدق العيون.. "(١) ويشير في مكان اخر الى هؤلاء الكتاب بقوله : " من أراد المثال على ذلك (أي على الاسلوب المرسل) رددته الى كتاب كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع والى مقدمة ابن خلدون ورسائل بديع الزمان وكتاب المثل السائر... فانك لا ترى فيها كلمة نافرة او لفظة غريبة بل تراها كلها أفرغت في قالب واحد من الابداع لا مزيد عليه ولا غاية بعده... "(٢) وهذا الوصف لا يصدر ارتجالا ، بل بعد تأمل ودراسة.

— ٣ —

واطلاع نجيب على الشعر العربي القديم أمر حاصل. فقد ذكر ان الشعر قد استهواه منذ الصبا وانه صرف وقتا مديدا في قراءة "دواوين العرب ونظم المجيدين من شعرائهم "(٣).

والظاهر ان نجيبا كان حسن الاطلاع على الشعر الجاهلي. فحين طرحت جريدة المقطم سؤال عبد الرحمن اسماعيل : هل في قصائد الجاهليين وأشعارهم ما يكفي للدلالة على

---

(١) الاهرام ، العدد ٤٦٥١، سنة ١٨٩٣
(٢) المصدر نفسه ، العدد ، ٣٨٠٨، سنة ١٨٩٣
(٣) البيان : ١:٣٠٠

معرفة حالهم وعلاقاتهم ودرجة تمدنهم، تصدّى نجيب للاجابة على هذا السؤال في مقالته "جاهلية العرب"(١). ساق نجيب في هذه المقالة عدّة شواهد تبين مدى ما كان للعرب في جاهليتهم من حضارة. وقد اعتمد في ايراد شواهده على ما وعته ذاكرته من المحفوظ حيث يقول: "(الشواهد) مما يسمح حاضر المحفوظ وبديه الروية" وفي هذا ما يشير الى المام الرجل بشعر الجاهلية وآدابها.

ولنجيب مقالة بعنوان "الشعر والتاريخ"(٢) وهي من حيث موضوعها تشبه، الى حد ما، مقالته "جاهلية العرب" المار ذكرها. وقد حاول فيها ان يتخذ من الشعر مصدرا لدراسة التاريخ. فساق شعرا يدلل فيه على ان العرب في صدر تمدنهم كانوا يستعملون الجلود بدلا من النقود في معاملات الشراء والبيع، وانهم كانوا يعرفون الزجاج ويشربون الخمر في كؤوس عليها صور الملوك والامراء وانهم كانوا يستعملون الرايات البيضاء.

ومما يزيدنا ثقة بالمام نجيب بأشعار القدماء وآدابهم هذا اليسر الملحوظ الذي يسوق به استشهاداته من آثارهم. فمقالاته تحفل بالاستشهادات الكثيرة، وأحيانا الغريبة، من شعر عنترة، وعمرو بن كلثوم، والنابغة الذبياني، وامرئ القيس، والمجنون، والعرجي، وأبي تمام، والمتنبي، وأبي نواس وغيرهم. كما اورد هو نفسه ما يفيد انه اطلع على عدد من دواوين الشعر القديم. يقول في معرض حديثه عن تكرار المعاني "ومن يتصفح ديوان العباس بن الأحنف وقيس عامر وكثّير عزّة ومن شاكلهم من فحول الشعراء رأى ان ليس لهم معنى غريب ولا اختراع جديد بل ما وجد الا وجدانات قلوب... في لفظ أنيق وتركيب بديع وكلام لين وقواف متينة وهو ما يسمونه بالسهل الممتنع..."(٣) وهذا حكم، على ما فيه

---

(١) اطلبها في لسان العرب، العدد ٥٧، سنة ١٨٩٤
(٢) اطلبها في الاهرام، العدد ٤٦٣٤، سنة ١٨٩٣
(٣) الاهرام، العدد ٤٠٠٩، سنة ١٨٩١

من تعميم، لا يصدر دون اطلاع ملحوظ. ولنجيب قول صريح (١) يشير فيه الى اطلاعه على ما في ديوان الحماسة من شعر العرب في الجاهلية وصدر الاسلام.

وأخيرا نعرض آراء نجيب الحداد في بعض الشعراء علّها تسعف في القاء ضوء على مطالعاته . يقول عن المتنبي: "اذ ما احسب شاعرا يعلو عليه قبله ولا بعده ولو ذهب بعض اعدائه وحسّاده غير هذا المذهب في تفضيل سواه "(٢) ويقول عن أبي تمام "هو الشاعر الذى يتمشى شعره بين السهل البديع والتعقيد المنهج ويزاوج بين العالي والسافل وهو آية في كليهما "(٣). ويقول عن المعرى: "مشهور بسلاسة الفاظه ورقة معانيه ونظره الى المتنبي في طريقته كما نظر اليه بعين شعره "(٤) ولا نظن ان نجيبا يصدر هذه الاحكام ارتجالا . بل نرجح انها صدرت عنه بعد اطلاع ودراسة.

— ٤ —

وقد ذكر نجيب في مقالته "نظرة في الشعر العربي" انه تصفح شعر الشعراء في عهده . فقد استشهد في بعض مقالاته بأبيات من شعر شوقي وله معه مراسلات شعرية(٥). ومن الطبيعي ان يكون نجيب قد اطلع على عطاء انسبائه الأدبي، النثرى منها والشعرى، فقرأ فيما قرأ من انتاجهم، ديوان والده "قلادة العصر" ودواوين جدّه الثلاثة : "ديوان ناصيف اليازجي" و"نفحة الريحان" و"ثالث القمرين" كما قرأ ديوان خاله خليل "نسمات الاوراق" وديوان خالته وردة "حديقة الورد" ومعظم اشعار خاله ابراهيم . وله مع خاله خليل مراسلات شعرية.(٦)

---

(١) البيان : ١:٣٦٣
(٢) الاهرام ، العدد ٤٤٧٥، سنة ١٨٩٢
(٣) المصدر نفسه
(٤) المصدر نفسه
(٥) انظر : الحداد، ديوان تذكار الصبا : ٧٩ ــ ٨٠
(٦) انظر : خليل اليازجي، ديوان نسمات الاوراق، (ط ٢، القاهرة: مطبعة المعارف علات) ٧٢، ١٥٣

ومما لا شك فيه ان العمل الصحفي قد نمّى ثقافة نجيب وأضاف اليها • فالخمس عشرة سنة التي قضاها في تدبيج المقالات، وترجمة الروايات، قد فعلت في اغناء هذه الثقافة وصقلها • فنجيب في حياته الصحفية لم يكن في معزل عن التيارات الصحفية العنيفة التي نشطت في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر • بل على العكس من هذا فقد كان صحفيا مشاركا في احداث قومه ، فاعلا في غربلة الافكار السياسية، والاجتماعية عهدئذ • وقد اقتضاه هذا نزاعا مريرا مع أئمة الصحافة ورجالات الفكر • فخرج من هذا المعترك صلب العود، جم العلم، وافر الخبرة •

ب - الثقافة الغربية :

لم ينحصر نجيب في نطاق الثقافة العربية بل تخطاها الى آفاق الثقافة الغربية شأنه في ذلك شأن العديد من الأدباء الذين عاصروه • وقد بدأ اطلاعه التدريجي على الثقافة الغربية منذ أن كان طالبا على مقاعد الدراسة • فنحن نعلم ان نجيبا درس في مدرسة "الفرير" في الاسكندرية حيث توجه عناية فائقة الى اللغة الافرنسية • ونعلم ايضا أنه انتقل الى مدرسة "الاميركان" فيما بعد • ومن المحتمل ان يكون نجيب قد تابع فيها دراسة اللغة الافرنسية اذ يعلمنا جرجي زيدان أن التلميذ كان يخير بين الفرنسية، والانجليزية، والالمانية فيتعلم منها اللغة التي يريدها •(١) وعندما انتقل الى المدرسة البطريركية في بيروت واصل تعلم الفرنسية اذ لم تكن تلك المدرسة تعلم غيرها من اللغات الاوروبية(٢). ومن مظاهر اهتمام هذه المدرسة بتلك اللغة انها كانت تحرص على تقديم مسرحية باللغة الفرنسية في نهاية كل عام دراسي(٣).

---

(١) زيدان، تاريخ آدب اللغة العربية : ٤ : ٢٦

(٢) اعلمنا مدير المدرسة أن الانجليزية لم تدخل ضمن مناهج التعليم في تلك المدرسة الا في مطلع العقد الثاني من القرن الحالي •

(٣) لا تزال ادارة المدرسة تحتفظ بنسخ مخطوطة من تلك المسرحيات

ويبدو ان معرفة نجيب للافرنسية قد نالت اعجاب معارفه واصحابه لدرجة ان الامير أمين ارسلان صاحب جريدة كشف النقاب قد بعث اليه بأكثر من رسالة يطلب فيهـا منه ترجمة بعض الكلمات والمصطلحات الى العربية. وقد قام نجيب بترجمـة الكلمـات والمصطلحات التي ارسلت اليه . ولاقت بعض الكلمات التي اقترحها قبولا بين الناس وأصبحت من الكلمات المستعملة في الحياة اليومية. ومن هذه الكلمات كلمة صحافة التي اقترحهـا ترجمة لكلمة " Journalisme "(١) وكانت الصحافة تعرف من قبل بالوقائع وغيرها من الاسماء(٢). كما نستدل على تمكن نجيب من اللغة الافرنسية انه اخذ على مصطفى كامل ما داخل معرفته للغة الفرنسية من ركاكة. يقول معلقا على خطاب ألقاه كامل بالفرنسية: " فقد وجدنا الفتى ركيك الالفاظ دخيلا في القاء اللغة الفرنسية بعيداً عن مناطق أربابها "(٣).

وكان الشيخ ابراهيم اليازجي على ثقة من تمكن نجيب من الفرنسية واطلاعه علـى الشعرين العربي والغربي. فطلب اليه ان يعقد مقارنة بينهما في مقالة لمجلة البيان. فنشر نجيب في المجلة المذكورة مقالة بعنوان "مقابلة بين الشعر العربي و الافرنجي "(٤) وفيهـا ما ينم عن اطلاع كاتبها على الشعر العربي وفهم عميق لطبيعته وصوره وأوزانـه .

وتمكن نجيب الحداد من اللغة الافرنسية اسعفه على مطالعة الكثير من نتاج أدباء فرنسا وما نقل من نتاج غيرهم الى اللغة الافرنسية. يقول "لقد قرأت كثيرا من شعر الفرنسيين وشعر غيرهم منقولا الى لغتهم كشعر اليونان والرومان والانكليز والألمان والطليان وكلهم من شعراء

---

(١) لسان العرب ، العدد ٣١١، سنة ١٨٩٥
(٢) فيليب طرازي، تاريخ الصحافة العربية، (بيروت ، المطبعة الأدبية، ١٩١٣) ١: ٦٠
(٣) لسان العرب ، العدد ٥١٠، سنة ١٨٩٦
(٤) اطلبها في البيان: ١: ٢٩٩ـ٣٠٤، ٣٣٥ـ ٣٣٩، ٣٦١ ـ ٣٦٧

الدنيا المعدودين الذين لم تترجم أقوالهم الى اللغة الفرنسية الا لشهرتها وابداع ناظمها مثل هوميروس، وفرجيل، ودانتي، وتاس، وشكسبير، وشيلر، وأمثالهم من أئمة الشعر الافرنجي "(١).

وكان نجيب دائم الاتصال بالصحافة الادبية ليكون على علم بما تنشره من مقالات ذات قيمة. وكثيرا ما كان ينقل الى العربية بعض هذه المقالات خاصة تلك التي تتسم بطابع الاصلاح الاجتماعي، او يتوفر فيها عنصر الفكاهة والتسلية. وهذا ما يفسر لنا الملاحظات التي اوردها في مقدمة بعض مقالاته كمثل أقواله : "وقد قرأنا في احدى الجرائد الاوروبية مقالة تحت عنوان ... "(٢) او "وقد رأينا أن نقتطف من أقوالهم (اى كتاب فرنسا)(٣) او "عثرنا في جريدة الفيغارو على مقالة للمسيو .... فأحببنا تعريبها للقراء "(٤) او "عثرنا في بعض الجرائد الفرنساوية على مقالة لاحد كتابها الادباء... فأحببنا تعريبها للقراء "(٥) او "عثرنا في احدى الصحف الفرنسوية على قصة موجزة لمحادثة أدبية المغزى فآثرنا تعريبها فكاهة للقراء الذين سئمت نفوسهم ولا شك من جد الحوادث السياسية وهزل الدول ... "(٦) او "قد رأينا ان ننقل للقراء قصة عثرنا عليها في احدى الجرائد الفرنسوية... "(٧).

ومن خلال ما طالعه من الشعر الفرنسي اعجب نجيب الحداد بشعر هيجو بشكل خاص. فما أتى على ذكر اسمه مرّة الا أردفه بصفات التجلّة والاكبار. وقد نقل بعض

---

(١) البيان : ١ : ٣٠٠
(٢) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٢٦
(٣) المصدر نفسه : ٣٧
(٤) المصدر نفسه : ٤٦
(٥) المصدر نفسه : ٤٦
(٦) الحداد : منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٧١
(٧) المصدر نفسه : ١٧٥

قصائده الى العربية منها : معركة واترلو ، وقصيدة الحرب ، ومعركة سيدان، وشهيدة الرقص[١].

ومن المؤكد ان نجيبا كان على علم جيد بانتاج كتّاب القصة الفرنسية. فقد سبق ان أشرنا الى ان نجيبا قد نقل الى العربية عشر قصص من تأليف اسكندر ديماس وبونسون دي ترايل ولا مارتين. كما أنه كان على معرفة أكيدة بانتاج اميل زولا . ونعتمد في هذا الجزم على ما أورده نجيب الحداد عن هذا الكاتب في احدى المقالات[٢] التي نشرها في لسان العرب الاسبوعية وقد جاء فيها قوله : "هو الكاتب الفرنساوى الشهير يراه بعضهم أبلغ كتاب فرنسا في قصته ورواياته ويراه بعضهم غير ذلك كثرة كتاباته وطول عباراته . فهو اذ أقبل يصف شيئا في كتاباته أجاد في وصفه حتى لا يدع من تفاصيله شيئا خفيا . ولكنه يجيد ايضا في املال القارئ حتى لا يدع في صدره ذرة من الصبر ولا موقعا للاحتمال، بل كثيرا ما سمعت الناس يقولون حاولنا ان نقرأ قصة زولا وألزمنا أنفسنا الصبر وفرضنا عليها الجلد والأناة فلم نقدر ان نبلغ آخر الكتاب... وما ندرى لعلّ الفرنساويين مالوا اليه وفضلوه على غيره بما رأوا في كتاباته من النسق الجديد الذى لم يألفوه في سواه ولكل جديد عندهم طلاوة. أو لعلهم أقبلوا على رواياته بما وجدوا فيها من تصوير الطبيعة أحيانا في الوصف الى ما يخرج عن حد اللياقة والادب ويبرز المعاني البذيئة باتيانه الفاظها دون مراعاة تجمل ولا تلطف في ايرادهما خلافا لما يفعل غيره من الكتاب الأدباء..."

ونعتقد ان اطلاع نجيب على انتاج كتاب المسرحية الفرنسية كان اطلاعا ضافيا . فقد نقل وعرّب قرابة الخمس عشرة مسرحية من أعمال كورني، وراسين، وفولتير ، ومولير، وهيجو.

---

(١) اطلبها في:الحداد ، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٣٠ ــ ٣٣، ٥٩ ــ ٦١، ٧٣ــ٧٥، ٨٨ ــ ٩٠ ، على التوالي

(٢) اطلبها في لسان العرب ، العدد ٢، سنة ١٨٩٨

وحديثه عن نتاج هؤلاء حديث الخبير العارف. فقد قال في معرض نقده لمعاصريه من مترجمي المسرحيات "لقد وجدت المعرب عندنا يأخذ الرواية الرنانة البديعة من اوضاع كورنيل وموليير وشكسبير فيعربها كما يريدها لا كما يجدها ويخرجها على ما يوافق طبعه وذوقه لا على وجهها الموضوعة فيه في الاصل ... فتأتي وقد ضاعت فرائد عباراتها تحت حجاب التصرف والتعريب"(١) وقال ايضا "البعض عندنا يأخذون الرواية من كورنيل وهو أبو المسرح الفرنساوى وقد تكون تلك الرواية من امهات رواياته وبدائع أوضاعه وبها اشتهر ليجعلوها ثلاثة فصول وهي خمسة كلها حسنات واعجاز فتخرج معه وقد ضاع معناها وانقلب موضوعها وذهبت محاسن اختراعها .... ومنهم من يأخذ الرواية من موليير الشاعر المضحك الفيلسوف وهي ثلاثة فصول بلغ بها آخر ما جاد به قلمه السيّال وفكرته النيّرة الوقادة في الموضوع الذى أراد فيجعلونها خمسة حبا بالاطالة والاسهاب ..."(٢) وهذا كلام يوحي بأن قائله كان على علم بمسرحيات الكتاب الذين تطرق الى الاشارة اليهم.

وقصاراه فان ثقافة نجيب الحداد كانت ذات شقين: احدهما عربي والآخر غربي. وقد حصّل هذه الثقافة تلميذا على مقاعد الدراسة وشابا في معترك الحياة.

---

(١) الاهرام، العدد ٤٧٥٩، سنة ١٨٩٣
(٢) المصدر نفسه

الفصـــــل الثالـــــث

نجيـــب الحـــداد - الصحفـــي

الفصـــــل الثالـــث

نجيب الحداد ـ الصحفـــي

I- مقالاته في جريدة الاهرام :

بيّنا في الفصل السابق ان نجيبا قد عمل في جريدة الاهرام فترة تقارب السنوات العشر. فقد التحق بها سنة ١٨٨٤ واستمر يعمل فيها حتى سنة ١٨٩٤. ومما لا شك فيه ان هذه الفترة من حياته كانت على غاية من الاهمية ، فقد صقلت فيها قدرته على الترجمة ، وعمقت فيها كفايته في الصحافة .

تراوح انتاج نجيب الحداد في جريدة الاهرام بين ترجمة الروايات ، وكتابـة المقالات . فقد عمدت الاهرام ، كغيرها من الصحف والمجلات في القرن الماضي ، الى نشر قصص في ذيول أعدادها ، كوسيلة لجذب القراء اليها من جهة ، وللترفيه عنهم من جهة اخرى . ويبدو ان نجيبا قد كرس معظم جهده اثناء عمله في الاهرام للترجمة . فقد تولى ترجمة ثلاثية اسكندر ديماس : "الفرسان الثلاثة" و "رجع ما انقطع" و "عود على بدء". (Les trois Mousquetaires, Vingt Ans après, Le Vicomte de Braglonne)

واستغرق نشرها الفترة الواقعة بين اول كانون الثاني سنة ١٨٨٨ والخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٩٣. وفي الوقت الذى كانت فيه مترجماته هذه تظهر في شبه انتظام ، فان مقالاته لم يكن لها ما كان لهذه المترجمات من الانتظام والوفرة . وقد وقعنا له في جريدة الاهرام على اثنتين وعشرين مقالة جاءت في شتى المواضيع والابحاث . وسنحاول فيما يلي ان نصف هذه المقالات بشكل عام ، مرجئين الخوض في تحليلها ، ودراستها ، الى الفصل التالـــي .

كتب نجيب في التأليف فقسم الكتابة الى قسمين: خاص وعام. وحصر الخاص في الرسائل التي يتبادلها الناس في الحياة اليومية. وجعل العام منها ما تنشره الصحف وتدونه الكتب وسائر المطبوعات الاخرى. كما تحدث عن طرق التعريب وشروطه ، مشيرا الى هفوات المترجمين في زمنه ، ومبينا انجح الوسائل للتخلص من عثرات الترجمة، وسقطاتها .وكتب عن النقد كموضوع هام فعّال في تطور الحضارة، ولفت الانتباه الى ان ابناء عصره قد ربطوا النقد بالاطراء او القدح ، متناسين رسالته الموضوعية. كما اهتم بشؤون التمثيل، فأشار الى قيمة هذا الفن، وذكر الاسباب التي جعلته دورئذ في وضع لا يستطيع معه خدمة الجمهور كما ينبغي، وحثّ الدولة على دعم القائمين عليه . كما انتقد الجرائد التي انحرفت عن رسالة الصحافة الصحيحة وسخرت بعض طاقاتها لتبيان النقائص الشخصية، والمثالب العائلية. وكتب ايضا عن الشعر فحدده ، وأشار الى دواعيه ، وأسبابه ، وبين مدى صلاحيته كمستند تاريخي . والتفت في بعض مقالاته الى تحرير المرأة وتبيان مركزها من المجتمع. وقد كانت هذه القضية الاجتماعية الهامة موضع اهتمامه ابان تحريره بالاهرام ولسان العرب فيما بعد . وخطّ القليل من المقالات في السياسة. ولكنه لم يستطع فيها ان يتخلص من الاسلوب الادبي ولا أن يتحرر من معالم الصنعة. وبالاضافة الى ذلك كلّه كان يتسقط الاحداث العامة ويتحدث عنها . فكتب مقالة بعنوان "مكتبة الثغر" اثر افتتاح المجلس البلدى مكتبه في الاسكندرية سنة ١٨٩٢، أشار فيها الى الدور الذى تلعبه المكتبات في ترقية الشعوب ، ودلّ فيها على ما حوته رفوف تلك المكتبة من ذخائر ، وأشار الى جهود القيّمين عليها للحصول على المزيد من المصنفات في اللغات الافرنجية. وكتب مقالة اخرى بعنوان "معرض الثغر" حين اقيم واحد في تلك المدينة سنة ١٨٩٤ وبيّن ما لمثل هذا المعرض من أثر فعّال في تشجيع الزارع والصانع والمخترع .

وعلى العموم، فان نجيبا في فترة عمله بالاهرام، كان أقرب الى الاديب المصلح، منه الى السياسي المحلل، والاخباري المدقق٠ فقد طغت النزعة الأدبية على انتاجه من حيث المضمون والشكل معا٠

وفي ما يلي ثبت في المقالات[1] التي نشرها نجيب في جريدة الاهرام مرتبة حسب ظهورها:

الرقم	عنوان المقال	العدد	التاريخ
١	نظرة عربية ـ رجع ما انقطع	٣٨٠٨	٣٠ آب ١٨٩٠
٢	نظرة في التعريب	٣٨٨٦	٢٩ تشرين الثاني ١٨٩٠
٣	نظرة في الشعر العربي	٤٠٠٩	٢٩ نيسان ١٨٩١
٤	دول اوروبا	٤٠٧٦	٢٢ تموز ١٨٩١
٥	الانتقاد	٤١٠١	٢٢ آب ١٨٩١
٦*	الجمهورية الفرنسية ليومي ٢١، ٢٢ سبتمبر	٤٤٣١	٢٩ أيلول ١٨٩٢
٧*	المرأة والرجل	٤٤٣٩	١٨ تشرين أول ١٨٩٢
٨*	الشرق والغرب	٤٤٦١	٣ تشرين الثاني ١٨٩٢
٩	الاشتراكية	٤٤٦٦	٩ تشرين الثاني ١٨٩٢
١٠	مكتبة الثغر	٤٤٧٥	١٩ تشرين الثاني ١٨٩٢
١١	الجرائد	٤٤٨٨	٥ كانون اول ١٨٩٢
١٢	حقوق النساء	٤٦٠٢	٢٨ نيسان ١٨٩٣
١٣	الشعر والتاريخ	٤٦٣٤	٥ حزيران ١٨٩٣
١٤	خير الكلام	٤٦٥١	٢٧ حزيران ١٨٩٣
١٥	تعريب الروايات	٤٧٥٩	٢ تشرين الثاني ١٨٩٣
١٦	التوحش والتمدن	٤٧٧٨	٢٤ تشرين الثاني ١٨٩٣
١٧	حق ضائع	٤٧٩٦	١٥ كانون الاول ١٨٩٣
١٨	مجلس الشورى	٤٨٠٨	٣٠ كانون الاول ١٨٩٣
١٩	معرض الثغر	٤٨٢٣	١٩ كانون الثاني ١٨٩٤
٢٠*	المرأة والعلم	٤٨٢٨	٢٥ كانون الثاني ١٨٩٤
٢١	الحكومة والتمثيل	٤٨٤٦	١٧ شباط ١٨٩٤
٢٢	معرض الاسكندرية	٤٨٧٥	٢٣ آذار ١٨٩٤

(١) المقالات المشار اليها بعلامة * نشرت في كتاب منتخبات الشيخ نجيب الحداد

II لجريدة لسان العرب :

ان ابرز عمل صحفي قام به نجيب الحداد هو اصداره جريدة لسان العرب. ولان هذه الصحيفة من اعماله فقد آثرنا ان نتحدث عنها ككل عوضا عن ان نقصر حديثنا على ما نشره فيها من مقالاته . ثم ان صحفيين آخرين هما امين الحداد وعبده بدران قد انضما اليه وشكل الثلاثة معا فئة تسير على نهج واحد وتصدر عن رأى مشترك، فكانت الجريدة كل فرد من هؤلاء الثلاثة ، وكانت ثلاثتهم مجتمعين في آن واحد .

صدرت لسان العرب في ١ آب سنة ١٨٩٤. ويبدو لمن يتتبع اتجاهات الصحف في مصر عهد ذاك انها كانت منقسمة الى جبهتين متصارعتين، تتزعم الاولى منهما جريدة "الاهرام" وترمى سياستها الى التشهير بالاحتلال وتدعو الى اجلاء الانجليز عن مصر. ومن جرائد هذه الجبهة "مرآة الشرق" لسليم عنخورى و "الزمان" لميخائيل عورا و "المؤيد" لعلي يوسف و"الاستاذ" لعبد الله النديم. وتقود الجبهة الثانية جريدة "المقطم" التي كان يمولها الاحتلال (١) وتهدف سياستها الى تبيان ما لحق بمصر من ازدهار في عهد المحتلين، والاشادة بما انجزه الانجليز من تقدم حضارى. ومن صحف هذه الجبهة "الجريدة المصرية" لجرجس ميخائيل و"النيل" لحسن حسنى و "الوطن" (٢) لمخائيل عبد السيد .

كان على لسان العرب ان تسير في احد ثلاثة اتجاهات ، اولها : ان تكون في عداد الجرائد الموالية للدولة العثمانية والفرنسية . وثانيها : ان تكون في عداد الصحف الموالية للانجليز ، وثالثها : ان تكون مستقلة تقول كلمتها منزهة عن اى تحيز. وقد حاولت لسان العرب ان تحدد موقفها من النزاع القائم بين الجبهتين منذ ان صدر عددها الاول اذ جاء فيه "لقد جعلنا الجريدة وقفا للحقيقة منذ نشأتها وخدمة للصدق والاعتدال،

(١) Martin Hartmann, The Arabic Press of Egypt (London: 1899)

(٢) للتوسع في الاتجاهات الصحفية في مصر انظر : ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية (ط ٣، القاهرة : المطبعة النموذجية ١٩٥١) ١٤٠ وما بعدها .

فلا تميل الى حزب، ولا تتشيع الى جانب او تنتقد شيئا من اى فريق ...."[١] وقد بدا لنا من مراجعه لسان العرب انها كانت في مطلع حياتها معتدلة ، الا انها تخلت عن هذه الخطة وبدأت تظهر تشيعا للانجليز، وتمدح منجزاتهم في مصر، وتثني عليهم كاصحاب علم ورسل حضاره.

* * *

كانت لجنة انشاء لسان العرب تتألف من نجيب وامين الحداد وعبده بدران. وكانت مهمته التحرير تقع، غالبا، عليهم . الا ان المتتبع لمقالات لسان العرب يجد ان عددا وافرا منها لم يكن بقلم واحد من هؤلاء الثلاثة .

احطنا في صفحات سابقة بحياة نجيب الحداد . ونود هنا ان نتحدث عن عضوى لجنة انشاء هذه الجريدة الاخرين وهما امين الحداد ، وعبده بدران .

١ . امين الحداد ،

ولد امين في بيروت في اواخر سنة ١٨٦٨[٢] ، ولا نعلم عن طفولته شيئا البتة ، ولكننا لا نستبعد ان يكون ارتحل مع اسرته الى مصر سنة ١٨٧٤، وعاد بعودتها الى لبنان سنة ١٨٨٢. كما اننا لا نعلم عن دراسته شيئا يذكر سوى ملاحظة اوردها صديقه حنا سركيس اذ قال : "ولم يقم (امين) في مدرسة كما يقيم سواه السنين الطوال بل كان البيت مدرسته. واى مدرسة تكون خيرا منه، ففيه رضع لبان العلم والادب ولم يفطم عنه حتى الموت"[٣] وتفيد بعض المصادر التي ذكرت شيئا عنه انه اقام سنة واحدة في الكلية الاميركانية في بيروت[٤] وانه تعلم فيها شيئا من الانجليزية[٥] _ وانه حوى لنفسه معرفة لقواعد

---

(١) انظر ايضا ما ورد في لسان العرب العدد ٤٠١ سنة ١٨٩٥

(٢) الحداد ، منتجات الشيخ امين الحداد : المقدمة ى، المعلوف، القرر التاريخية ٢: ٢٦ اما الزهور فحيلت سنة ولادته ١٨٧٠. انظر مجلد ٣: ٣٠٦

(٣) الحداد ، منتجات الشيخ امين الحداد : المقدمة : ى

(٤) المصدر السابق، المعلوف، القرر التاريخية ٢ عدنا الى سجلات الجامعة الاميركية والكلية العامة فلم تقع له فيها على اسم.

(٥) الكتاب التذكارى لجريدة البصير في عيدها الذهبي ، (الاسكندرية : اسرة البصير ، مطبعة البصير ١٩٤٨) ١٠٣

العربية وآدابها على ايدى خاليه اليازجيين [١] ويزعم عيسى المعلوف ان امينا " خذق شيئا من العلوم اثر عودته الى الاسكندرية "[٢] دون ان يبين لنا تفصيل ذلك.

استقدم نجيب آخاه امينا الى الاسكندرية بايعاز من سليم تقلا سنة ١٨٨٥[٣]. فاشتغل في جريدة الاهرام مشرفا على صف حروفها ورعاية ادواتها[٤]، وظل يمارس هذا العمل الى ان استقال في شهر حزيران سنة ١٨٩٤[٥] ليسهم في اصدار لسان العرب. وبقي عضوا نشيطا في لجنة انشائها الى ان توقفت عن الصدور. اذ ذاك استدعته السيدة الكسندره افرنيوه للعمل في مجلس انيس الجليس فتولى التحرير فيها. كما تولى تحرير جريدة البصير بعد ظهورها بقليل[٦]. وقد اقام على تحرير مجلة انيس الجليس قرابة السنوات العشر، يدفعه الى ذلك وفاؤه الشديد لصاحبتها لما صنعته مع اخيه نجيب ايام اعتلاله[٧]، وعلى تحرير جريدة البصير ثلاث عشرة سنة [٨].

والحدث الهام الذى مسح حياة امين بالتشاؤم هو موت اخيه نجيب. انه لم يفقد بموته اخا عزيزا فقط، بل صديقا ورفيقا ايضا، شاركه في حياته حلاوة النجاح ومرارة الاخفاق. واضحى امين من بعد زاهدا في كل مجد ادبي او مادى، وراح ينشر مقالاته دونما اكتراث

---

(١) الزهور، ٣: ٣٠٦
(٢) المعلوف، القرر التاريخية: ٢: ٢٧
(٣) البصير، العدد ٥٧: ١٤١
(٤) الكتاب التذكاري: ١٠٢
(٥) الكتاب التذكاري: ١٠٢. صدرت البصير في ١ ايلول سنة ١٨٩٧. (تاريخ الصحافة العربية: ٤: ٢٢٠)
(٦) الحداد، منتجات الشيخ امين الحداد: المقدمة: ع
(٧) الكتاب التذكاري: ١٠٢
(٨) البصير، العدد ٥٧: ١٤١

لتوقيع الكثير منها (١) . وصار شديد اليأس لا يرى الا عابسا وانقلبت حياته، على ما يبدو، الى صحيفة يكتبها وكأس يحتسيه (٢) . وتحول النجاح الذى حققه سابقا في تحرير لسان العرب الى اخفاق مرير (٣) . وتراءى له ان الخمره تضع حدا للآلام والاحزان التي كان يعاني منها، وانها تقضي على مكروب السل الرئوى وهو الداء الذى قضي فيه كل من اخويه نجيب ونسيب (٤) ، فظل يعاقرها حتى اعطبت كبده (٥) — عاد قبيل وفاته الى لبنان وتوفي في عين قنيه في ٦ آب سنة ١٩١٢ ودفن فيها (٦) .

٢ . عبده بدران :

ولد عبده بدران في وادى شحرور وهي احدى القرى اللبنانية ، سنة ١٨٦٧ (٧) ، وفيها تلقى دراسته الابتدائية . ثم هاجر الى الاسكندرية سنة ١٨٨٥ (٨) حيث التحق

---

(١) الحداد ، منتخبات الشيخ امين الحداد : المقدمة : ع
(٢) انظر ما اوردته بهذا الصدد مجلة الزهور : ٣: ٣٠٩
(٣) انظر طرفا من اخباره في هذه الرحلة من حياته في جريدة البصير، عدد ١٤١٨٦
(٤) الحداد ، منتخبات الشيخ امين الحداد : المقدمة : س
(٥) جاء في المشرق (١٦: ٧١٣) انه مات بداء التدرن الرئوى . ولا نعتقد بصحة ذلك، فصديقه حنا سركيس يخبرنا ان امينا مات من علة في الكبد . "منتخبات الشيخ امين الحداد : المقدمة م" وقد اجمعت المصادر التي ارخت له على صحة ذلك. انظر: سركيس: معجم المطبوعات: ٤: ٧٤٣، الكتاب التذكاري: ١٠٢، القرر التاريخية ٢: ٣١، البصير: العدد ١٤١٨٠.
(٦) الكتاب التذكارى : ١٠٢
(٧) المعلوف ، القرر التاريخية : ٢: ٤٢
(٨) البصير، العدد ١٤١٥٧

بابني خالته سليم وبشاره تقلا فاسند اليه وظيفة في مطبعة جريدتهم، وجعلاه فيما بعد، مديرا للمطبعة وشوءونها . وعين عبده على اثر وفاة سليم محصلا للجريدة في "الدقهليه" و "الشرقية" ولكنه ما لبث ان استقال من الاهرام في شهر ايار سنة ١٨٩٤، على ما ترجح [١]، ليوءسس مع نجيب وامين الحداد جريدة لسان العرب. ونعلم من الكتاب التذكارى لجريدة البصير [٢] ان عبده اسس، اثر توقف لسان العرب عن الصدور، "المطبعة المصرية" وانه ايضا، اصدر صحيفة "الصباح" الاسبوعية من سنة ١٩٠٠ وحتى سنة ١٩٠٦. ثم اعاد اصدار لسان العرب سلسبوعية بين سنتي ١٩٠٨، ١٩١١. وانه انصرف بعد ذلك عن الاشتغال بالصحافة والادب الى الخدمة في المحاكم المختلفة . ثم عاوده الحنين الى الصحافة مجددا فانضم الى التحرير في جريدة البصير. توفى عبده في ٩ شباط سنة ١٩٢٤ [٣] تاركا بعض الآثار الادبية [٤] .

وبالاضافة الى المحررين الرئيسين كانت لسان العرب تضم عددا من المحررين الذين لعبوا دورا ثانويا في تحريرها كسليم شمعون وامين ارسلان ونسيب فيليبيذس وسليم سركيس وعفيفه اظن وخليل غانم وطانيوس عبده وغيرهم .

* * *

لا نعلم على وجه الدقة الاسباب التي ارغمت الجريدة على التوقف عن الصدور ولكننا نرجح ان ذلك عائد الى العوامل التالية :

---

(١) انظر خبر استقالته في الاهرام عدد ٤٩٣١ الصادر بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٨٩٤.
(٢) ص ١٠٣
(٣) داغر، مصادر الدراسة الادبية : ١٧١ ــ ١٧٢
(٤) انظر المصدر السابق ١٧٢١، الكتاب التذكارى ١٠٣

اولا :

عدم قدرة اصحابها على تمويل الجريدة . فان صح ان مورد الجريدة المالي قد اقتصر على المبيعات، واجرة الاعلانات، فان ذلك المورد لم يكن كافيا ليؤمن لها حياة مديدة . فقد حدد اصحابها لها ثمنا زهيدا لكي تكون في متناول الجميع (١) . بينما كانت الاهرام مثلا تباع بعشرة مليمات كانت لسان العرب تباع بثلاثة . ويبدو ان الاشتراكات في تلك الجريدة لم تكن تدفع بانتظام . وهذا ما ارغم الجريدة على نشر الاعلانات المتكررة تطالب فيها المشتركين بتسديد قيمة اشتراكاتهم المستحقة . وزاد الامر تعقيدا ان القيمين عليها لم يحسنوا التصرف بالمدخول . فجريدة البصير تعلمنا ان نجيبا كان ينفق عن سعه (٢) . وحنا سركيس يخبرنا ان امينا لم يكن شديد الاكتراث بالامور المالية (٣) . فتضافرت هذه الامور وادت الى ضائعة مادية حالت دون استمرار صدور الجريدة .

ثانيا :

عدم ميل اصحابها الى الخوض في السياسة والتحلق حول السياسيين . فقد وجد القيمون عليها انفسهم، دون اراداتهم، منغمسين في معمعان السياسة . ونحن نعلم من اخلاق نجيب انه كان يعرض عن السياسة (٤) ، وان امينا كان كاخيه ايضا قليل الميل اليها . ولعل في ذلك ما دفع بهما الى ايقافها سياسيه، واصدارها بالقاهرة ادبية اجاعية ، آملين ان يكون سوق الادب في مدينة كالقاهرة اروج منه في الاسكندرية مما قد يضمن للجريدة خطا اوفر من النجاح .

(١) لسان العرب العدد ١ سنة ١٨٩٤
(٢) انظر البصير العدد ٤١٦٢
(٣) الحداد ، منتخبات الشيخ امين الحداد : المقدمة ع . انظر ايضا الزهور : ٣٠٦:٣
(٤) الحداد ، تذكار الصبا : ١٢١

* * *

لا نعلم على وجه التحديد متى توقفت لسان العرب عن الصدور في الاسكندرية فآخر عدد في مجموعة دار الكتب الوطنية بالقاهرة ، وهي المجموعة الوحيدة المتيسرة من لسان العرب على ما نعلم، هو العدد (١٠٠٤) الصادر بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٨٩٧(١) فهل هذا يعني انها توقفت من الصدور في هذا التاريخ ؟ ام هل تكون مجموعة لسان العرب في تلك الدار ناقصة ؟ والذى يدفعنا الى هذا التساؤل هو اننا لم نعثر في العدد الاخير من هذه المجموعة على ما يشير، من قريب او بعيد ، الى انها ستتوقف بعده عن الصدور. ولقد اقعدنا انعدام الوثائق عن ابداء رأى في هذا الصدد . ولذا فضلنا ان نترك الحكم في امر تحديد التاريخ الذى توقفت فيه لسان العرب اليومية عن الصدور معلقا .

* * *

استأنفت لسان العرب الصدور في القاهرة في ٦ آذار سنة ١٨٩٨. وقد طرأت عليها التعديلات التالية :

اولا : انحلت لجنة انشائها القديمة واصبح القيمان عليها نجيب الحداد منشئا، والياس زخورا (٢) مديرا .

ثانيا : صدرت اسبوعية في ايام الاحاد حتى عددها الثامن ثم في ايام الجمع في باقي اعدادها .

ثالثا : صدرت في قياس وحجم جديدين . فقد اصبح قياسها الجديد (٣٥×٥٣) سم بعد ان كان (٣٠×٦١) سم، وصار حجمها يتراوح بين الثماني والعشر صفحات بعد ان كان اربعا .

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ امين الحداد : المقدمة :
(٢) احد اقراء الجالية السورية في مصر. الف كتاب "السوريون في مصر" وكتاب "مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال في مصر" كما اصدر المجلة التجارية بالقاهرة سنة ١٩١٤م.

رابعا : صدر العدد الاول منها في القاهرة يحمل رقم (١) وكأنما انقطعت العلاقة تماما بين لسان العرب اليومية ولسان العرب الاسبوعية ٠

خامسا : كانت تلحق في ذيولها عندما كانت يومية اقسام من رواية مترجمة ، فصارت تلحق فيها بعد ان اصبحت اسبوعية ، اقسام من الرواية المترجمة على شكل يفصل وقد جمعت هذه الفصل والحقت بمجلد سنة ١٨٩٨٠

هذه هي التغيرات التي طرأت على لسان العرب والتي يمكن ملاحظتها من الوهلة الاولى ٠ وان نحن بحثنا في محتوياتها من الداخل تبدت لنا تغييرات اخرى ٠

يطالعنا العدد الاول بالاتجاهات الجديدة للجريدة فقد جاء فيه:"اردنا لها ان تكون جريدة جامعة اشتات الفكاهات والفوائد ، حاوية كل اسبوع اهم ما ورد من الاخبار في متفرقات الجرائد مهيان ما تصبو اليه الاسماع صادق الحوادث والانباء"٠ ويبدو للباحث في محتوياتها انها اصبحت جريدة ادبية تثقيفية فالمقالات السياسية منها قد انعدمت او كادت، لتحل محلها مقالات تعالج قضايا اجتماعية وادبية ٠

* * *

ونجد انفسنا مرة اخرى عاجزين عن تحديد تاريخ توقف لسان العرب الاسبوعية عن الصدور٠ فمجموعة دار الكتب في القاهرة تنتهي بالعدد الثالث عشر، الصادر بتاريخ ٣ يونيو سنة ١٨٩٨ ولم تتوفر لدينا فيه اية دلائل تشير الى ان هذا العدد هو آخر اعدادها ٠ وقد زعم صاحب التوقيع "صاد شين"، وهو الذى انتهت اليه الرسائل التي بعثت بها نجيب وامين الحداد الى صديقهما عبده بدران، ان لسان العرب ظلت تصدر حتى وفاة صاحبها (١) ولا نجد انفسنا ميالين الى الاخذ بهذا الزعم لعلمنا ان نجيبا مات مصدورا ٠ وهذا ما يبعد احتمال قيامه بعمل صحفي يتطلب تنفيذه جهدا لم يعد له قدرة عليه٠ اضف الى ذلك ان الاخذ بهذا الزعم يتضمن القول ان مجموعة لسان العرب في دار الكتب في القاهرة ناقصة

(١) البصير، العدد ١٤١٦٢

قرابة الاربعين عددا . وهذا احتمال ضعيف ايضا . فالدار التي سهرت على جمع لسان العرب يومية واسبوعية ، كما سهرت على جمع معظم اعداد الجرائد التي صدرت داخل مصر وخارجها ، يستبعد ان تتخلى فجأة عن هذه الخطة ، فتهمل جمع اعداد لسان العرب في الاشهر الستة الاخيرة من عمرها .

* * *

ذكر بعض مؤرخي نجيب المحدثين انه عاد فنقل لسان العرب الى الاسكندرية . هذا ما ذكره عيسى المعلوف في "الغرر التاريخية" في الاسرة اليازجية (١) ، والفيكونت دى طرازى في "تاريخ الصحافة العربية" (٢) وعادل الغضبان في "الشيخ نجيب الحداد" (٣) . ولم نقع على اية اشارة في المصادر القديمة تفيد ذلك . واذا كان هؤلاء المؤرخين قد استندوا على ما اورده جرجي زيدان في كتابه تراجم مشاهير الشرق ، وهو امر نرجحه ، فلا بد لنا من كلمة توضيحية في هذا الصدد . يقول زيدان : "ثم عاد (نجيب) الى الاسكندرية وتولى تحرير مجلة انيس الجليس وجريدة السلام فكان يحرر الجريدتين وجريدته" (٤) وهذا لا يعني البتة ان الجريدة قد انتقلت الى الاسكندرية بانتقال نجيب اليها . وغاية ما في الامر ان نجيبا نشر في احد اعداد لسان العرب الاسبوعية (٥) انه مضطر لاسباب صحية الى الانتقال من القاهرة الى الاسكندرية . وطلب ممن يودون الاتصال به ، ان يكاتبوه على عنوانه في الاسكندرية . ومن المرجح لدينا ، ان لم يكن من المؤكد ، ان نجيبا كان يشرف على تحرير جريدته القاهرية من منتجعه هناك . فنجيب على ما نظن لم يعاود اصدار الجريدة

---

(١) انظر ج : ٢، ص: ٢٨
(٢) ج : ٤ ص: ٢١٨
(٣) ص: ١٧
(٤) جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، (ط ٣، القاهرة : مطبعة الهلال ، ١٩٢٢) ٢ : ٢٩١
(٥) لسان العرب ، العدد ٨، سنة ١٨٩٨ .

ثانية في الاسكندرية كما زعم هؤلاء المؤرخين، والذى نعرفه ان الذى اعاد اصدارها ثانية في الاسكندرية هو عبده بدران (١) .

مقالاته في مجلة انيس الجليس وجريدة السلام :

استنفدت جريدة لسان العرب في سنواتها الثلاث الاولى جهود نجيب الحداد . فقد كان يزودها بمعظم مقالاتها الافتتاحية ، وينشر في ذيول اعدادها بعض الروايات المترجمة . اما في السنة الاخيرة من عمره فقد كان يحرر في كل من مجلة انيس الجليس وجريدة السلام .

نشر نجيب الحداد مقالة واحدة في مجلة انيس الجليس . وصدرت هذه المقالة تحت عنوان "خطرات افكار" في الجزء الثاني (٢) من السنة الاولى الصادر في ٢٨ شباط سنة ١٨٩٨ . وهذا يعني ان نجيبا كان يحرر في انيس الجليس في الوقت الذى كان لا يزال يصدر فيه لسان العرب الاسبوعية . وقد وقعنا في انيس الجليس على بعض المقالات والملاحظات غير الموقعة ، يوحي اسلوبها على انها قد تكون بقلم نجيب الحداد . فالنفس الذى عهدناه في آثاره سابقا ينتظم عددا من مقالات هذه المجلة .

ونشرت صاحبة انيس الجليس قصيدتين من نظم نجيب الحداد . الاولى قصيدة بعنوان "ذكرى الصبي" (٣) وتقع في ستة واربعين بيتا . وقد وطأت لهذه القصيدة بقولها : "هذه قصيدة عصرية آثرنا اثباتها دلالة على فضل ناظمها ، وفكاهة لحضرات القراء بنظمها

---

(١) اصدرها اسبوعية من سنة ١٩٠٨ حتى سنة ١٩١١ (الكتاب التذكاري لجريدة البصير: ١٠٣، تاريخ الصحافة العربية ٤: ٢١٨) نرجح ان صدور العدد الاول منها كان في الثلث الاخير من شهر تشرين الاول . ذلك ان اقدم عدد في مجموعة دار الكتب الوطنية في القاهرة هو العدد الثالث وقد صدر بتاريخ ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨ .

(٢) اطلقت صاحبة انيس الجليس على كل عدد من اعداد مجلتها كلمة جزء

(٣) اطلبها في انيس الجليس، مجلد سنة ١٨٩٨: ٤٩ـ٥٠

الجديد ... في هذا العصر الذى مل ابناؤه من اقتصار الشعر عندنا على المديح والرثاء".
اما الثانية فبعنوان "مرآة الحسناء"(١) وتقع في خمسين بيتا.

ونشرت صاحبة انيس الجليس بعض مقالات نجيب الحداد بعد موته. فقد عمدت الى اعادة نشر مقالات سبق ان نشرت في لسان العرب. اما هذه المقالات فهي "الغني الفقير"(٢) و"الخرب"(٣) و"ملجأ الفقراء"(٤). ولعل الدافع الذى حدا بالسيدة الكسندرا الى اعادة نشر هذه المقالات هو ما رأته من انسجام بين الموضوع الانساني الذى ينتظم هذه المقالات وبين رسالة مجلتها بوجه عام.

اما آثار نجيب الحداد في جريدة السلام فهي قصيدة، وقصة مترجمة ومقالتان.
ظهرت القصيدة، وهي في مدح العباس، في العدد الاول من الجريدة. واما القصة "فضيحة العشاق" فترجمة قصة L'Horoscope بقلم اسكندر ديماس الاب. واما المقالتان (٥) فرد على مقالتين (٦) للدكتور شبلي شميل.
وقد دارت المناقشة بينهما حول موضوع العقاب وعلاقته بالشر.

---

(١) اطلبها في انيس الجليس، مجلد سنة ١٨٩٨: ٢٨٦-٢٨٨

(٢) مجلد سنة ١٩٠٣: ١٣٥٢ وقد سبق ان نشرت في لسنان العرب العدد ١٣ سنة ١٨٩٨

(٣) مجلد سنة ١٩٠٣: ١٣٩٢ وقد سبق ان نشرت في لسان العرب العدد ٨٩٧ سنة ١٨٩٧.

(٤) مجلد سنة ١٩٠٣: ١٤٢١ وقد سبق ان نشرت في لسان العرب العدد ١٣١ سنة ١٨٩٥

(٥) السلام، العددان: ٦٥، ٧٦ سنة ١٨٩٨

(٦) البصير، العددان ٢٦٥، ٢٧٣ سنة ١٨٩٨

٧ -مضمون مقالاته الصحفية :

طرقت مقالات نجيب الحداد ، كغيرها من مقالات القرن الماضي شتى المواضيع. فقد جالت في الحقل السياسي ، وتناولت الوضع الاجتماعي بالنقد والبناء، ولمست قضايا الانسان في صراعه من اجل حياة افضل . كما حددت مفاهيم كاتبها لبعض الفنون الادبية . ونستطيع ان نقسم مضمون تلك المقالات الى ثلاثة : المضمون السياسي ، والمضمون الاجتماعي ، والمضمون الادبي . وسنفرد مكانا في هذا الفصل للحديث عن المضمونين الاولين ، ونغض الطرف هنا عن المضمون الثالث. والسبب في ذلك عائد الى ان هذا المضمون يتناول مفهوم نجيب للشعر ويتحدث عن مبدأه في الترجمة . ولما كنا قد افردنا فصلين مستقلين للحديث عن جهوده في هذين الحقلين رأينا ان نرجئ الخوض في هذا المضمون الى ان يحين الكلام عن نجيب شاعرا ومترجما ، وسنجعل من افكاره في هذين الحقلين توطئة لدراسة انتاجه فيهما .

نعتمد في دراسة مضامين مقالات نجيب الحداد الصحفية على مصدرين : اولهما مقالاته الموقعة في مختلف الصحف والمجلات. وثانيهما المقالات الافتتاحية في اعداد جريدة لسان العرب.

والاعتماد على مقالات لسان العرب يوقعنا في مأزق عسير. فنحن نعلم ان جل هذه المقالات غير موقع. وندرى ان لجنة انشاء تلك الجريدة كانت تتألف من نجيب وأمين الحداد وعبده بدران . فكيف السبيل ، والحالة هذه ، الى توزيع هذه المقالات غير الموقعة على ثلاثة من الكتاب دون ان تخطئ في نسبتها ، فنعرف ايها لنجيب وأيها لسواه.

كان علينا ان نجمع القرائن والأدلّة التي من شأنها ان تلقي ضوءا على هذا الموضوع. وتوصلنا الى شبه حل لهذه المعضلة. فاذا لم يكن هذا الحل صائبا كليا فهو في نظرنا، على الأقل، انجح وسيلة للخروج من هذا المأزق. لقد نشر نجيب الحداد عددا كبيرا من المقالات الموقعة في الاهرام، والضياء، والسلام، وأنيس الجليس. فصح لنا اعتمادها دون ان يساورنا ادنى قلق بشأنها. كما اعتمدنا المقالات الواردة في لسان العرب الاسبوعية لاعتقادنا انها من وضعه ايضا. فقد كانت مهمة التحرير منوطة بنجيب، ومسؤولية الادارة ملقاة على عاتق شريكه الياس زخورا. وزيادة في الحيطة عدنا الى كتابيّ زخورا "السوريون في مصر" و"مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر" للمقارنة بين اسلوبيهما وأسلوب المقالات التي وردت في لسان العرب الاسبوعية. فوجدنا بين الاسلوبين بونا شاسعا. أضف الى ذلك ان الاسلوب العام الذي ينتظم مقالات نجيب الموقعة هو الاسلوب الذي نتبينه بيسر في مقالات لسان العرب الاسبوعية. ونكون بذلك قد حصرنا المشكلة في افتتاحيات لسان العرب اليومية.

كان عبده بدران قد وقّع بعض الافتتاحيات فأسقطناها من حسابنا. ونميل الى الاعتقاد ان عبده كان مقلا في الكتابة. وأغلب الظن أنه انصرف عن التأليف، وحصر نشاطاته في أمور الطباعة والمطبعة. ونعلم من سيرته انه قد انيطت به اثناء السنوات العشر التي قضاها في جريدة الاهرام، مهمة الاشراف على الطباعة وادارة شؤون المطبعة. ولا بدّ ان يكون عبده قد انصرف الى العمل ذاته حين أسهم في اصدار لسان العرب. ونعلم من رسائل البصير ان عبده بدران قد تولى الاشراف على شراء مطبعة لسان العرب، واستئجار مكان مناسب للجريدة.(١) كما نعلم منها أيضا ان نجيبا وأمينا قد خبرا فيه القدرة على تسيير

---

(١) البصير : ١٤١٥٧

المعاملات وملاحقتها، والكفاءة في حسن التعامل مع الناس وتسوية الامور المعقدة بحكمة وروية، فوكلا اليه البت في كثير من المهام. ولذا فاننا نرجح ان اسهامه في كتابة هذه الافتتاحيات كان ضئيلا وربما لم يتجاوز المقالات القليلة التي نشرها موقعة.

كان حنا سركيس قد نشر منتخبات للشيخ أمين الحداد، ضمنها بعض مقالات أمين المنشورة في لسان العرب اليومية. هذه المقالات اسقطناها من حسابنا. وبذلك نكون قد حصرنا باقي مقالات لسان العرب في شخصي نجيب وأمين الحداد. وتخف المشكلة تعقيدا حين نعلم ان حنا نقاش، صديق نجيب، نشر له منتخبات تتألف من ثمانية وستين مقالا جمعها "من متفرق اعداد الصحف وشذور الاوراق"(1) ويساورنا مثل الاطمئنان الى ان هذه المقالات هي بالفعل من قلم نجيب. فقد كان الناشر على صلة بنجيب، وبالتالي على شيء من الالمام بنتاجه الصحفي. وهذا يقلل من الشك بامكانية نسبة شيء من هذه المنتخبات الى غير قلم نجيب: اضف الى ذلك ان هذه المنتخبات صدرت وأمين، شقيق نجيب، على قيد الحياة. ولا بدّ ان يكون الناشر قد عرض هذه المقالات على أمين او أعلمه بشأنها بطريقة أو باخرى. ولا نعتقد ان أمينا في هذه الحالة يتغاضى عن هفوة نشر مقالة غريبة في منتخبات أخيه. هذا فضلا عن قناعتنا الشخصية بان هذه المنتخبات هي بالفعل من نتاج نجيب لا غيره، وذلك لما ينتظمها من نفس نجيب الذى تمكنا من معرفة سماته نتيجة لتتبعنا المتأني لمقالاته الموقعة. وهكذا اعتمدنا ما طالعتنا به منتخبات نجيب الحداد مطمئنين. ونكون بذلك قد حصلنا على شبه توزيع واع لعدد من افتتاحيات لسان العرب، وبقي منها عدد

---

(1) الحداد، تذكار الصبا: ١٠٥

فاقد الهوية. والجزم في نسبته الى اى من أمين او نجيب أمر عسير[1]. ولكن هذا لا يسدّ علينا باب الترجيحات. فالمقالات الموقعة باسم نجيب الحداد في الصحف والمجلات تنم عن اسلوبه. وقد بدا لنا من مراجعتنا لمقالات لسان العرب اليومية ان السمات ذاتها تنتظم معظم مقالات هذه الجريدة. وهذا يشير الى ان نجيبا قد قام بالعبء الأكبر في تحرير هذه الافتتاحيات.

وتتضاءل المشكلة بشكل خاص عندما نعلم ان حديثنا في هذا الفصل يدور حول مضمون مقالات نجيب الحداد الصحفية. فالذي يبدو ان مضمون هذه المقالات متفق عليه ليس فقط بين نجيب واخيه أمين، بل بين أقطاب لسان العرب الثلاثة. وممّا لا شكّ فيه ان نجيبا كان المهيمن على المضمون وأنه كان يتبوّأ مكان القيادة في حياة الجريدة. فقد كانت لجنة الانشاء تطلق على نفسها اسم "شركة نجيب الحداد" دونما ذكر لاسمي أمين وعبده. وقد وصل الاتفاق بين الثلاثة الى درجة ملحوظة. فاذا ما وجه قارئ ما نقدا للسان العرب اعتبروه نقدا موجها اليهم كمجموعة لا كأفراد. وما اكثر ما تطالعنا لسان العرب بعبارات من مثل : "انتقدت جريدة ... ما ورد في لسان العرب وها هو أحدنا يرد عليها بقوله ..." او "ذهب احدنا لمقابلة فلان وعلم منه ما يلي ..." او "سبق لاحدنا أن أبدى رأيه في هذا الموضوع ..." .

بعد هذا العرض نسمح لأنفسنا ان ندرس مضامين المقالة الصحفية عند نجيب الحداد ونحن مطمئنين الى اننا لم نعتمد من المقالات ما لا يجوز ان ينسب اليه .

---

(١) تقول الزهور : اصبحت حياتهما (نجيب وأمين) مشتركة وهما يذكراننا بمعيشة الاخوين الشاعرين بطرس وتوما كورنيل اذ كانا ينظمان وهما في منزل واحد فينادى الواحد الثاني عندما تعصاه القافية "يا أخي أعرني قافية" مجلد : ٣ : ٣٠٨

I الضمون السياسي :

لا نعثر على مقالات سياسية لنجيب الحداد قبل سنة ١٨٩٤ وهي السنة التي ترك فيها جريدة الاهرام. ولكنه ما ان اصدر صحيفة لسان العرب في العام ذاته حتى بدأت المقالة السياسية تستأثر بشيء ملحوظ من مجهوده . وقد عالج فيها قضيتين رئيسيتين الاولى : تسلط الاتراك على البلاد العربية ومدى ما نجم عن ذلك من ظلم وجهل. والثانية: الاحتلال الانجليزى لمصر وامكانية جلائه عنها. ولنجيب في كلتا القضيتين موقف معين.

أ- موقفه من الدولة العثمانية:

نستطيع ان نقسم المقالات التي عالج فيها نجيب قضايا الدولة العثمانية الى فئتين : الفئة الاولى وتحدث فيها عن الاوضاع الشاذة في الدولة العثمانية مشيرا بوجه اجمالي الى تسلط الاتراك، وتدني روح المسؤولية عند الموظفين. وقد خص نجيب سوريا (١) بقسط كبير من مقالات هذه الفئة. والفئة الثانية: دعا فيها الى فصل الاقطار العربية عن كيان الدولة العثمانية والتئامها في وحدة جامعة.

ففي مقالات الفئة الاولى اشار الى ما آلت اليه دار الخلافة من انحراف وتسلط فلم يعد يرى فيها المرء الا "سجنا واسعا تلقى في زواياه اجسام الاحرار ومرتعا يانعا ترتع في جوانبه سوائم الجواسيس والاشرار. . . . "(٢)

وكان نجيب يلاحق اخبار التقتيل في الاستانة وغيرها من مدن الدولة العثمانية وقراها، مبينا مقدار الحيف الذى لحق بمئات الضحايا الذين لاقوا حتفهم دون ان يحاكموا

---

(١) المقصود بسوريا هنا سوريا الجغرافية التي تضم، فيما تضم، سوريا الحالية ولبنان.
(٢) لسان العرب، العدد ٧٠٩ سنة ١٨٩٦

محاكمة عادلة٠ ونود هنا ان نورد جزءا من تلك المقالة التي حبّرها نجيب على أثر مقتل خمسين رجلا من الاحرار في الاستانة سنة ١٨٩٥ دون محاكمة ولو صورية٠ قال : "هؤلاء قتلوا بأمر حكومة ذات نظام وشرائع مسنونة٠ وفي ذلك ما يدل على أحد أمرين : اما ان الحكومة قد بلغت من اليأس وضيق الحيلة الى حد افقدها الرشاد واما ان يكون قد بدر من هؤلاء التعساء شيء في حق السلطان، او هياج عليه في طلب الاصلاح فقتلوا على موجب الشريعة٠ فاذا كان الاول فهو العجز بعينه وذلك يقضي بمداخلة الدول في البلاد، واذا كان الثاني فهو الفوضى ونفور المحكوم من الحاكم .... "(١)

وقد تتبع نجيب اخبار الفتن والثورات التي حدثت في الدولة العثمانية محللا أسبابها وعارضا نتائجها ٠ فكتب عن ثورة الارمن سنة ١٨٩٤م وأطال في الحديث عما لحق بهم من مذابح٠ وعرض لثورة الدروز في حوران سنة ١٨٩٦ وحلل اسبابها وعرض نتائجها ٠ وتناول ثورة اليونان سنة ١٨٩٧ وبين دوافعها وتنبأ بمصيرها ٠ وقد اعتبر هذه الثورات التي اندلعت في قلب الدولة العثمانية واطرافها "جداول شر صغيرة اذا اجتمعت صارت بحرا من الويل والدمار يطغى على رأس الدولة ويعجز رجالها عن ايقافه "(٢)

***

وقد استأثرت سوريا بنصيب وافر من مقالات نجيب الحداد السياسية٠ ولا غرابة في ذلك فهي موطنه الاول فيها ولد وترعرع، وظل يكن لها الوفاء خالصا طوال حياته ٠ فكتب العديد من المقالات يصور فيها ما عاناه الأهلون من عنف وظلم، حتى ندر ان صدر عدد من

---

(١) لسان العرب، العدد ٣٧٢ سنة ١٨٩٥
(٢) المصدر نفسه

جريدته دون ان يحمل اخبار سوريا او ينطق بلسان أهليها · وتدور معظم المقالات التي حبّرها بشأن سوريا حول النقاط الرئيسة التالية: انعدام الامن، وارتفاع الضرائب ، وكبت الحرية الصحفية·

تحدث نجيب مطولا عن المخاوف التي عانى منها المواطن تحت سمع الحكومة وبصرها،وهي صادرة في اهمالها وتجاهلها، دون ان تأبه لحماية رعاياها او تعمل على بعث الطمأنينة في نفوسهم· قال نجيب في مقالته "الاحكام في سوريا "، "الكل موكول أمره الى رعاع سكانها يدعون الفتوة وينتحلون القوة، يسيرون في شوارعها وحاراتها ولهم مشية مخصوصة ولباس مميز ··· ولكل عصابة منهم رأس يأوون اليه ويصدرون عن رأيه ويسيرون كما يسير ولا يسأله احد لماذا··· فاذا جنهم الليل او كشفهم ضوء النهار وساروا في شوارع البلدة فرقا متفرقة مما عثروا باحد الا وسطوا عليه ولا لاحت لهم فرصة من حامل شيء الا حملوا عليه وسلبوه منه بعد ضرب اليم واهانة لا تطاق··· واذا اتفق لاحد ان قبضت عليه الشرطة وساقته الى مجلس القضاء فانه لا يلبث ان يدخل من باب حتى يخرج من باب وقد ارتضى القوم وارضوه وفاز بالغنيمة والاياب··· واذا تعذر على هذه العصائب ان تجد في طريقها ما يسد النهم، عمدوا الى منزل يعهدون به مالا ونزلوا على الدار نزول الصواعق، وهناك لا تجد صراخا يرحم ولا باغيا يندم ولا قويا يغيث ضعيفا، فالحارس شارك اللصوص وشاركوه وقاسمهم فأمنوه وسطا على الناس وساعدوه ···"(١)

وأشار نجيب في العديد من مقالاته الى تفشي الرشوة والمحسوبية بين الموظفين على اختلاف مراكزهم· كما ندد بارتفاع الضرائب ، وعاب على المسؤولين فرض الجديد منها

---

(١) لسان العرب، العدد ١١ سنة ١٨٩٤

كلما رأوا داعيا الى ذلك. وشكا باسم من طالهم الحيف ولحق بهم الظلم نتيجة لانهيار العدل في المحاكم السورية، . ولما رأى ان جباية الاموال من الأهلين قد وصلت الى درجة التسلط والقسر ، ندد بسوء تصرف الجباة، وغلظة قلوبهم، وخشونة معاملتهم. وحين وضعت الحكومة العراقيل امام المهاجرين شكا باسمهم، وصور ما يصادفونه من عذاب الضيق، وشدة القسوة ، وسفاهة الالفاظ. قال "فهي (تركيا) تذيق المهاجر مرارات الموت قبل ان يركب البحر وتصدر اوامرها السنية لمنع السورى من المهاجرة فيضطر ان يتمم مقصده بالطريقة غير القانونية من رشوة او فرار ثم لا يعود لعدم استتباب الامن في البلد وظلم الحكام لأهلية وعدم المساواة بينهم، والعذاب الذى يكون قد صادفه في ميناء بيروت "(١) .

ونشر نجيب مقالات هاجم فيها الدولة العثمانية لتضييقها الخناق على حرية الصحافة في سوريا. فكان أمر الصحافة موكولا ، على ما يبدو ، الى ترجمان الولاية حتى سنة ١٨٨٨ الا ان الحكومة نقلت هذه المسؤولية الى ما دعته "بمكتوبجي" الولاية. وقد حدث ذلك على أثر ما نشرته صحيفة لسان الحال بمناسبة تعيين رؤوف باشا واليا على بيروت . لقد بينت لسان الحال للوالي حاجات البلاد وابانت ضرورة العمل على الاصلاح . فكان ان عطلت لسان الحال بعد ذلك. وبدا الوالي يطلب الى صاحب اى جريدة ان يرسل اليه نسخة مطبوعة من كل عدد قبل نشره ليطالعه ويصادق عليه . وقد ترك لنا سليم سركيس مقالة بعنوان "المكتوبجي في بيروت" قال فيها : "يكتب محرر الجريدة المقالات والاخبار حتى تتهيأ نسخة الجريدة ... ويطبع منها ثلاث نسخ ترسل ممضاة من مديرها الى المكتوبجي وهذا لا يقرأها بذاته لأنه لا يعرف من العربية الا اسمها، فيرسلها الى احد موظفيه فيقرأها حرفا حرفا من اسم الجريدة الى اسم صاحبها، ويحذف منها ما لا يوافق على حسب ظنه ثم تعرض له بعض مقالات

---

(١) لسان العرب ، العدد ٢٣٦ سنة ١٨٩٥

لا يعلم اذا كان سعادة المكتوبجي يستصوب حذفها ام لا فيضع حولها علامة بحبر احمر ويعيد المسودة اليه . وهذا بدوره يحذف كل مقالة عليها اشارة... ثم تعود المسودة الى الادارة فيضطر المحرر ان يكتب مقالات اخرى تملأ الفراغ ثم تطبع ثلاث نسخ منها وتعاد الى المكتوبجي ... حتى لا يعود في الجريدة شيء مخل ..."(١) فكرس نجيب العديد من مقالاته للحديث عمّا كانت تعاني منه الصحافة السورية من تدخل السلطات في شأنها، فترغمها على حذف مقالات برمتها او أجزاء منها، وتجبرها على تمجيد حكام ليسوا اهلا لذلك. او تدفعهم على تحقير بعض الشخصيات لا لذنب اقترفوه ولكن لأن المسؤولين لم يلمسوا منهم الولاء والطاعة. وقد رأينا ان نجتزئ قسما من احدى مقالات الحداد لنعطي القارئ فكرة عن النقمة العنيفة التي كانت تتأجج في نفس كاتبها . جاء في مقالة له بعنوان "جرائد سوريا" قوله : "قل للجرائد السورية جميعا، فان الكل على حالها سواء، ان تهجر المحابر وتكسر الاقلام وتمزق الاوراق وتذري حروف مطابعها ذرى الهبا او تصهرها رصاصا ذائبا تشوى به وجوه الصحائف او تصبها نارا حامية على بنان كل كاتب يرى قلمه مقيدا بسلاسل ارباب المناصب والوظائف. بل قل للجرائد في تلك البلاد ان تجعل اوراقها اكفانا للحرية الذاهبة شهيدة التقييد والاستبدال في انحائها . ثم قف عليها نادبا بما بقي من عبرات مدادها على فقد الادب...."(٢)

وقد وجّه نجيب بعض مقالاته الى الحكام مبينا فيها ان مثل هذا الضغط لا يجديهم نفعا، لانهم، كما قال : "اذا قصدوا من وراء ذلك الحاق الأذى باصحاب الصحف تشفيا وانتقاما فان ذلك سيذهب هدرا، واذا قصدوا اخفاء الحقائق عن الشعب وموظفي الدولة كان ذلك عبثا لأن الحقيقة لا تخفى على أحد "(٣).

---

(١) لسان العرب، العدد ٣٧ سنة ١٨٩٤
(٢) المصدر نفسه، العدد ٩ سنة ١٨٩٤
(٣) المصدر نفسه، العدد ٥٣ سنة ١٨٩٤

واعتقد نجيب ان الامل في اجراء الاصلاحات الضرورية في البلاد معقود على شخص السلطان عبد الحميد · فدفعه اعتقاده هذا الى اتخاذ موقف ايجابي من السلطان منذ سنة ١٨٩٤ حتى سنة ١٨٩٥·

ساق نجيب في هذه الفترة المقالة تلو المقالة مشيرا الى مواطن الخلل في البلاد ، رافعا الى الباب العالي ظلامات الناس في مختلف قطاعاتهم · وكان يدفعه الى ذلك شوق حران الى الاصلاح ، وامل وطيد في ان يد السلطان ستمتد ، يوما، الى جراحات الامة لتضمدها ، والى مواطن الخلل لتستأصل منها شأفة الفساد · وكان من الطبيعي ان يكن نجيب للسلطان، وهذا رأيه فيه ، التجلة والاكبار، ويقرن اسمه بألفاظ التبجيل والتفخيم· كما أنه لم يتلكأ عن نظم الشعر في مدحه ،(١) ولم يتوان عن الرد على الصحف الاوروبية التي كانت تتهجم عليه · وها نحن نورد مقطعا من مقالة ردّ بها على صحيفة اوروبية أخذت على السلطان شرب الخمر· قال : "فالسلطان لم يأت بدعا جديدا ولا أمرا حديثا · ذلك اننا عهدنا خلفاء العرب من عهد الرشيد فما بعد كانوا يشربون الخمر ويسكرون مع الندمان · وفي اخبارهم المنقولة وأحاديثهم المأثورة ومدائح شعرائهم المشاهير اكبر دلالة على صحة ذلك التاريخ · هذا مع ان الخلافة كانت في ابان قوتها وصلابة اعتقادها، وزهد خلفائها · · · "(٢).

ولما ايقن نجيب باعراض السلطان عن مجرد التفكير في اجراء الاصلاحات في البلاد بدأ يتخذ منه موقفا سلبيا، وظلّ أمينا لهذا الموقف حتى نهاية حياته · وقد اتسمت مقالاته في هذه الفترة، اي بعد سنة ١٨٩٥، بالتهجم المباشر على شخص السلطان، مبيّنة مثالبه ، مشيرة الى اهماله شؤون الدولة، مدللة على دعمه لاجراءات التعسف الجائرة ضد

---

(١) لسان العرب ، العدد ٣٥١ سنة ١٨٩٥
(٢) المصدر نفسه ، العدد ٤١٣ سنة ١٨٩٥

المطالبين بالاصلاح ، مذكرة اياه بنهاية الظالمين والمتسلطين كأسلافه من سلاطين آل عثمان، وشارل الاول،ولويس السادس عشر ، ونابليون٠ وقد عقد نجيب في مقالته "مصير الدولة"(١) مقارنة بين المظالم التي جرت في زمن عبد الحميد والمظالم التي جرت في أيام الطغاة عبر التاريخ فوجد ظلم عبد الحميد متجاوزا سواه بشكل لا مجال معه للمقارنة٠ وقد أشار في تلك المقالة الى ان الدولة في عهد عبد الحميد فقدت، نتيجة لظلمه ، وتعنته ، وقصر نظره ، أكثر ممتلكاتها٠ والفت الى ما وقع في زمنه بالارمن من تقتيل، وبالصحافة من كبت٠ كما اشار الى ما ارتفع اليه عدد الجواسيس وما لحق بالحرية من اجهاض،حينما القى بالاحرار الى أعماق البسفور٠

ولم يكتف نجيب بكشف النقاب عن امثال تلك الظلامات بل تخطى ذلك الى التحريض الصريح لتقويض دعائم العرش العثماني٠ قال : "فاذا هبّ العالم في سوريا يطلب دماء القتلى ومجازاة قاتليهم مما نجم عنه احتلال فرنسا لتلك البلاد ، واذا نجم عن مذبحة الاسكندرية التي قتل فيها نحو مئتي نفس احتلال بريطانيا لها، وان ثارت المدنية على الهمجية لتوقف تجارة الزنوج ، فعلام لا يثور العالم لخلع السلطان الذى قتل في زمنه خمسة آلاف دفعة واحدة؟ "(٢)

ولما أدرك اليأس نجيبا من عدم اصغاء السلطات لنداءات المصلحين، ورأى ما آلت اليه الدولة من فساد، تبين له ان الاصلاح غاية لا تدرك٠ فعدد في مقالته "ماذا يفيد البعيد "(٣) العوامل التي وقفت حائلا دون اجراء اى اصلاح في البلاد ٠ وجعل في

---

(١) لسان العرب ، عدد ٤٦٣ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٣٧٣ سنة ١٨٩٥
(٣) المصدر نفسه ، عدد ٤٠٥ سنة ١٨٩٥

مقدمة هذه الاسباب حالة السلطان نفسه وحالة وزرائه أيضا٠ فبدا لنجيب ان هؤلاء جميعا أشد الناس حاجة الى الاصلاح لما داخل ضمائرهم وحياتهم من فساد ٠ وجعل من هذه الاسباب القتل الذى مني به عدد من المصلحين سواء أكان ذلك في ظلمة السجون، او في أعماق البسفور ، او على أعواد المشانق٠

السلطان اذن مخيب للآمال والحكام ماضون في سوم الناس كل أنواع العسف والظلم، والمصلحون منثورون في مختلف البقاع يتجنبون الطاغوت التركي٠ فالام انتهى نجيب في موقفه من مجريات الامور في عصره ؟ وما هي الحلول التي تراءت له للخروج من ذلك الديجور ؟ هذا ما سنتبينه سريعا في الفئة الثانية من مقالاته ٠

***

برزت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر بعض التيارات السياسية الرامية الى انقاذ البلاد مما وصلت اليه من ضعف واستسلام٠ وسنقصر حديثنا هنا على ذكر أهم هذه التيارات واوضحها دون الخوض في التفاصيل، خوفا من الاستطراد، وتحاشيا جرّ هذه الدراسة الى مسائل جانبية٠ ونحن اذ نشير الى أهم هذه التيارات لا نقصد البتة القول بأنها كانت مستقلة بعضها عن بعض تمام الاستقلال، مختلفة بعضها عن بعض كل الاختلاف٠ فقد كانت الى حد بعيد متفقة في بعض المبادئ، متشابهة في طائفة من المواقف٠ أما أهم التيارات فهي :

أولا :(١)

تيار يدعو الى قيام جامعة اسلامية تقف أمام المد الاوروبي٠ وزعيم هذا التيار هو

---

(١) للتوسع راجع:
- Albert Hourani, Arabic thought in the Liberal Age (Oxford University Press, 1967) 103 -161
- Charles Adams, Islam and Modernism in Egypt, (London, Oxford University Press, 1933) 4-17
- العروة الوثقى (ط ٢ :القاهرة، نشر دار العرب، ١٩٥٨) ٩-٢٢، ٣٠-٣٥، ٦٧-٨٠ ، واماكن اخرى
- جمال الدين الافغاني الرد على الدهريين (القاهرة :نشر محمد فؤاد منقاره الطرابلسي، ١٩٤٧) ٨٤ - ٩٤
- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (القاهرة :مطبعة المنار، ١٩٣١) ج ١ : ٧٣-٧٩
- قدرى القلعجي، ثلاثة من اعلام الحرية (بيروت:لا مط ، دار الكاتب العربي، لا ت) ٥٣-١٢٤

جمال الدين الافغاني (١٨٣٩ـ١٨٩٧)٠ وقد قامت دعوته على اساسين:

أ ـ اصلاح حال المسلمين عن طريق العودة الى قواعد الدين والاخذ باحكامه ٠

ب ـ تحرير الشرق من سيطرة الغرب عن طريق جامعة اسلامية شرقية تكفل لشعوب الشرق المسلمة استقلالها وتضمن لها حريتها ٠ ويقوم على رأس هذه الوحدة خليفة فاضل يستند في احكامه على مستشارين من العلماء ٠ وقد امتدت تعاليم هذا التيار في تعاليم التلاميذة الذين انتظموا في حلقات الافغاني او رافقوه في تجواله ، بعد ان طرأ عليها بعض التغييرات التي فرضتها المفارقات الشخصية ٠

ثانيـا :(١)

تيار يدعو الى قيام جامعة اسلامية تحت أمرة خليفة عربي ٠ والقائم على رأس هذا التيار عبد الرحمن الكواكبي ٠ فقد بدا له ان العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الشعـوب الاسلامية٠ وقد ميّز الكواكبي في تعاليمه بين العرب والامم الاسلامية الاخرى، وتيقن من أن للعرب حقا دينيا مشروعا في حصر الخلافة فيهم ٠ فراح يدعو الى الغاء حق السلطان العثماني في الخلافة وتنصيب خليفة عربي مكانه ٠

ثالثـا :(٢)

تيار يدين بالولاء الى الباب العالي ويدعو الى اعتماد الاسلام دينا ودستورا ٠

---

(١) للتوسع راجع :

ـ عبد الرحمن الكواكبي، أم القرى، (طبع على نفقة محمود طاهر) ٥ـ١٤، ١١٠ـ١٢٠ ، ١٥٥ـ١٥٨٠

ـ Hourani, Arabic thought in the liberal age:271-273

ـ علي حسني الخربوطلي، غروب الخلافة الاسلامية (نشر مؤسسة المطبوعات الحديثة، مطبعة التقدم، لا ت) ١٩١ـ١٩٤٠

ـ محمد بديع شريف ورفيقاه، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة (القاهرة: مطبعة الرسالة، لا ت) ٥٥ـ٦٥

(٢) للتوسع انظر : Hourani, Arabic thought in the liberal Age: 199-208

وقد انعكس هذا التيار في خطب العرابيين ومخططاتهم • فقد كان عرابي وصحبه مرتبطين بالسلطة العثمانية، ومنادين بالولاء للباب العالي •(١) ويعتبر مصطفى كامل، من زعماء هذا التيار• فقد كتب يقول "ان واجب المسلمين ان يلتفوا أجمعين حول راية الخلافة الاسلامية المقدسة وان يعززوها بالاموال والارواح ، ففي حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم، وفي بقاء مجدها رفعتهم ورفعة العقيدة الاسلامية المقدسة"(٢)، واورد محمد فريد صديق كامل ومؤيده ، في مقدمة كتابه "تاريخ الدولة العثمانية قوله : "ان العناية الصمدانية تداركتهم (المسلمين) بلم الشعث، ورمّ الرث ورتق الفتق، ورقع الخرق، فاضاءت الافق الاسلامي بظهور النور العثماني وأمدته بالنصر اللدني والعون الرّباني • فقامت الدولة العلية بحياطة هذا الدين وحماية الشرقين"(٣) وقد امتدّ هذا التيار الى بعض قادة الفكر في القرن العشرين •

رابعـا :(٤)

تيار يدعو الى قيام جامعة عثمانية دون التقيد بأحكام الشريعة الاسلامية في الامور

---

(١) احمد عرابي، كشف الستار عن سر الاسرار (القاهرة : مطبعة مصر ، لات) جـ ١ : ٢٥٤
(٢) مصطفى كامل، المسألة الشرقية (ط ١ ، القاهرة : مطبعة الاداب ، ١٨٩٨) ٢٣
(٣) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، (ط ٢، القاهرة : مطبعة محمد مصطفى، ١٨٩٦)
(٤) للتوسع انظـر : Hourani, Arabic thought in the liberal Age: 245-259
ـ روز حداد ، فرح انطون حياته وتأبينه ومختاراته (القاهرة، ١٩٢٣) ١٠ ـ ٢٨
ـ احمد ابو الخضر منسى، فرح انطون (القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٣)
ـ مارون عبود ، جدد وقدماء، (بيروت : دار الثقافة، ١٩٥٤) ١٧ ـ ٦٤
ـ مجلة الجامعة في مختلف اجزائها وخاصة مجلد ١ (١٨٩٩) جـ ١ : المقدمة ، ٧، جـ ٣ : ٣٤ ـ ٣٥، جـ ٩ : ٥٣ ـ ٥٤

المدنية. ويحث هذا التيار على مسايرة ركب الحضارة الغربية والاستفادة من معطياتها والاطلاع على نتاج مفكريها وشريطة ألا يؤدي ذلك الى الذوبان في هذه الحضارة. ومن أعلام هذا التيار فرح أنطون.

خامسا :

تيار يدعو الى قيام وحدة تجمع الشعوب الناطقة باللغة العربية مع صرف النظر عن أديان هذه الشعوب ومعتقداتها. ومن رواد هذا التيار الشيخ نجيب الحداد.

كان لنجيب الحداد موقف معين من التيارات السابقة الذكر. والدعوة للجامعة الاسلامية سواء أكانت على منهج الافغاني او على طريقة الكواكبي، بالنسبة اليه، خاطئة في صميمها. وقد حاول تبيان هذا الخطأ في بعض المقالات(١) التي نجملها في النقاط الرئيسية التالية:

١) الدين، في نظر الحداد، صلة بين الانسان وخالقه. ومن خلال هذه الصلة يتبين المرء مشيئة الله في حياته، ويحاول السير وفقا لها.

٢) أخطأ الشرق حين جعل الرابطة الدينية تقوم بين الانسان وأخيه الانسان جاعلا اياها، على حد قوله، "شركة" تتألف من أفراد.

٣) جلب الشرق على نفسه، نتيجة لهذا الخطأ، اسباب تأخره وعلة ضعفه.

ورفض نجيب للتيارين الداعيين الى انضواء تحت العثمانية لم يقل بشكل من الاشكال عن رفضه للتيارين القائلين بالجامعة الاسلامية. وقد سبق لنا ان تحدثنا عن نقد نجيب المر للدولة العثمانية. وسيأتي الحديث عن موقفه من مصطفى كامل.(٢)

---

(١) انظر لسان العرب، الاعداد : ٣٠، ١٢٦ سنة ١٨٩٤، ٤٢٩ سنة ١٨٩٦ وغيرها

(٢) انظر صفحة ١٢٤ - ١٢٥ من هذا البحث

اعتمد نجيب الحداد اللغة العربية، كما أسلفنا، اساسا لوحدة شاملة تقوم مقام الدين في تيارى الجامعة الاسلامية، والعثمانية في التيارين الداعيين للانضواء تحتها . فالدين في نظره لا يصلح لهذه الغاية، والعثمانية فكرة دخيلة على الشعوب التي انضوت تحت لوائها بالعنف. أما رابطة اللغة فهي، عنده ، رابطة أصيلة قديمة قدم الانسان نفسه . وقد أكد نجيب في مقالته "الوطنية واللغة"(١) ان اللغة أسبق الى الظهور في المجتمع الانساني من الدين والوطنية. ورأى ان البشر حين تفرقوا في الارض اختلفت الفاظهم، وطرق تعبيرهم. وصارت كل أرض نزلها قوم ذوو لسان واحد موطنا لهم. وقد ذكر في مقالته "جامعة اللسان"(٢) ان الانسان قد وعى لغته قبل ان يعي شعوره بالوطنية، ولذا فان هذه الرابطة كانت وما زالت امتن رابطة تشد الافراد بعضهم الى بعض.

ودل نجيب على أهمية اللغة في المجتمع الانساني مشيرا الى الميل الفطرى عند الانسان لمعاشرة من يتفاهم معهم والاعراض عمن لا يستطيع التحدث اليهم. كما استدل بشواهد من التاريخ العربي والاوروبي لتبيان أهمية اللغة في ترابط الشعوب واندغامها بعضها مع بعض. فأشار الى ما أبداه الخلفاء الراشدون من عناية خاصة بنشر اللغة العربية وتعميمها في البلاد التي فتحها العرب، حتى انهم خيروا السريان بين التحدث بالعربية او التعرض لقطع لسان كل من ينطق بغيرها.(٣) وما انفك العرب يتشددون في تطبيق هذا المبدأ الى أن تعربت كل من مصر وسوريا بعد ان كانت احداهما رومانية والاخرى سريانية وكلدانية. واستشهد نجيب ايضا بما فعله الالمان حين امتلكوا الالزاس واللورين. فقد ارغموا

---

(١) لسان العرب، العدد ٤٣ سنة ١٨٩٤
(٢) المصدر نفسه، العدد ١٢٦ سنة ١٨٩٤
(٣) المصدر نفسه، العدد ٦٠١ سنة ١٨٩٦

السكان على ألّا يتكلموا الفرنسية واجبروهم على احلال الالمانيـة محلها • واثمرت جهودهـم في ان اصبح كل منهما المانيتين• وما دامت اللغة على هذه الدرجة من الفاعلية والاصالـة فلتعتمد الشعوب الناطقة بالعربية تلك اللغة واسطة جمع وتآلف، لتشكل في مجموعها أمـة عربيـة •(١)

من هنا راح نجيب يهتم بكل ما له مساس باللغة العربية• فأكد في عديد مـن مقالاته على ضرورة تعلم سواد الناس لها قراءة وكتابة• وانتقد الحكومة لوفرة عنايتها باللغات الاوروبية على حساب اللغة العربية• واعتبر توزيع الجوائز على الطلاب المتفوقين في اللغـات الاجنبية بمثابة مزج السم بالدسم(٢) كما استنكر المحاولات الرامية الى استبدال الحـــرف العربي بحرف افرنجي ظنا ان في ذلك تيسيرا لكتابة العربية•(٣) واعتبر هذه المحاولات نوعا من المؤامرة الـرامية الى احلال اللغات الافرنجية محل العربية•

ودعوة نجيب الحداد الى قيام وحدة عربية شاملة استدعت منه التأكيد على كـل ما من شأنه ان يمنع ذوبان الشعوب العربية في جسم الامبراطورية العثمانية• فشدد علـــى ضرورة العناية باللغة العربية كما ذكرنا •(٤) ولم يتلكّـأ نجيب عن الحديث عن حق العـرب بالخلافة من قبيل التأكيد على كل ما من شأنه ان يمنع ذوبان الشعب العربي او يقلل مـــن انصهـــاره في امبراطورية آل عثمان، او على الاقل، يظهر الاتراك في مظهر المغتصب • فقـد بيّن في مقالته "من فمك ادينك"(٥) ان الخلافة في الاسلام للعرب لا للاتراك، وان مسـلمي

(١) لسان العرب، العدد ٤٣ سنة ١٨٩٤
(٢) المصدر نفسه، عدد ٧٠ سنة ١٨٩٤
(٣) المصدر نفسه، عدد ١٠ سنة ١٨٩٤
(٤) انظر بالاضافة الى الاعداد التي مر ذكرها بالهوامش العددين ١٤٣، ١٥٣
(٥) لسان العرب، عدد ٥٥٩ سنة ١٨٩٦

الارض لا يعتقدون بغير ذلك ولا يقرون بوجود خلافة ينضمون حولها الا اذا كانت في قريش. ولفت في مقالته "الخلافة والعرب"(١) الى ان الاتراك قد عمدوا الى كل كتاب فيه أثر لمجد العرب وعفوه ولم يتركوا كلمة فيها دلالة على عدل العرب الا أزالوها ولا قولا مرويا الا حرّفوه لعلمهم في ذلك يقطعون الاتصال بين الفرد العربي وتاريخه فلا يكشف محاسن الخلافة وآثارها وعدلها وتواريخ خلفائها .

وأكد نجيب في مقالته "لماذا نريد الخلافة"(٢) على الاسباب التي تدعـــوا العرب الى التمسك بحقهم فيها ، فالخلافة عربية شرعا والخليفة لا يكون الا عربيا ناصـــرا للعرب منتصرا بهم اذ الدين أنزل بينهم والقرآن بلسانهم والشرع لأُمتهم . والاتراك يختلفون عن العرب في الاحكام وذلك راجع الى ان تلك الاحكام لا تفهم الا بلغتها العربية الاصيلـة والاتراك يجهلونها ويحتقرونها .(٣) وأشار الى ان أكثر سكان الشرق الذين تشملهم الخلافـة أكثريتهم من العرب. وأضاف ان العرب اعرف من الاتراك في المدنية وأغنى، على حد تعبيره، في الانسانية والعرفان. فبينما تقادم عهد العرب في التمدن والعقل والأدب لم يفصل بـين جاهلية الترك وتمدنهم فاصل زمني كاف.(٤)

وأشار نجيب في مقالته "الخلافة في مصر"(٥) الى أن مصر أنسب مكان لمقـــر الخلافة لما فيها من صفات لا تتوفر في غيرها من البلاد . فشريف مراكش، على حد تعبـيره ، غريب المقام متطرف في البعد عن قلب الاسلام، ومكة المكرمة لا تصلح لذلك لشدة انقطاعها عن المواصلات وتطرف أهلها في البداوة وانفرادهم عن اسباب الحضارة. أما مصر "فمتوسطة

---

(١) لسان العرب ، عدد ٤٥٩ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٤٤٧ سنة ١٨٩٦
(٣) المصدر نفسه ، عدد ٤٦٦ سنة ١٨٩٦
(٤) ذكر الكواكبي في كتابه أم القرى عددا من الاسباب التي أوردها الحداد انظر : ١٥٥ــ١٥٨
(٥) اطلبها في لسان العرب ، عدد ٩٤٩ سنة ١٨٩٧

المركز متقدمة في العمران والآداب ، حافلة بالعلماء والائمة ورجال الدين والقضاة ". (١)

وهكذا فقد ساق نجيب المقالة تلو المقالة مشيرا الى تسلط الاتراك على البلاد العربية منددا بما ألحقوه بشعوبها من حيف وظلم. ورأى ان الخروج من هذا المأزق هو قيام جامعة عربية تعتمد على رابطة اللغة معاكسا في ذلك الداعين الى قيام جامعة عربية تقوم في صميمها على الرابطة الدينية .

ب - موقفه من الاحتلال :

لقد انقسم المفكرون في مصر ، المصريون منهم والمتمصرون، على أنفسهم فيما يتعلق بقضية الاحتلال البريطاني لمصر والجلاء عنها . فمنهم من كان يرى فيه تسلطا لا مبرر له واعتداء واضحا على حرية الفرد المصرى. ومنهم من رأى فيه ضرورة حتمية لمعالجة الاوضاع الاقتصادية والسياسية التي تردت فيها البلاد . وقد بدأت هذه المواقف في الظهور ، بعيد انتهاء الثورة العرابية ودخول الانكليز مصر ، على صفحات الجرائد سواء التي استأنفت صدورها بعد الثورة او التي صدرت فيها بعد الاحتلال . وقد كان لنجيب الحداد موقف من الاحتلال والجلاء، يستطيع القارئ ان يتلمسه حتى في الاعداد الاولى من صحيفته . وظل محافظا على هذا الموقف حتى النهاية.

رأى نجيب ان استقلال مصر عهدئذ غاية صعبة المنال . وقد ردّ ذلك الى عوامل خارجية وعوامل داخلية. أما العوامل الخارجية فهي اولا : ارتباط قضية مصر بقضية عالمية كبرى هي المسألة الشرقية. وثانيا : مركز الشعب البريطاني العالمي وحنكته السياسية والحربية. وأما العوامل الداخلية فمنها حالة مصر الاقتصادية، والثقافية، والدينية.

* * *

---

(١) اطلبها في لسان العرب ، عدد ٩٤٩ سنة ١٨٩٧

ربط نجيب الحداد قضية الجلاء بالمسألة الشرقية. واعتقد أنه لا يمكن البت فيها منفصلة عن تلك المسألة الكبرى. ومتى أصبح بمقدور الدول الكبرى التوصل الى حل نهائي بشأنها، صار لمصر نصيب من اعتبار الساسة في العالم.(١) والا فلن تثمر جهود الساسة المصريين في تحقيق مطلب الجلاء لأن ذلك، في رأيه، فوق ما تتحمله طاقاتهم. وما دامت الحالة كذلك فليس لأهل مصر الا حرية الميل الى الجهة العالمية التي توافق سياستهم ورغائبهم.(٢) فالشعب المصري، كما بدا له، ليس في وضع يستطيع معه فرض مطالبه في جلاء القوات البريطانية سيّما وانها لم تقدم على احتلال مصر الا بعد ان اتفقت مع معظم الدول الاوروبية في نطاق تفاهم ضمني يشمل المسألة الشرقية ككل. ولم تكن بريطانيا، كما قال، الّا قيّمة على حقوق الدول الاوروبية في مصر.(٣)

وبيّن نجيب ان الدول المعنية في المسألة الشرقية كانت منهمكة في مواجهة مشكلات شتى. فالدولة العثمانية كانت تواجه أزمات داخلية وخارجية ملأت عليها وقتها، وتكافح في سبيل اخماد الثورات التي اندلعت في مختلف اجزائها. وقد تتابعت هذه الثورات بشكل استنفد كثيرا من طاقات الدولة. فما ان انتهت من القضاء على ثورة الارمن حتى جابهتها ثورة الدروز في سوريا، وثورة العرب في الحجاز واليمن. وتبع ذلك ثورة اليونان. هذا فضلا عن انشغالها في مراقبة تكتلات الدول الاوروبية ضدها، وتعقب جمعيات الاصلاح، ومجابهة النقمة العنيفة التي بدأت تختمر في نفوس رعاياها المتعددي الاجناس.

ولم تكن كل من فرنسا وروسيا بأقل انهماكا في شؤونهما الداخلية والخارجية من انشغال الدولة العثمانية. فقد نشطتا في الدخول في معاهدات سياسية، والقيام بتحركات

(١) لسان العرب، عدد ٦٧٩ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه، عدد ٨٥٦ سنة ١٨٩٧
(٣) المصدر نفسه، عدد ٥٨٣ سنة ١٨٩٦

عسكرية لتنفيذ مخططاتهما الرامية الى الاستيلاء على بعض ممتلكات الدولة العثمانيـــــة. وانشغالهما في أمورهما يعني القضاء على أي دور رئيسي يمكن ان تلعباه في المساعدة على اجلاء البريطانيين عن مصر.

وأضاف نجيب الى العامل السابق، تفوق الشعب الانجليزي في القدرة العسكرية والحنكة السياسية. فرأى ان مثل هذا التفوق هو الذي أهل بريطانيا لاحتلال بقاع شتى مـن المعمورة، وجعلها سيدة في منطقة البحر الابيض المتوسط. حتى انه شبّه التوسع البريطاني بفتوحات الاسكندر الكبير.(١) ويستشهد بمقالته "الانجليز لا تقف في سبيلهم عقبة"(٢) علـى قوة الشعب البريطاني بما الحقوه بنابليون من انكسار اذ استطاعوا اخراجه من مصر وســوريا وملاحقته في اوروبا الى ان انتهوا به الى جزيرة حقيرة بعد ان كان ينزل من الارض في المقام الاول. فاذا كان نابليون قد انتهى أمام هذا الشعب المتحضر القوي الى مثل ذلك المصير، فكيف يستطيع شعب كالشعب المصري ان يقف في وجه النفوذ البريطاني!

وهكذا فقد جعل نجيب انشغال الدول الكبرى في قضاياها الداخلية والخارجية عن قضية الاحتلال الانجليزي لمصر، وقوة الشعب البريطاني وكفائة جيشه وشدّة بأسه اذا مـا قورنت بقدرة الشعب المصري المحدودة، في مقدمة الاسباب التي تحول دون الجلاء عن مصر وتبعد عنها امكانية الاستقلال.

* * *

ورأى نجيب، بالاضافة الى ما ذكرنا، عوامل داخلية تحول دون تحقيق مطلـــب الاستقلال. فقد ذكر في مقالته "الجلاء عن مصر"(٣) أن كل بلاد متمدنة عامرة لا بدّ لها من

---

(١) لسان العرب، عدد ٤٧٤ سنة ١٨٩٦
(٢) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ١٤ـ١٦
(٣) المصدر نفسه، ٢١٩ ـ ٢٢٣

أمور ثلاثة تقيم الاستقلال على اساسها، وهذه الامور هي : التجارة والصناعة والزراعة.

وعندما تأمل نجيب في احوال التجارة في مصر وجد أنها لم تصل الى مستوى تجارات الدول ذات السيادة والاستقلال.(١) فقد كانت تجارتها في ايدى الغرباء دون ان يكون لوطني نصيب فيها. وأشار الى سيطرة الاجنبي على الحياة التجارية بقوله : "ان الاجنبي يأخذها بماله ويصدرها الى بلاده ويستوردها بعد ذلك من عملائه وينشئ لها المعامل في وطنه، ويأخذ منها الدينار درهما ويرد الينا الدرهم قنطارا ... وأحوالنا ذاهبة في لباس تستجديه وهو صانعه وحلية نزدان بها وهو الكاسب منها، وقطن نبيعه وهو الرابح فيه "(٢) وبذلك تكون احدى دعائم الاستقلال، في نظره ، مفقودة في مصر.

وتناول نجيب ، في المقالة عينها، احوال الصناعة فأشار الى انه لا أثر لها بين ايدى المواطنين. فقد انتفت المعامل وندرت الاختراعات وانعدمت المناسج . واذا وجد شيء من ذلك فهو ملك للاوروبيين.(٣) وبذلك هوت الدعامة الثانية من دعائم الاستقلال.

ولم يكن حظ الزراعة المصرية في حساب نجيب أوفر من حظ سابقتيها. فقد أشار الى أنها لم تصل الى المستوى الذى وصلت اليه في الدول الاوروبية المستقلة من حيث اتقان الغرس وفتح الترع واستثمار الارض واستغلال المياه وتسهيل عمليات الحراثة.(٤) ولذلك انعدمت ، في نظره ، الدعامة الثالثة للاستقلال. وانتهى الى القول ان الاستقلال في مصر شيء بعيد المنال ما دامت دعائمه الثلاث مفقودة.

وقد اعتبر نجيب الثقافة ركنا من أركان الاستقلال. وعندما جال بنظره بين فئات

---

(١) اطلبها في الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٢٢٠
(٢) المصدر نفسه ، ٢٢٠
(٣) المصدر نفسه ، ٢٢١
(٤) المصدر نفسه ، [illegible]

المجتمع المصرى وجد ان تلك الدعامة واهية جدا . فالشعب المصرى في غالبيته ، عهدئـذ ، امي . وهو ، فوق ذلك، خليط من جنسيات عربية وافريقية وغربية. وذكر في مقالته "استقلال مصر"(١) أن خمسة بالمائة فقط من أفراد المجتمع المصرى يعرفون القراءة والكتابة، والخمسة والتسعين الباقين أميون لا يعرفون، على حد تعبيره ، عن الدنيا سوى ... " ان فوقهم سماء وتحتهم غبراء " .

ورأى نجيب ان التعصب الديني في مصر ، كما في غيرها من البلدان، يقف حائلا دون استقلالها . فقد قسم التعصب الديني المجتمع الى فئات وطوائف متباغضة، وشلّ حماس العديد من أبناء الوطن، وقعد بهم عن الاسهام في عمل ما يمليه عليهم الواجب. ومثل هذا الانقسام يصدع الجبهة الداخلية، ويوهن مقاومتها وصمودها . وهو يرى ان الأمة التي نخرها التعصب ، وفصم الحقد عرى الروابط بين أفرادها، لن تصل الى مستوى تستطيع معه أن تكافح من أجل الاستقلال او تحافظ عليه اذا تيسر لها ذلك.(٢)

وعلى ضوء هذه الاسباب رأى نجيب ان مصر ذلك الوقت لا تستطيع ان تكون دولة مستقلة، وان ما يفعله ابناؤها لتحقيق هذا المطلب ان هو الا ضرب من التسرع والتهور.

***

لم يكن نجيب اذن، يعتقد ان مصر قادرة على تحقيق مطلب الاستقلال ما دامت العقبات التي أشرنا اليها قائمة في طريقها . ولذلك راح يهاجم الصحف ، من أمثال المؤيد والاهرام، التي كانت تحث الانجليز على الجلاء عن مصر. واعتبر الجهود الصحفية المبذولة من أجل ذلك ضربا من التلهي، وهي بجملتها، كما قال، "كلام فارغ كان الاولى ان يملأ موضعه

---

(١) اطلبها في لسان العرب ، عدد ٥٨٠ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٥٩٢ سنة ١٨٩٦

بما يفيد من سائر المواضيع.(١) كما أشار الى ان مقالات هذه الجرائد لا تعقد امرا،ولا تبت حبل الحقيقة، ولا تقطع في جانب الواقع بمراد.وان امر الاحتلال "أرفع من ان يكون موقوفا عليها بل هو أرفع من ان يكون منوطا بأهل مصر أجمعين"(٢).

وكما حدد يأس نجيب من الاستقلال موقفه من الصحافة المناهضة للاحتلال، فقد حدد أيضا موقفه من رجال الاحزاب، ودعاة الاصلاح، فبدت له جهودهم وكأنها ريشة في مهب الريح. فالجلاء باق مهما تعرض لهجمات الحزبيين وانتقاداتهم. ولم يقف من رجالات الاصلاح موقفا محايدا، بل على العكس من ذلك راح يندد بهم ويأخذ عليهم تقلبهم وتلونهم. ويعيب عليهم تخبطهم في أمر لا يتوقف جله على جهودهم. فرأى في جمال الدين الافغاني رجلا أناني النزعة متقلب الاطوار والآراء. فهو "طورا يذهب مشرقا يقول لأهل الشرق قوموا لاصلاح ممالككم عادا نفسه في زمرة خطباء العرب مع أنه من الاعاجم... وتارة يذهب الى الامم الغربية يقول لهم ان دول الشرق متفرقة الكلمة فقوموا لابتلاعها والحاق الامم الاسلامية بكم واعطوني نقودا لكي اوزعها على البعض هناك... ولما كسدت بضاعته يمم رحاب الاستانة فصادف بها نعومة الملمس ولكنه منذ حلّ لم تسترح من البلايا ولما علم الناس بالاستانة حقيقة أمره أهملوه..."(٣)

ولم يكن مصطفى كامل، في رأى نجيب الحداد، الا مغرورا زجّ نفسه في قضية الاحتلال وهو أصغر من أن يبت فيها، ودخل في قضية " أعيى مشاهير الرجال حلها وعزّ على دور الملوك تدبيرها..."(٤) وما مصطفى كامل، على حد زعمه، الا "رجل مأجور يطوف بأموال سواه وينفق

---

(١) لسان العرب، عدد ٦١٩ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه، عدد ٢٩٨ سنة ١٨٩٥
(٣) المصدر نفسه، عدد ٦٦٩
(٤) المصدر نفسه

من كيس غيره ويتعلم من جهالة معلميه ... فهو لا ينقل قدما الا بدرهم ولا يزيد في كلامه حرفا على ما لقن... "(١) وان تأثير مصطفى كامل على المحتلين لا يزيد على "تأثير الارنب على الاسد او الزرزور على الباشق "(٢) وكان نجيب يتسقط خطابات مصطفى كامل ويرد عليها مسفها أفكاره مفندا مزاعمه . وسنأخذ، على سبيل التمثيل، خطبة مصطفى كامل التي القاها في الاسكندرية بتاريخ ٣ آذار سنة ١٨٩٦ والتي هاجم فيها الانجليز وطالبهم بالجلاء عن مصر، سائلا الاهلين ان يتريثوا ويتمسكوا بالصبر الى ان يستبين الامر. وقالت المؤيد في هذه الخطبة "انها خطبة رائعة أقدم على القائها شاب مصرى غيور عرف واجب الوطن وضرورة التفاني في حبّه المقدس... "(٣) ووصف عبد الرحمن الرافعي اثر تلك الخطبة بقوله : "كان لها دوى عظيم في الاسكندرية تردد صداه في أرجاء مصر وظهر تأثيرها في نفوس الاسكندريين يوم عودته الى العاصمة... "(٤) أما نجيب فابان ما ورد في تلك الخطبة من تناقض. وأشار الى ان مصطفى الذى نعت الشعب المصرى بأنه مضياف طيّب يعود في الخطبة عينها، الى حث الشعب على التخلص من الغرباء. كما أبان نجيب أن مثل هذه الخطبة شهادة حق على مقدار ما يتمتع به الشعب المصرى من حريات حاولت الخطبة أن تنكر وجودها في مصر.(٥) كما ورد فيها ان مكاتبات دارت بين مصطفى كامل وغلادستون، وان الاخير وعد كاملا باسراع في الجلاء. فعلق نجيب على ذلك بقوله : "ان غلادستون قد ضحك على مصطفى كامل حين وعده بأن الجلاء عن مصر قد حان. وانه كان الأجدر بمصطفى كامل ان يعرف حق الدخلاء على مصر حين ينظر الى نفسه فيجد ملابسه وأمتعة منزله وحاجات

---

(١) لسان العرب، عدد ٦٦٩

(٢) المصدر نفسه

(٣) المؤيد، ٤ مارس سنة ١٨٩٦

(٤) عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، (ط ٤، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢) ٧٠.

(٥) لسان العرب، عدد ٥١٠ سنة ١٨٩٦

معيشته قد جاءته من الدخلاء "(١).

* * *

لم يبق أمام المواطن المصرى، في نظر نجيب ، وحصوله على الاستقلال متعذر ، الا ان يختار من بين الدول الكبرى اصلحها لتتولى شؤونه . ويعرض نجيب لهذه الدول واحده واحده على الوجه التالي :

استبعد نجيب امكانية الاعتماد على فرنسا لأنها، كما اعتقد، قد خرجت منشيمها القديمة فاضحت مغالطة للحقائق، معترضة سبيل الحرية، معطلة للجرائد، وساعية في كسر الاقدام.(٢) وأما تركيا "فبسفورها قد غص بالاحرار وجنودها قد جلبوا الدمار والعار الى البلاد التي دخلوها ... أم نحن نريد الدولة التركية وجنودها المظفرة تنتهك أعراضنا وتستحل دماءنا ... اذا كنا كذلك فنحن قوم لا يجب ان نخير فنختار بل يجب ان نساق بالقوة ونحكم بالاضطرار ..."(٣) وأما انجلترا فهي "أرأف الأمم على الشعب المصرى المنكوب. فهي ما زالت تجمع له المال من كل بلد وترسل اليه الاسعاف من كل ناحية وتوصل اليه المدد بكل واسطة حتى كأنه جزء من شعبها وأرضه قطعة من ملكها ... واذا كانت انجلترا تفعل ذلك عن حب مجرد للخير ونيّة صالحة للاسعاف فيجب الثناء عليها واعتبارها أكرم الممالك..."(٤) وأشار نجيب الى اخلاق بريطانيا فقال: "أخذت بأخلاق فرنسا القديمة فصارت تساعد المنكوبين وتقف في سبيل الظالمين ونحن نعلم ان كلتا الدولتين لا يكون لها أرب في الاسعاف والنصرة الا اذا كانت لهما آداب. ولكن ايهما أفضل التي تنفع ولا تنتفع ام التي تنتفع وتنفع ؟"(٥) ونقع

---

(١) لسان العرب ، عدد ٥١٠ سنة ١٨٩٦

(٢) المصدر نفسه ، عدد ٥٨٠ سنة ١٨٩٦

(٣) المصدر نفسه ، عدد ٥٨٠ سنة ١٨٩٦

(٤) المصدر نفسه ، عدد ٥٧٣ سنة ١٨٩٦

(٥) المصدر نفسه ، عدد ٦٧ سنة ١٨٩٤

على وفرة من المقالات التي اشاد فيها نجيب بمنجزات الانجليز في مصر: فقد أشار الى مـــا أدخلوه على جهاز الحكومة من اصلاح ، ونوّه بضبط الانجليز لأموال البلاد وحرصهم على اصلاح الري والاجتهاد على بث الامن. وأومأ الى أن الانجليز قد اطلقوا عنان الحريات للاهالـي ، ونظموا لهم المحاكم، ونادوا بالمساواة بين الامير والصعلوك، وبين الحاكم والمحكوم لدى عـدل القانون.(١) وقال في احدى مقالاته جهارا: "اذا كان قد كتب لمصر ان يتولاها النـــاس فالانجليز من جملة الناس"(٢) وفي هذا دعوة صريحة للمصريين الى تقبل الانجليز دون غيرهـم من الامم، ريثما يتهيأ لمصر ما يسعفها على بناء استقلالها على أسس سليمة.

***

الاحتلال ليس نهاية المطاف. وما الاستسلام للسلطة الاجنبية في رأى نجيب ، الا فترة تحضير واستعداد لبناء استقلال يعتمد على قاعدة متهنة الا وهي الفرد المصرى، وبالتالـي المجتمع المصرى، وقد وعي مسؤوليته الوطنية، واستنار فكره بمفاهيم واقعية سليمة لأســـس الاستقلال وطرق المحافظة عليه.

وقد اوضح نجيب في مقالته "كيف يكون الاستقلال"(٣) مفاهيم معاصريه الخاطئـــة لهذا الأمر. فالاستقلال، كما أشار، لا يكون باخراج المحتلين واحلال ابناء البلاد محلهم. ولا يكون بأن يتنعم الناس بفاخر الثياب ويتحدثوا باللغات الاوروبية. كما لا يكون بخلع العمـــال وعزل الموظفين. وأشار في مقالة أخرى الى ان احتلال العساكر الاجنبية للبلاد ، وتولية الغرباء المناصب ليس الذل كله.(٤) الاستقلال، كما رأى، أعمق جذورا من هذه المظاهر. الاســتقلال

---

(١) لسان العرب ، عدد ٥٧٣ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٤٩٤ سنة ١٨٩٦
(٣) الحداد ، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١٨٨ـ ١٩٣
(٤) لسان العرب ، عدد ٤٢٣ سنة ١٨٩٦

عنده ، هو الاستغناء[١]، الاستغناء بالانتاج المحلي عن مصنوعات الاجانب فيكون الرجل وطنيا بثيابه وأثاثه وأدواته • وعلى ذلك فان خروج الانجليز من مصر لا يعني انها اصبحت مستقلة ما دام في البيت المصرى شيء من المصنوعات المستوردة • يقول : "ما الفائدة من خروج الانجليز عنا وعزل الغرباء من مناصبنا وابعاد الاوروبيين عن قطرنا ونحن لا نقدر ان نسير خطوة ولا ننير شمعة ولا نلبس ثوبا ولا نمشي في طريق الّا على اعمالهم ومن فضلات بضائعهم وسلعهم •••• أليس كل هذا الاحتياج منا لأوروبا يعد احتلالا عاما من اوروبا علينا لا نجد الاحتلال الانجليزى الحقيقي في جنبه الا قطرة من بحر ونقطة من قطر ؟"[٢]

ويرى نجيب ان الطريق الى الاكتفاء يكون عن طريق ايجاد الجمعيات العلمية والمنشئات التجارية وتنشيط الزراعة، وتشييد المناسج ، وابتكار المخترعات ، وترويج البضائع الوطنية، واغناء البلاد بصنع ابنائها عن مصنوعات سواها •[٣] ومتى توصل الشعب الى حالة اكتفاء ذاتي أقبل الاستقلال المدني على الاثر • والاستقلال الذاتي يوفر الاستقلال السياسي وهو الطريق الوحيد الذى ينبغي ان يحارب به المصريون الانجليز كما حارب هؤلاء الاخيرون به ممالك الدنيا، واستحلوا اطراف المعمورة•

* * *

يشعر قارئ المقالات[٤] التي تحدث فيها نجيب عن الجلاء انه يدور فيها حول قطبين اولهما : نقد الاحوال السيئة التي عانت منها البلاد قبل الاحتلال، وثانيهما : الاشادة بما آلت اليه بعده • فهو لم يدع فرصة تفوته الا أثنى فيها على ما أصاب البلاد من تقدم على أيدى المحتلين• ولم يتوان عن الاشارة الى ما كانت عليه فرنسا من عدل وما انتهت اليه من تسلط

(١) الحداد ، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١٨٨
(٢) المصدر نفسه ، ١٨٩
(٣) المصدر نفسه ، ١٩٢
(٤) ظهر بعضها في اعداد لسان العرب التالية: ٦٧، ٢٠٥، ٤٨٧، ٤٩٤، ٥٧٣، ٧٢٩ وغيرها •

واستهتار وفي ذلك بالطبع ما ينفر الناس منها، وبالتالي يدفع بهم الى تفضيل بريطانيا عليها . ولم يتلكأ في الدعوة الى ضرورة تسلم الامم الراقية قيادة الشعوب المتخلفة لكي تأخذ بيدها في مدراج العلم والمدنية.

هذا التراوح بين النقد المر لحالة البلاد قبل الاحتلال والاشادة الحارة بما آلت اليه أحوالها بعده، يضع علاقة نجيب بالانجليز موضع الريبة. أضف الى ذلك ان لنجيب آراء صريحة في بعض الاجراءات التي نفذها البريطانيون في مصر، تدفع بالمتتبع لانتاجه الى الحاق الشك والتهمة فيه . وقد اخترنا من مجموعة الاحداث التي تناولها نجيب بالتعليق والتحليل خمسة يتجلى فيها موقفه من الاحتلال .

— ١ —

أحدث الانجليز تغييرا في نظارة الحقانية سنة ١٨٩٤، فالحقوا بها مستشارا بريطانيا . فاعتبرت الصحف المناهضة للاحتلال هذا الاجراء ظلما فاحشا واعتداء صريحا على كرامة القضاء المصرى. فماذا كان موقف الحداد من ذلك؟ قال : "اذا كان لا بدّ من تعيين هذا المستشار، ولا مندوحة من نفوذ السهم الانجليزى الذى لا يرد له نصل ولا يغلب عليه قول فصل... فلتكن اشارته الى الموظفين بنور من الرقة واللطف ويشير لهم الى مكان الخلل بأصبع من المداراة فلا يقرصهم بأنامل الشدة ولا يشعرون بوقر الحديد . فيعلمون عند ذلك ان قصد الانجليز نحوهم مشكور وان غاية الاحتلال ليست الا مقدمة الجلاء وتسهيل سبل الاستقلال.."(1)

فنجيب هنا لا يتحدث عن ظلم الحق بالمواطن المصرى، ولا يتكلم عن حيف وقع على كرامة القضاء . وانما يلمس القضية برفق وتأن مطالبا أن يعامل المستشار الموظفين بشيء من التؤدة واللطف .

---

(1) لسان العرب، العدد ٦٥ سنة ١٨٩٤

ويدلهم على مكان الخلل برفق. وكأنما تعيين هذا المستشار هو عين الصواب والحق، اقتضاه وضع الموظف المصرى المتخلف المحتاج الى خبرة الرجل الانجليزى المتحضر.

— ٢ —

شكّل الانجليز محكمة خاصة سنة ١٨٩٥ لمعاقبة كل من يعتدى على اى من عساكر الاحتلال. وقد أنزلت تلك المحاكم أقصى أنواع العقوبات بالكثيرين من الاهلين. واعتبرت بعض الصحف ذلك تعديا على حرية الفرد المصرى واجحافا بحقه. أما نجيب فلم ير في ذلك خيرا. بل اعتبر تصرف الانجليز هذا نتيجة منطقية لتصرف الشواذ من الناس. وبدل ان يلقي التبعة على الانجليز راح يهاجم الجرائد ويتهمها بالتحريض غير المباشر على اقتراف الجرائم وأعمال التخريب. يقول: "قامت (بعض الصحف) تنادى بالوطنية وتدخل في عقول العامة ان وجود الاجانب ضرر على البلاد، وان عساكر الاحتلال كلها اضرار ودمار وينبغي لمصر ان تخلص منه وللمصريين ان يسعوا في ازالته. فتوهم الرعاع وامثالهم ان السعي في ازالة الاحتلال لا يكون الّا بضرب رجاله والاعتداء على جنوده..."(١)

— ٣ —

وعندما وضع الانجليز مشرفا على ادارة الاوقاف عمّ الكدر اوساط الشعب. واستقبلت الصحافة ذلك الاجراء بموجة من السخط العارم. فماذا كان موقف نجيب الحداد؟ يقول: "نحن نشارك في هذا الكدر ولكننا نستدرك على اصحاب هذه الادارات ان لا يتهاملوا فيشؤونهم ولا يقصروا في حقوق وظائفهم بما يكون من باب لتدخل اليد الاجنبية في أعمالهم. فقد عهدنا ان اكثر المصالح التي دخلتها يد غريبة كان ذلك عن تقصير منها..."(٢)

---

(١) لسان العرب، عدد ١٨٠ سنة ١٨٩٥

(٢) المصدر نفسه، عدد ٢٥٨ سنة ١٨٩٥

وبدا دفاع نجيب عن الانجليز واضحا في تعليقه على الحملة التي جردتها بريطانيا على السودان سنة ١٨٩٦ . فالمعلوم ان قوام هذه الحملة كان، في غالبيته ، من الجنـــــود المصريين. وفي هذا استغلال واضح للجندى المصرى، الذى تجشم في حر القيظ مصاعب العبور الى أراض مترامية الاطراف وعرة المسالك. هذا عدا عن الخسائر الفادحة في الارواح التي لحقت بالجيش المصرى. الصحافة المصرية لم تقف مكتوفة الايدى أمام هذا التسلط بل راحت تندد بهذا الاستغلال. قالت المؤيد : "أى شريعة في الوجود تقتضي بان الدولة التي تعتدى على املاك أمـــة مستضعفة ثم تلاقي جزاء الانتقام على اعتدائها من أقوام آخرين تنجد من سقطتها هذه بمنجد مـــن جنود المعتدى عليهم ! أوليست الأمة التي تكون من هذا القبيل اولى بها ان تموت وتسحق تحت سنابك المعتدين عليها ان كانت اعمالها هذه باختيارها ! أوليست الحكومة المالكة للســـيطرة عليها تكون جائرة متناهية في قسوة المعاملة معها ... أوليس هذا العمل في حد نفسه غاية الافراط في سوء التصرف وفساد التدبير ؟ "(١) ماذا كان موقف نجيب ؟ قال : "ان هذا الفتح هو المسبب لكمالها (مصر) والنقص الموجب لاعتلالها ... وانه ضرورة لا مندوحة عنه يراد به خير مصـــر والسودان. اذ ان تلك الحملة ستثمر روحا من الالفة والتقارب بين قطرين شقيقين. اما بالنســـبة للسودان فستثمر تمدنا واصلاحا ".(٢) وقد أخذ نجيب يتسقط اخبار هذه الحملة ويبشر قراءه بأنها "سائرة باسم الله مجراها، على طريق التقدم والنصر في البلاد ..."(٣) كما أشاد بالروح المعنوية التي يتحلى بها الجنود، على حد زعمه ، وتسقط ما يقال عنها في المجالس.(٤) ولـــم

---

(١) المؤيد، عدد ١٨٢٤ سنة ١٨٩٦
(٢) لسان العرب، عدد ٥٣٠ سنة ١٨٩٦
(٣) المصدر نفسه ، عدد ٤٩٠ سنة ١٨٩٦
(٤) المصدر نفسه ، عدد ٤٨٩ سنة ١٨٩٦

يكتف بالتأكيد على مكاسب مصر والسودان من جراء هذه الحملة بل راح يهاجم الصحافة التي أخذت تنتقد الانجليز من أجلها، وتسجل المصاعب التي كان يعاني منها الجنود في كفاحهم ضد الطبيعة وضد المقاتلين من الدراويش. وبعد ان استنفد الكثير من طاقته للرد على الصحافة التي عارضت تجريد الحملة، وعمل قصارى جهده للتأثير في الرأى العام والذى لم يستمرئ ذلك الاجراء قال : "الوطنيون يكرهون الانجليز مهما فعلوا ولو فتحوا لهم القمر..."(١)

— ٥ —

واخيرا نود ان نورد ما قاله نجيب الحداد عن النواب الذين رفضوا التصديق على ميزانية الدولة لعام ١٨٩٧. "ان هذا المجلس يتدخل فيما لا يعنيه ويتعرض لشؤون سياسية ليست من شأنه ولا هي من خصوصياته . فان رجال الشورى بيننا يحسبون انفسهم نوابا حقيقيين عن البلاد . وان لهم ما لنواب فرنسا وانكلترا من الحق الصريح في ادارة بلادهم وكيف يشاؤون. وهو توهم محض واعتقاد باطل لأن بلاد مصر ليست مستقلة فيكون نوابها مستقلين. بل هي ليست مستقلة في شيء واحد ... فانها من جهة متعلقة بالدولة العثمانية وذلك التعلق وان كان وهميا فانه مكتوب ومقرر ولا تزال تلك الجزية العظيمة شاهده عليه، ومعلقة من جهة أخرى بانكلترا تعلقا فعليا. فمن العبث والخرف ان ينهض نوابها فيقادموا بالقول من يحكمهم بالفعل، بل من العبث ان يكون لها نواب وان يعقد فيها مجلس يتولى النيابة عن الأمة ... ان هذا المجلس لا همّ له الّا مناصبة المحتلين والطعن على الاحتلال ... لا يصلح لأن يكون لهذه الامة نواب بل يكفي ان تكون الحكومة نائبتهم."(٢)

نضيف الى هذا كلّه ردود نجيب المنشورة في مختلف اعداد جريدته على الصحف

---

(١) لسان العرب، عدد ٦٤٥ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه، عدد ٧٢٢ سنة ١٨٩٦

التي هاجمت الانجليز. فقد كان يتسقط ما توجهه بعض الصحف من طعن على اجهزة الحكم، وذم لمشاريع الدولة، ويرد عليها مدافعا عن الانجليز واصفا تلك الصحافة بنكران الجميل. وفي هذا كله ما يضع علاقة نجيب بأجهزة الحكم الانجليزى موضع الشك.

موقف الحداد اذن يدهشنا. ونضع لمثل هذا الموقف أحد تفسيرين: اما ان يكون الرجل قد وضع أسلسته في خدمة الاحتلال مقابل مال قبضه، وأما ان يكون دفاعه عن الانجليز صادرا عن موقف يؤمن به ويدعو اليه. ومن المؤسف حقا اننا برغم محاولتنا المستقصية لم نوفق في تعيين المصادر المالية التي اعتمد عليها نجيب في اصدار جريدته. فملف جريدة لسان العرب، كما أسلفنا، قد أتلف. وميزانية الدولة في سنة صدور هذه الجريدة ما زالت بعيدة المتناول حتى كتابة هذه السطور. ولكننا، على أية حال نستبعد الافتراض الاول. فقد سبق أن أشرنا الى ما عاناه نجيب ورفيقاه من مشاق في جمع قليل من المال لاصدار الجريدة. ورجحنا ان يكون توقفها عن الصدور ناجما عن عدم انتظام دخلها المادى.

الاحتمال الثاني، اذن هو الاحتمال الذى نرجحه. فانه يتراءى لنا ان نجيبا التزم موقفا شخصيا محددا أخذ يبثه بين الناس بعد ان اقتنع بسلامته. ولا غرابة في ان يصدر مثل هذا الموقف عن مهاجر سورى مسيحي متمصر. فاذا خرج الانجليز من مصر فان الاحتمال الاول الذى يمكن ان يمر بخاطر من صارع التيارات الفكرية عهدئذ هو عودة العثمانية بشكل فعّال الى مصر. وهذا يعني بالنسبة لنجيب عودة مناخ سياسي لا يختلف بكثير او قليل عن نوع الحكم الذى هرب منه معظم السوريين المسيحيين المتمصرين، ووقفوا اسلاتهم على التهجم عليه والتشهير بنقائصه. فالذى هاجر من سوريا خوفا من العثمانيين، ووقف قلمه على تبيان مثالبهم لن يقف في المهجر مع اولئك الداعين للانضواء تحت لوائهم. ولن يتعاون، لكونه مسيحيا، مع التيار الداعي الى قيام وحدة اسلامية. وانما من الطبيعي ان يدعو الى وحدة الشعوب العربية على

أساس آخر يضمن لاصحاب الديانات الاخرى من العرب المشاركة الفعالة في هذه الوحدة ، والذوبان فيها ٠ وهذا ما نادى به على صفحات جريدته ٠

واما موقفه المشايع لبريطانيا فهو نتيجة حتمية املاها عليه وضعه في مصر ٠ فقد كان نجيب في نصرته لبريطانيا يحاول هدم صرح من صروح الظلم الا وهو تركيا — تركيا التي حرّمت على صحيفته دخول اراضيها منذ صدور العدد الاول منها ٠ ولذا فانه لم يقبل الاحتلال الانجليزى الا هربا من احتلال آخر هو الاحتلال التركي ٠ وكما حدد كرهة للاتراك موقفه من بريطانيا فقد حدد أيضا موقفه من فرنسا ٠ فقد عاداها لأنها كانت نصيرة لتركيا ٠ ولم يتورع عن التهجم عليها كلما سنحت له فرصة ٠

المضمون الاجتماعي :

أولى نجيب الحداد الاصلاح الاجتماعي اهتماما بالغا فاسهم في ذلك الفيض من مقالات النقد الاجتماعي التي طالعتنا بها الصحافة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ٠ وقد ردّ محمد يوسف نجم[1] غزارة مقالات النقد الاجتماعي في مجتمع من المجتمعات الى ما يطرأ على المجتمع من مستحدثات الحضارة في العادات والاخلاق ووسائل اللهو والتسلية، والى ما يحدث فيه من صراع بين تحدى الجديد الوافد والقديم المستتب ٠

وهذا ما حدث بالفعل في العالم العربي وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ٠ فقد فاجأه الغرب بحضارة جديدة جذابة ٠ وكانت ردة الفعل عند الصحفيين عهدئذ سلسلة من الانفعالات التي املتها الظروف الآنية ٠ وقلما عالج أحد منهم الموضوع بصورة جذرية شاملة ٠ ولم يشذ الحداد في هذا الموضوع عن باقي زملائه ٠ وان رحنا نصنف ردود الفعل عند

(١) محمد يوسف نجم، فن المقالة (ط ٣، بيروت : نشر وتوزيع دار الثقافة، مطابع سميا، ١٩٦٣) ١٠٧

العرب على الحضارة الغربية الوافدة، أمكن لنا ان نقسمها الى فئات : فهناك فئة المحافظين من أمثال علي اليوسف ، التي رفضت هذه الحضارة الدخيلة استنادا الى التراث الاسلامي والى طبيعة التحدى الغربي وبالتالي المسيحي . وهناك فئة وغالبيتها من الوافدين على مصر وغير الملتزمين دينيا، مالت الى تبني هذا الاتجاه الغربي تبنيا بدا في أعين الكثيرين متطرفا وخارجا على التراث.

أما الفئة الثالثة فهي الفئة المعتدلة التي وقفت بين الرفض التام والاخذ التام . وقد حافظت هذه الفئة على شخصيتها العربية ودعت الى النمو في تربة الموروث العربي ولكن مع انفتاح على الحضارة الغربية لأن فيها كثيرا من المعطيات التي تسعف على النمو السليم . ويعتبر نجيب الحداد ممثلا لهذه الفئة . فهو لا يدعو بالاخذ الكلي عن الغرب بحيث تنطمس معالم تراثنا العربي، وهو من جهة ثانية لا يدعو الى الانغلاق الكلي بحيث تتحجر العقلية العربية ضمن اطار السلفية الصرفة .

ولا يعني هذا ان نجيبا كان يصدر عن مبدأ واضح ، ومخطط مدروس بحيث يستطيع الباحث ان يصنف من خلاله آراءه جميعا . فهو من هذه الناحية كباقي الصحفيين يعالج القضايا معالجة آنية مرتجلة . ومما يحتم عليه مثل هذا النحو طبيعة الظروف التي كتب فيها مقالاته ، وهي افتتاحيات املتها عليه حاجات الصحيفة اليومية الملحة .

ومن أهم القضايا التي استحوذت على اهتمام الصحافة عهدئذ قضية المرأة، وقضية الشباب وانجرافهم مع معطيات الحياة الطارئة، ومشكلة العلاقات غير العادلة بين العمّال وأرباب العمل، وحالة موظفي الدولة وما كانوا يتعرضون اليه من اهمال، ومسألة التفاوت الطبيعي الذى أملاه سوء توزيع الثروة في البلاد ثم ما نجم من انقسام طائفي في مصر في أواخر القرن الماضي . أضف الى ذلك ما فرضته ظروف عالمية مثل موضوع الحرب والرق .

وسنحاول ان نعطي فكرة عن سير تفكير نجيب الحداد في هذه القضايا · وهي في نظرنا تكاد تستنفد اهم ما تطرقت اليه كتاباته من موضوعات اجتماعية· وعلى الرغم مما في مقالاته من تعميم فاننا نستطيع ان نتبين فيها اتجاهين، يظهر في الاول موقفه من التفاعل الحضارى في مصر ويتضح في الثاني نقده لما اعتبره نقائص في المجتمع المصرى·

* * *

لعل من أهم القضايا التي أثارها التفاعل الحضارى في مصر هي قضية المرأة· وقد شغلت هذه القضية كثيرين من المصلحين، فكتبوا عنها وفرة من المقالات· فاين نصنف جهود نجيب في هذا الفيض من المقالات الصحفية؟ الاجابة على هذا السؤال تستدعي منا شيئا من التتبع التاريخي لهذه القضية· فقد كانت حالة المرأة هدفا لجهود الحركة الاصلاحية التي بدأت في مطلع القرن التاسع عشر·

تعود حركة الاصلاح هذه الى حكم محمد علي · فقد أصدر اول أمر نظامي بفتح مدرسة مهنية للمرأة في مصر عام ١٨٣٢(١) مسايرة للتطور الذى بدأت تتعرض له البلاد عهدئذ · وقد فسّرت درية شفيق هذا الاهتمام من جانب محمد علي بقولها : "انه لم يفت عن دهائه ان المرأة تمثل خطرا لا بد من اتقائه بالتظاهر بمطالبها واحتياجاتها · "(٢)

أما رفاعة الطهطاوى(٣) فلم يترك مناسبة وهو عضو بديوان المدارس الا وطالب بانشاء مدارس لتعليم الفتيات· كما وضع كتابا في التربية اسماه "المرشد الامين للبنات والبنين"

(١) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعلم في عصر محمد علي، (القاهرة: نشر مكتبة النهضة المصرية، لا مط، ١٩٣٨) ٢٩٤

(٢) درية شفيق، المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم (القاهرة: لا مط، ١٩٥٥) ٧٨

(٣) انظر بشأنه عبد اللطيف حمزه، أدب المقالة الصحفية في مصر (ط ٢، القاهرة، دار الفكر العربي، المطبعة العلمية، ١٩٥٨) ١:٨٨ـ١٢٦

(٤) المصدر نفسه

تعرض فيه لتعليم البنات. فأشار الى تربيتهن في اليونان وفرنسا واميركا . كما اورد فيه أخبارا كثيرة عن النساء المشهورات في التاريخ العربي . والقصد من كل ذلك، كما أشار عبد اللطيف حمزه ، تبيان ان العناية بالمرأة العربية لم تكن أقل من العناية بالمرأة الاوروبية والاميركية. والاشارة الى ان للمرأة العربية من الصفات ما يجعلها اهلا لاحترام الرجل وتقديره .(١) وقد لخص(٢) لنا احمد احمد بدوى دعوة الطهطاوى لتثقيف المرأة في كتاب "المرشد الامين للبنات والبنين" فجعلها في النقاط الرئيسية التالية :

اولا : ان لتعليم المرأة اثرا قويا في اسعاد بيت الزوجية لما يخلقه من تناسب بين الزوجين.

ثانيا : ان آداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيرا في اخلاق اولادها .

ثالثا : ان العلم يهيء للمرأة سبل العمل فتستطيع بالعلم ان تتعاطى من الاعمال ما يتعاطاه الرجل .

رابعا : ان زمن الرسول لم يخل ممن قام بتعليم النساء القراءة والكتابة.

خامسا : ان التجربة دلّت على ان نفع تعليم البنات اكثر من ضررة .

وقد حاول محمد عبده ان يبين عدم تنكر الدين الاسلامي لحقوق المرأة. ويطالعنا تفسيره للقرآن بتوضيح لحكم الشريعة في أحوال المرأة المسلمة، نافيا حق الرجل في تعدد الزوجات باسم الشريعة الاسلامية، ومشددا على فكرة تساوى المرأة والرجل عند الله .

ويقف نجيب الحداد في امتداد هذا التيار الذى دعا الى تحرير المرأة من ربقة الجهل وتسلط الرجل . وقد حمل لواء هذه الدعوة من بعد قاسم أمين فتوفر على دراسة

---

(١) ~~انظر [illegible]~~ : حمزه ، أدب المقالة الصحفية في مصر ، ج ١، ١٠٢

(٢) احمد احمد بدوى، رفاعة رافع الطهطاوى (القاهرة: نشر لجنة البيان العربي، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٦٩) ٣١٢

قضية المرأة وعبّر في ذلك كتابيه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" الا ان نجيبا لم يتوفر على دراسة هذه القضية بشيء من التكريس. ولكن مقالاته في هذا الصدد جاءت دعما لهـذه الحركة التي اجتازت مرحلة الدعوة والتعميم الى بداية مرحلة التطبيق.

أكد نجيب الحداد على أهمية المرأة في المجتمع. فجاءت مقالاته ثورة على التزمت الذى جعل المرأة في دركات التأخر والجهل حتى وصلت الى مستوى وصفه عبد الفتاح عباده بقولـه "لا رأى ولا فكر لها في الاعمال ولا قدم في المنافع العامة ولا ذوق في الفنون ولا فضيلة وطنية، وأصبح عقلها بفضل الجهالة والبطالة والسجية خزانة اوهام ومخاوف فانحط شأنها كـل الانحطاط..."(١) فرفع نجيب الحداد صوته مع الداعين للعمل على تثقيف المرأة كي تستطيع ان تسهم في بناء المجتمع. ورأى أنه لا يتقدم جيل من الناس في أمر الّا اذا تقدمت فيـه النساء.(٢) وانه لا بدّ من فتح المجال امامها للعمل جنبا الى جنب مع الرجل. فهما، علـى حد قوله: "العاملان المتساويان" في مجتمع الدنيا فاذا لم يكن بينهما اتصال تنقدح فيه شعلة المدنية بقي التمدن ناقصا ولم يكن العمران الا نصفا لأنه لم يقم الا بنصف معداته اى بعامـل واحد من عاملين..."(٣)

وقد استشهد نجيب بمنجزات المرأة في اوروبا لتكون مثلا تحتذى بها المرأة الشرقيـة فقال عن المرأة الاوروبية "تنظر الى رفيع المناصب وتميل الى تحصيل مالها من المطالب وتقبض على اقلام هي مفاتيح الاعمال وتلقى في سبيل حقوقها كلمات هي غرر الكلام وبدائع الاقوال"(٤)

---

(١) الهـلال: ٢٧:٨٤١

(٢) الاهـرام: ٤٦٠٢ سنة ١٨٩٣

(٣) لسان العرب، عدد ١٧٨ سنة ١٨٩٥

(٤) الاهـرام، عدد ٤٦٠٢

وتحدث عن نساء انكلترا فقال "قد توصلن بالجد والثبات الى نيلما لهن من الحقوق المالية واطلاق التصرف فيها بعد عشرين عاما من الجدال الشديد ... ثم أخذت في مجال الطب فنلن فيه قصبات السبق وزدن على كثير من الرجال ..."(١) كما أشار الى منجزات المرأة في الدنمارك وسويسره، وانكلترا، واميركا، وفرنسا حتى اذا انتهى من استعراض حالات نساء البلدان المتمدنة في الغرب التفت الى المرأة الشرقية حاثا اياها على الاقتداء بأختها الغربية في جميع المجالات بديل ان تقتصر على تقليدها في اللسان والأزياء.

ورأى نجيب الحداد ان الثقافة ضرورة حتمية للفتاة الشرقية اسوة بالفتاة الغربية التي حققت بسلاح العلم منجزات شتى. فدعا الى ضرورة العمل على تثقيف الفتاة الشرقية خاصة وان المعارف والعلوم قد بدأت تبرز في مختلف مرافق الحياة.(٢) فيكون باستطاعة الفتاة المتعلمة ان تفهم ما يدور حولها من تطور علمي وحضاري. ويضيف الى ذلك قوله ان الفتاة المتعلمة تستطيع ان تكون أما افضل، خاصة وان السواد الاعظم من الفتيان قد اتجهوا نحو تحصيل العلوم. ان اقتران الفتاة المتعلمة بالشاب المتعلم، على حد تعبيره، "اقتران الروحين واقتراب العقلين وامتزاج النفسين."(٣) ولكن ما هو المستوى العلمي الذي ينبغي للفتاة ان تبلغه ؟

يجيب نجيب على هذا السؤال بقوله : "يجب ان لا تكون عالمة بل ان تعرف قدر العالم فان معرفة قدر العلماء ومنزلة عقولهم لذة هي جانب من لذة العلم ونصيب من حلاوة الادراك والفهم، ولا ان تزاول الكتابة والانشاء حتى تكون كاتبة بل ان تفهم معاني الكتابة والانشاء ويكون

---

(١) الاهرام، عدد ٤٦٠٢
(٢) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١٤٠
(٣) المصدر نفسه

لها في مخيلتها تأثير تشارك فيه سواها من العارفين... "(١) ويقول ايضا "وأما الاداب فليس من شأن الفتاة ان تكون واقفة على فروع العلوم واصولها وانما يكفيها منها ما هو لازم لتدبير المنزل ليس غير ، وهذا مركز المرأة في سلم الكائنات"(٢) وفي هذا ما يشير الى موقفه المعتدل فلا هو يدعو المرأة ان تقبع بين جدران البيت دون ان تعرف ما يحيط بها من أمور الدنيا، ولا هو يدعوها الى التخصص في امور العلم فتكرس كل طاقاتها إلى تحصيله.

ويبدو موقف الحداد المعتدل ايضا في آرائه حول ما يجب ان يتوفر للفتاة من حرية. فهو من جهة لم يتفق مع الذين اعتمدوا الضغط والشدة في تربية بناتهم وأرغموهن على الاحتجاب عن الناس، وعدم حضور مجالس الزيارة، والذهاب الى الملاهي، ومشاهدة المسرحيات وقراءة القصص والكتب. يقول عن هؤلاء: "لقد فاتهم... ان الادب في الفتاة هو غير الجهل بأمور الدنيا لأنها قد تجهل الخير والاحسان ايضا مع جهلها الشر والفساد وان المعاشرة الادبية هي غير السفاه وقلة الحياة وانه ليس من المحتم على كل فتاة تعاشر من يزور منزل أهلها من الناس ان تكون قليلة الادب متمادية في العشرة الى حد الوقاحة وقلة الحياء... "(٣) ونجيب من جهة اخرى لا يتفق مع الذين يتغاضون عن التربية ويتسامحون مع الفتاة في كل ما تأتيه ويطلقون لها العنان فتحضر المراقص، وتقرأ جميع الكتب ، وتعاشر اصناف الناس جميعا بدون مراقبة ويكون ثمرة ذلك، كما يقول "ان تخرج الفتاة متلاعبة خدّاعة جسورة الى درجة الوقاحة".(٤)

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١٤٠
(٢) المصدر نفسه ، ١٥٣
(٣) المصدر نفسه ، ١٥٦
(٤) المصدر نفسه ،

وتحدث نجيب في مقالته "انتقاء العروس"(١) عن المرأة الزوجة وجدد صفاتها. فاذا الجمال بنظره لا قيمة له لأنه يزول. واذا زال الحب مع زواله كان في ذلك نهاية مؤلمة. واما العافية فقد اعتبرها ضرورة من ضرورات الزواج. وأما التعليم فليس من الضروري، كما يرى ان تكون فيه المرأة مطلعة على فروع العلوم واصولها وانما يكفيها منه ما يلزم لآداب المنزل. والى جانب هذا اوجب نجيب ان تكون الفتاة لينة الجانب، دمثة الاخلاق، عفة اللسان، مهذبة الطباع.

وتحدث في عدد من مقالاته عن المرأة المنغمسة في حمأة الرزيلة. فالذي يبدو ان المومسات كنّ قد انتشرن في أرجاء المدن المصرية وأخذن في افشاء المفاسد. ويخبرنا جرجي زيدان في مقالته "آفات التمدن الحديث" ان تلك الظاهرة كانت نتيجة احتكاك المصريين بالافرنج اذ كان قد اطلق سراح المومسات في مصر ايام الفرنسيين ولم يتغير وضعهن بعد خروجهم منها. وعلى الرغم من تشدد محمد علي وسعيد في صيانة الآداب العمومية فان حريتهن ازدادت في أيام اسماعيل لكثرة من وفد مصر من الاجانب.(٢)

رأى نجيب الحداد في المومسات ضحايا ظروف قاهرة اذ لم يستطعن سد غائلة العوز والفقر فانسقن وراء الغواية لسد حاجة ملحة وعوز قتال. يقول "ونحن لا نلوم المرأة الساقطة في هذه الوهدة لاننا لا ندري تحت اى ثقل سقطت ولا اية يد من ايدى الاضطرار والحاجة دفعتها الى هذه المهواة البعيدة والحالة الدنيئة..."(٣) ورغم ما تصل اليه الموس من انسحاق وضياع فانها تظل، في نظره، "نقطة ندى صافية علقتها يد الصباح على غصن زهر يانع فما زالت يد الحوادث تهز ذلك الغصن، وريح المصائب والفقر تعبث بتلك النقطة النقية

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ١٥٠

(٢) الهلال ١٠: ١٠٩

(٣) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ١٢٤

الصافية ... حتى غلبتها جاذبية الاضطرار وفصلتها عوامل الاقدار فسقطت على التراب مهانة بدلا من أن يرشفها فم الفجر بشفاه الشمس والنسيم ... "(١) ولذلك فان نجيبا لم يدنها اذ دفعتها يد الفقر الى البقاء، ولم يحكم عليها اذ قهرتها عوامل الحاجة، ولم يحتقرها اذ اضطرتها الضرورة الى بيع العفة والحياء. ولكنه صب جام غضبه على الرجل الذى لم يشفق على الفتاة في ضعفها وانكسارها .

***

وليس بغريب ان ينتهر نجيب الحداد الشباب الذى جرفتهم تيارات الحضارة الدخيلة وخلفتهم على شطآن غريبة عليهم . فحين أخذت الحضارة الغربية تتسرب الى المجتمع المصرى، لم يسبر الشباب، اجمالا ، غور هذه الحضارة ولم يتمسكوا بما يفيدهم في نموهم الحياتي، ولم يعرضوا عن كل ما من شأنه ان يسيء اليهم، بل انغمسوا في ملذات الحضارة الوافدة، وتناولوا الخمور ، وجلسوا الى موائد القمار، وترددوا على الحانات ضاربين عرض الحائط بالتقاليد المتوارثة والعادات السائدة. يقول نجيب في مقالته "الشبيبة بمصر"، "لقد وجدنا اكثر الفتيان عندنا يرزق الواحد منهم راتبا ينفقه او ارثا لم يتعب في تحصيله فيقبل على الفتاة الحسناء من بنات الحانات او امثالها فينفق عليها فضلة ماله ويصرف اليها جل اوقاته ويوقف لها اميال فؤاده وخواطر افكاره وساعات فراغه وصحة شبابه ولا يصل دينار راتبه الى كيسه حتى يفرغه في كأس حانتها ولهو مغازلتها واضاعة قدره بينها وبين امثالها ... نقلا عن التمدن الحديث وتقليدا لذلك الزى الجديد ... "(٢) ويخاطب هؤلاء الفتيان بلهجة المؤنب الثائر على التقليد الاعمى للغرب الناقم على العبث والسطحية قائلا "مهلا فتياننا الأدباء النافحين

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١٢٤

(٢) المصدر نفسه، ٦٦

روائح وعطورا . المقلدين النساء زينة وزخرفة وزهورا . والخاطرين نقطا سودا في سماء المدينة وهم يحسبون انفسهم بدورا ... ان الفتى خلق ليزينه الادب لا ليزينة الذهب. ووجد ليحليه الكمال. لا ليحليه الدلال. وابدعه الله ليكون رجلا بين النساء لا امرأة بين الرجال ...(١)

كما اخذ نجيب الحداد على الشباب اهمالهم اللغة العربية واستعمالهم اللغة الاجنبية في مجالس لهوهم وجدهم. يقول "لقد وجدت اكثر الشباب في هذا العصر من الذين يدعون التمدن وينتحلون الاداب الغربية ويحسبون الوطنية من خلط الكلام العربي بالغريب واقحام الالفاظ الدخيلة من خلال العبارات العامة العربية ويظنون العرفان والاداب في الاكثار من الكلم الاعجمي ويحسنون الكياسة والظرف في مزجهم الافرنجي بالعربي ..."(٢) وهو يعتبر ان هذه الطريقة في الكلام تشين من يتبعها وتحط من قدر المتكلم بها.(٣)

***

اهتم نجيب الحداد بكل قطاعات المجتمع فشكا بلسان العمال والموظفين والأدباء والفلاحين وهاجم النظام الطبقي في مصر. فكتب عدة مقالات(٤) في وصف حالة عمّال الفحم في الاسكندرية وانتقد الحكومة لاهمالها اياهم، وشن هجوما على اصحاب العمل الذين سلبوا هؤلاء العمال اجرتهم، وهضموا حقهم. يقول "قد سلبهم المشايخ اجرهم فلا يكادون يبقون لهم من الاجرة ما يكفيهم من العيش كفافا او يتلمظون بالكسرة لماظا على عمل مستمر وشغل دائم وظلم لا تطيقه البهائم وضرب وعذاب وعرى وجوع وموت وضيق نفس وحشرجة صوت عن الشكوى .."(٥)

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١١٩
(٢) لسان العرب ، عدد ٧٠ سنة ١٨٩٤
(٣) المصدر نفسه
(٤) منها : لسان العرب، العدد ٣٤٣ سنة ١٨٩٥، العددين ٥٦٧، ٥٩٠ سنة ١٨٩٦
(٥) لسان العرب ، عدد ٥٦٧ سنة ١٨٩٦

وقد طالب الحكومة ان تتولى شأن هؤلاء العمال فتقيم لهم ادارة خاصة. كما اشار الى المجاعات التي عانوا منها والامراض التي انتشرت بينهم. وما فتىء يسهم في رفع ظلاماتهم للمختصين حتى الفت لجنة كانت مهمتها رفع تقارير الى الدوائر المختصة عما يحدث بين العمال.(١) الا ان هذه اللجنة لم تقض على التعسف والجور اللذين كان يعاني منهما هؤلاء العمال. فراح نجيب مجددا يطلع الرأي العام على المظالم اللاحقة بالعمال. قال: "أيها الناس ان مشايخ عملة الفحم اذا جرح احد عملتهم تركوه للطبيعة تداويه حتى يوفروا لأنفسهم ثمن الدواء وأجرة العلاج ... ويا ليتهم تركوا لذلك العامل من اتعابه ما يداوى به نفسه وان ثقل عليه المرض دفعوه الى حلّاق يتعلم به البيطرة ويدرس على جسمه فن الجزارة. فان شفي فالعمر طويل لا تقتله الشدّة وان مات فكلب قد مات او هرّة خانتها الحياة والرب أعطى والرب أخذ ... "(٢)

***

واهتم نجيب بحالة موظفي الدولة خاصة الصغار منهم. فقد ركز اهتمامه على مسألتين الاولى: ان رواتب صغار الموظفين من الضآلة بحيث انهم لا يستطيعون ان يؤمنوا لأنفسهم ضرورات الحياة. والثانية: ان هذا التقتير في رواتب الموظفين يدفع بهم الى الرشوة.(٣) فهؤلاء الموظفون قد يهضمون حق الرعية لا عن رغبة في الظلم ولكن عن ضيق في اليد. يقول: "فلا يصيبكم العجب ان أنتم سمعتم ان شرطيا ترك القاتل ينجو بنفسه وهو يراه نظير مبلغ يقبضه منه، وان رأيتم خفير السواحل يترك الاشياء الممنوعة تهرب الى البلاد مقابل مقدار من المال يقبضه خلسة"(٤) كما انتقد كبار الموظفين لانهم استأثروا بالزيادات التي ينالونها من مال الحكومة

---

(١) لسان العرب، العدد ٥٩٠ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه، العدد ٥٠٨ سنة ١٨٩٦
(٣) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ٣٤
(٤) لسان العرب، العدد ٧٩٠ سنة ١٨٩٧

دون اشراك صغار الموظفين فيها . يقول : "ايكون من العدالة والانسانية ان لا يرقبوا علاوة راتب الا لهم ولا يجروا النار الا الى اقراصهم لانها في حكمهم وتحت أيديهم ".[١] وقد انتصر نجيب لصغار الموظفين في قضية احالتهم على المعاش.[٢] فقد كانت الدولة تحيل الموظف على المعاش لتحل مكانه الاجنبي مدعية ان عمر الموظف او حالته الصحية لا تسعفه على الاستمرار في العمل.

وانتقد نجيب الحداد كبار الموظفين لاستغلالهم مراكزهم في الدولة. فقد كان البعض منهم يفرض على اصحاب المصالح، اموالا لتلبية رغباتهم ويلجئون الى المماطلة والتسويف في قضايا البعض حين لا يأملون تحصيل نفع مادي.[٣] كما انتقدهم لقطعهم على انفسهم الوعود في توظيف من يلتجئ اليهم طالبا الوساطة فيعدونه بذلك، ولكن طالب الوظيفة لا يجد من هؤلاء الكبار الا المماطلة والوعود الجديدة. قال نجيب الحداد في هذا الصدد : "وينقضي الشهر ويتلوه العام والرجل يمضي ويأتي ويروح ويرجع والوعد خيال باطل نصب عينيه والفقر حقيقة محسوسة يشعر بها في يديه وبين جنبيه ولا هو ذو أمل فيرجو ولا ذو بأس فيسلو..."[٤]. ووجه نجيب الى هؤلاء الموظفين تأنيبا بقوله "فما ضرّ اعيان رجالنا اصحاب المواعيد الطويلة والمطل المستمر لو اوقفوا هذا الموعود على حد معلوم اما رابحا او محروما واما امساك بمعروف او تسريح باحسان... اليس ذلك اولى من ان يتقاذفوا ذلك البائس المسكين بين الذهاب والاياب والأمل واليأس والتعطيل والمطل وقضاء الايام على وعود فارغة وحاجة ملانة واماني باطلة يكسب من بعدها حرقة الخيبة ويكسبون منها دعاء الخائب المظلوم..."[٥]

* * *

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٣٦
(٢) لسان العرب، العدد ٤٣٧ سنة ١٨٩٦
(٣) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٤٠
(٤) المصدر نفسه، ٤١
(٥) المصدر نفسه، ٤١

وقد هاجم نجيب الحداد النظام الطبقي في مصر فشعر مع الطبقات الدنيا لما تقاسيه من شظف العيش وما تكابده من قحط مالي. قال في وصف الطبقة المعدمة: "انظر الى حال التعيس القاعد به العدم في مرابع شقائه. الساحب الدهر عليه ذيل فقره وعفائه. والمتقلب في اعطاف المحن والبؤس لا يعلم بما يشعر به الغني من هنائه. الراكب رجليه يقوده زمام الحاجة خببا. الغارق في تيار العوز لا يكاد يرجو الى خلاصه سببا النائم على بساط الارض يلتف مشقة وتعبا..."(١) والى جانب هذه الصورة البائسة يطالعنا بالصورة المناقضة لها، صورة الرجل الغني بخيلائه وكبريائه، بصلفه وقسوته، فيقول عن الغني "الساحب ذيل خيلائه على بني الانسان نظراته. المتقلب في اعطاف النعمة والهناء لا يحس مما في الدهر من شقائه. الراكب الخيل الجياد تجرى به عنقا. السابح في بحار الغنى والترف يكاد يشكو فيها غرقا. النائم على مشايا الحرير والدمقس الناعم..."(٢) ويشير الى انه ليس من هم لهؤلاء الا قنية يقتنونها او رغبة يقضونها او زينة يزخرفون بها شوامخ قصورهم او أثرا قديما يبذلون في سبيل الحصول عليه اموالا طائلة او صورة متقنة يزينون بها منازلهم".(٣) كما صور العلاقة التي كانت تقوم بين هاتين الطبقتين بقوله: "يحسبون (الاغنياء) الخادم عبدا ويجدون العامل رقيق الحاشية فيظنونه رقيقا ثم يذهب بهم الوهم الى انه متاع ساقط في ايديهم، وشيء صار الى ملكهم، وآلة تهان في سبيل كرامتهم، وتعمل من اجل راحتهم وتذل درجات لارتقاء معزتهم وهلم جرا..."(٤)

وراح نجيب يؤكد على قيمة الطبقة العاملة في حفظ كيان المجتمع ودفع عجلة التقدم والحضارة. قال " ان الفقير اشد لزوما منه (الغني) في مجتمع الانسان، وان العامل المتوسط

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ٩
(٢) المصدر نفسه
(٣) لسان العرب، العدد ٢١٤ سنة ١٨٩٥
(٤) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ١٣

هو المخترع النافع للبلاد والجندى المدافع عن الاوطان· وانه لم ينبع من علماء الارض وفلاسفتها الا من كان متوسط الحالة او صفر البنان... "(١) وطالب الاغنياء ان يكونوا أكثر عدلا مع المستخدمين وان ينظروا نظرة احسان ورأفة لمن يكدون النهار وأطراف الليل لتحصيل قوتهم· يقول "واعرفوا انه يأخذ منكم اجرة عمل مثلا بمثل وانه لم يكن عندكم عبد رق ولا تغتنموا حاجته اليكم فرصة لاذلاله والجور عليه ولا تبخسوا حقه وانتم تبصرون لأنه محتاج اليكم... "(٢) كما طالب الاغنياء بالاقتداء باغنياء اوروبا فحثهم على اقامة المعامل والمصانع التي من شأنها ان تعود عليهم وعلى بلادهم بالخير· يقول "تجعلون اموالكم موردا حلالا لكم ولسواكم يكسب به فقيركم ولا تخسرونه وتبذرونه حبا مباركا في ارض العمل فيجتني من ثماره كل عامل اجرة عمله وتجنون انتم ما تريدون فان الرزق لم يخلق ليكون دفين الاطماع وأسيرا الغايات... "(٣)

***

وكتب نجيب الحداد عدة مقالات للتخفيف من حدة التعصب الديني الذى بدأت ملامحه تظهر بوضوح في الربع الاخير من القرن التاسع عشر· ولعل من الاسباب التي دعت الى ظهوره كون الدولة المحتلة مسيحية، في الوقت الذى كانت فيه مصر تعتبر نفسها عثمانية· أضف الى ذلك ان الكثيرين من الذين طالبوا باصلاح الاوضاع في الدولة العثمانية كانوا من المسيحيين السوريين الذين هاجروا الى مصر في أواخر القرن التاسع عشر هربا من التعسف العثماني، والتناحر الطائفي في بلادهم· فكان بين هؤلاء من تشدد في نقده للدولة العثمانية على موالاة الغرب· ولم يعدم العثمانيون من يدافع عنهم بين الصحفيين المسلمين في مصر· وهكذا سهل ان يتحول الحوار بين الطرفين تدريجيا الى مشادة شبه طائفية، خاصة وان الدعوة الى الجامعة الاسلامية

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد: ١٠
(٢) المصدر نفسه، ١٤
(٣) لسان العرب، العدد ١٩٨ سنة ١٨٩٥

في هذه الفترة كانت على اشدها،فلم يندر ان وصف الصحفيون السوريون الموالون للعرب بأنهم "جماعة من المارقين الكافرين الذين يكرهون الترك والمسلمين... "(١) ووصفت المؤيد جبهة المقطم بقولها : "هؤلاء ابعد عن الوطنية بعد الثريا عن الثرى، وعن الشفقة بنا أقرب من شفقة الصل على الانسان. والمصيبة ان الدهر قد تعهد مصر الصبورة بكل البلايا والرزايا. ولم يكن ينقصها الا جرائد الفتن والعداء.(٢) وتحدثت المؤيد عن تعصب الدول المسيحية ضدّ الامة الاسلامية فقالت: "ألم يصل الى آذانكم صدى الخطب الغلادستونية الناطقة بالتعصب ضد الامة الاسلامية يحرض بها الدول الاوروبية على تمزيق الممالك العثمانية؟ ألم تحظ أناملكم ما يتلوه كل آونة وزير الوزراء على نواب الجمهورة البريطانية من وجوب قيام حكومتهم للاخذ بناصر الشعوب المسيحية ذريعة الى فصل الارمن من جسم الجامعة العثمانية؟ او لم يطلب التيمس بالأمس تعاضد الدول الاوروبية على مصلحتها ضد ما سماه العدو العام ولقبه بالتعصب الديني؟ ألم ير مسيو ويست البلجيكي ان من المهم وجود دولة مسيحية في مصر للتأثير على الامم الاسلامية؟"(٣)

وقد انتقلت هذه المشاحنات من نطاق الصحافة الى صفوف الشعب. فظهرت الانقسامات بين الصفوف، وبرزت المشادات بين الطوائف. وقد تحدثت جريدة بصير الشرق عن ذلك فقالت: "وقع النفور والبعاد والبغض والعداوة بين الذين كانوا يعيشون فيها (الدولة العثمانية) كما يعيش الاخوة في حضن ام واحدة من ترك وعرب وكرد وأرمن وبلغار وغيرها من ٦٠٠ سنة الى هذا العهد وباتت الامة في نزاع وصراع لا تفكر بما تأتيها به الايام كالخراف في الحظيرة تتناطح ولا تفكر بسكين اللحام.. "(٤) وقد عثرنا على وصف لمثل هذه المنازعات في احد اعداد لسان

---

(١) المقطم، عدد ٢٠٠٨ سنة ١٨٩٥
(٢) المؤيد، عدد ١٤٩٧ سنة ١٨٩٥
(٣) المصدر نفسه، عدد ١٥٣١ سنة ١٨٩٥
(٤) نقلا عن المقطم، عدد ٢٠٠٨ سنة ١٨٩٥

العرب جاء فيه ذكر لما قام به بعض أهالي بور سعيد "مر الرعاع وأمامهم رجل يحمل راية وعليها صورة يزعمون انها صورة أدهم باشا وهو يصيح بأعلى صوته بنصر المسلمين وانكسار النصارى وشتم دينهم وتكسير صلبانهم والذين وراءه يجيبون بترديد عباراته وكلما وصلوا الى شارع تبعهم صبيانه ورعاعه ... وكل ذلك يجرى على عين الشرطة وسمعها وهي كالأصنام لولا أنها تتحرك، ولم يكد يخيم الظلام حتى تألف موكب أكبر من الذى سبقه وفعل ما فعلوه في النهار من شتم وسب... "(١)

ماذا كان موقف نجيب الحداد من هذا النزاع ؟ اعتبر نجيب التعصب اللاديني عنوان مجد وسعادة فقال "لولا تعصب كل صانع الى صناعته وانحياز كل عامل الى حرفته لما نشأت المباراة بين الافراد والشعوب ، ولا اكتمل نظام الدنيا بالتجديد والتحسين. ولكن ذلك لا يصح على التعصب الديني اذ يقضي في يوم واحد على ما بناه التعصب المدني في قرون.(٢)" وهذا يبين لنا مقدار تحرر الحداد من ربقة التعصب الديني، وكرهه للنتائج السلبية التي تترتب على انتشاره.

سلكت مقالاته في محاربة التعصب ابعادا ثلاثة: اولها : تأكيده ان الحرب القائمة بين الدول المسيحية والاسلامية ليست في الحقيقة لغايات دينية، بل هي لأمور أبعد من ذلك بكثير. ونورد مثلا على ذلك رده على الذين اتهموا انجلترا بالتعصب الديني لأنها ناصرت الارمن فقال : "ان ذلك عين الباطل والغرور فلو كانت انجلترا تريد ان تتذرع بالتعصب الديني من أجل اذلال الدولة العثمانية او امتلاك بلادها لكان معها اكثر دول اوروبا لانها ليستوحدها مسيحية. ولو كان الانتصار للارمن عن تعصب لكانت روسيا اولى الدول. فهي تفتخر بحماية

---

(١) لسان العرب، عدد ٨٨٠ سنة ١٨٩٧
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٣٤٥ سنة ١٨٩٥

المسيحيين . . . "(١)

ثانيها : حثّه الصحافة على ان تقف موقفا مسؤولا في سبيل تثقيف الناس، واثارة عقولهم، ولم شملهم بدلا من بث الفرقة بين الصفوف ، وايغار الحقد في الصدور فقد انتقد في مقالته "جرائد اليوم "(٢) ذلك الاتجاه الهدّام الذى عزته) الجرائد ، باعتمادها السب والشتم، والاندفاع في القبيح من التعابير التي تنم عن التشفي والحقد الدفين.

وثالثها : تذكيره الدولة بما يقتضي عليها القيام به من جمع للقلوب وتأليف للخواطر. وقد بعث برسالة على صفحات لسان العرب بعنوان "لماذا احتللتم مصر "(٣) ساق فيها الحديث الى اللورد كرومر مشيرا الى انتشار التعصب في ايام حكمه قائلا : "ما لنا نرى البلاد قد انقسمت تحت رعايتكم اقساما بين المسلم والقبطي والسورى وقد كانت لا تشعر بشيء من هذا الداء قبل نزولكم السعيد . . . فاذا كانت سياستكم في مصر او سياسة بقائكم فيها تقضي عليكم بأن لا تستريح البلاد في أيامكم ولا يصلح فيها الا ما كان مفيدا لكم وهو ماليتها وزراعتها، وما كان مضرا بأهلها وهو تعصبهم وانشقاقهم فنحن لا نستحي ان نقول لكم ان سياستكم هذه مضرة بنا كلنا وأنكم قد دخلتم بستاننا فلم تكتفوا بأن قطفتم ثماره لأنفسكم بل كسرتم اشجاره كلها لكي تقولوا ان البستان لا يزال محتاجا وأن وجودكم فيه لازم لتقويم اغصانه . . . " ويقترح في هذه الرسالة الغاء الجرائد كلها من المؤيد الى المقطم الى الاهرام الى لسان العرب اذا كان في ذلك ازالة للمماحكات وخنقا للمهاترات ، ورأبا للتصدع .

وهكذا فان نجيب الحداد لم يشترك في تلك الخصومات الصحفية التي اثيرت حول التعصب،

---

(١) اطلبها في : لسان العرب ، عدد ٣٤٨ سنة ١٨٩٥
(٢) لسان العرب ، عدد ٦٩٦ سنة ١٨٩٦

بل انه على العكس من ذلك قد أسهم اسهاما فعّالا في اخماد نيران الضغائن التي أثارتها الصحافة المتحيزة. كما طلب من الحكومة ان تتحمل مسؤولياتها في تلك القضية.

***

وكثيرا ما تخطت مقالة نجيب الحداد حدود المجتمع المصرى وقضايا المواطن العربي الى دائرة أعم وأشمل هي دائرة المجتمع الانساني الاوسع. فبينت ما يعاني فيه الفرد من آلام وأحزان في صراعه من أجل التحرر والانعتاق.

ان من ابرز ما كان يعانيه الفرد في أواخر القرن التاسع عشر، بغض النظر عن جنسه أو دينه أو لونه، كثرة الحروب التي أثارها العد الاوروبي في توسعه على حساب باقي الشعوب: فمن المسألة الشرقية، الى حرب الحبشة وايطاليا، الى مشكلات الشرق الاقصى بين الصين واليابان، والى امور فرعية اخرى ليس هنا مجال حصرها.

ترك لنا نجيب الحداد وصفا لما عاناه الانسان سنة ١٨٩٤ من جراء هذه الاجواء المشحونة بقوله "سنتنا الماضية (١٨٩٤) حلت فيها المصائب عقودها واستغرقت لها الايام مجهودها واعارتها الليالي سوءها وانطلق القدر يجرى على الناس بنحوسه وأسوائه والزمان يريهم صباحه كمسائه والانسان يقتل نفسه بنفسه وأنى تطلعت لا ترى الا حروبا استعرت ودماء هدرت كأن الله قد غضب على الانسان ولم تأزف القيامة بعد... فلقد نشبت الحرب بين الصين واليابان ولها من عامنا اثنان والتقى فيها بنوا الارض يحاربون جيرانهم بني السماء وما اقتلعت الحرب عنهم حتى غاضت دماؤهم واستووا على الدماء، وتلتها وقائع الارمن تتلوها المنايا والحتوف يقتل الالف منهم وهو على ميعاد من الالوف حتى ملت القنا معتقلها واشتاقت السيوف الى اغمادها..."(١)

---

(١) لسان العرب، عدد ١٣١ سنة ١٨٩٥

وقد دفعه انغماس الانسان في التقتيل الى التأمل في الحرب ومساوئها، فكتب في وصف المعارك قائلا : "انظر الى ساحة اومضت في سماء قتامها بروق الصوارم. وجرت في جوانبها سهول الدماء يسكبها سحاب الجماجم. ودوى فوقها رعد المدافع يصب صواعق كراته على الاجسام. وعصفت بها ريح المنية فما يطير لها غبار الا من السواعد والهام. وامتنعت الشمس من مرأى الارض فغطت وجهها بنقاب من الدخان واحمرت الارض من مظالم ابنائها خجلا فاذا هي وردة كالدخان ".(١)

وبعد ان يعطينا وصفا للمعركة من الخارج ينتقل بنا الى سيكولوجية المحارب مبينا ما تفعله الحرب في نفس الانسان اذ تحل القسوة فيه محل الرحمة فينقلب حيوانا ضاريا. "تمشت سكرة القسوة في ايدى الضاربين فما تطلب مقيلا غير الرؤوس وطارت قلوب العسكريين شعاعا فتلتها العيون حيارى وطاشت عقول الجيش التياعا فترى الناس سكارى وما هم بسكارى واستحال القلب حديدا فما تدخله رحمة ولا حنان وعاد الانسان حيوانا ضاريا فما يرده اخاء ولا احسان... "(٢)

ثم يعكف على تصوير ما تفعله الحرب في تشويه جسد الانسان ونفسه فيقول : " وثارت الخيل غائرة ترسم سنابكها على الجباه والصدور. وتردت فرسانها ساقطة فاحتملتها العقبان والنسور. ورفرف ملك الموت على القلب والجناحين فماتت تحته الخوافي والقواد...وتصور كم هنالك من جراح دامية وكبد حرى. وكم ساقط خضيب يضم على جنبيه يدا ويودع بالاخرى وكم صريع رمته الايدى فأجهزت عليه الاقدام وكم جريح كفنت جسمه الدماء ثم دفنته اكداس الاجسام..."(٣)

---

(١) الحداد ، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٥٧
(٢) المصدر نفسه ، ٥٨
(٣) المصدر نفسه ، ٨٣

وقد تتبع المجازر التي لحقت بالشعب الارمني سنة ١٨٩٤ وبالشعب اليوناني سنة ١٨٩٧. ولئن تحدث عن تلك المجازر الرهيبة فقد رمى الى هدف ابعد من تبيان قسوة العثمانيين وظلمهم. لقد اراد - الى جانب ذلك - التعبير عن أزمة الانسان فكأنما جرح ضمير الانسانية في كل أرمني مغبون، ويوناني مقهور. وها نحن نورد جزءا من مقالته بعنوان "شقاء اليونان"(١) عبّر فيها عن موقفه من حربهم مع الاتراك" لقد بلغ امر اليونان في هذه الحروب الحاضرة الى حال لم يعد يتحملها الصبر ولا تستطيعها اللجاجة والعناء بل هي حال ليست الخسارة فيها مدّة تنقضي فتتجدد او مالا ينفق فيستعاض بل ان خسارتها رؤوسا لا تنبت بعد الغرس وجسوما لا تصلح بعد النفس... انهم كل يوم الى وراء وكل ساعة في خسارة وفناء حتى باد معظم جيشهم وفني اكثر رجالهم ودهست جل عزائمهم".

وتأثر نجيب الحداد عندما علم ان حوادث استرقاق قد حدثت في مصر. ويبدو ان القرار العام الذى اتخذ في مؤتمر بروكسل سنة ١٨٩٩(٢) لالغاء الاتجار بالرقيق لم يضع حدا لتلك التجارة الظالمة. فالعمل الذى مارسه الانسان منذ اقدم العصور لم يكن بالسهل ان يتخلى عنه دفعة واحدة، فقد استمرت محاولات متفرقة لممارسة هذه التجارة. وقد كتب نجيب الحداد مقالته "الرقيق"(٣) على اثر حادثة استرقاق جرت في القطر جاء فيها "(الرقيق) تجارة اولى بأن تسمى بربرية نسبة الى العاملين بها من النخاسين بانهم برابرة الطباع لا نسبة الى المظلومين فيها وان كانوا برابرة الاجناس اذ ليس في الدنيا أظلم ممن يسترق امثاله ويستعبد بشرا خلقه الله واياه واحدا في الصورة والتركيب وتفاهم اللغة وجامعة اللسان..."(٤) وقد دفعه ايمانه

---

(١) لسان العرب، عدد ٨٣٠
(٢) معاهدة الرق (بغداد : مطبعة الحكومة، ١٩٢٧) ٤
(٣) اطلبها في الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٢٠
(٤) المصدر نفسه

بحق كل انسان بحياة كريمة ان يصور ما يعانيه الارقاء من جور وقسوة فقال : "يؤخذ الابن من أبيه وتفرق البنت عن امها وينزع الاخ من جنب اخيه والصديق عن انس صديقه ثم يساقون جميعا كما تساق الابل في عرض تلك الصحارى القاحلة والرمال المحرقة والهاجرة الشديدة والشقة البعيدة لا يسترهم لباس ولا تقيهم مظلة ... ولا يبلغ انين مسكينهم الى قلب شفيق الا رجالا خلقت قلوبها من حديد تضرب في اقفائهم كانها تضرب على اوتاد لا على اجساد . وتدوس الساقط منهم بارجلها كما تدوس على الجماد حتى تجوز تلك المجاهل وقد تركت خلفها من اجساد قتلاها تلولا بل تركت من سوء اعمالها آثارا عظاما ومن قسوة قلوبها على صفحات هاتيك الرمال دليلا ... "(١)

وينتقل نجيب الحداد الى وصف ما يعاني منه هؤلاء العبيد في المراكب ويبين كيف يحشرون في غرف ضيقة قذرة الرائحة مغلقة النوافذ فقال : "هنالك يرى الناظر من أنواع العذاب ما تقشعر له الابدان وهناك لا تبصر العين الا عبيدا تحت حديد او حديدا على عبيد ولا يطرق الاذن الا زفير بكاء وشهيق يستغيث بمن له قلب... "(٢) ثم وصف بألم حالة العبيد في المراكب التي كانت تقلهم فكتب يقول : "يزجونهم (التجار) في غرف من مراكبهم ضيقة المجال دانية السقوف قذرة المكان مسدودة النوافذ او لا نوافذ فيها حتى يتكدسوا بها جماعات اجساما بعضها فوق بعض، لا يستطيع الجالس منهم وقوفا ولا الواقف جلوسا ولا المائل اعتدالا ... فيندق العظم بالعظم ويرن القيد على مثله رنة الأنين والشكوى من ذلك الظلم ... "(٣) ودعا نجيب مصر الى ان تكون في جفلة الساعين لمنع الرق معتبرا انه ليس هناك مرحمة افضل من تخفيف العذاب ولا في منافع الحرية كتحرير الرقاب.(٤)

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٢١ ـ ٢٢
(٢) المصدر نفسه ، ٢١ ـ ٢٢
(٣) المصدر نفسه : ٢٣
(٤) المصدر نفسه ، ٢٣

ولم تمر مأساة اصابت الانسان في اى مكان من المعمورة الا وتجاوب نجيب معهـــا ٠ فتحدث عن الانسان الجائع مستوحيا في ذلك ما مني به العديدون من اهل موسكو يوم تتويـج القيصر من موت ٠ كما تحدث عن الحريق الذى شب في اوبرا كوميك في باريس وأفقد البـلاد بعض مفكريها واشرافها ٠ كما تألم لما وقع في بعض الابرياء في باريس عندما التهمت النـيران سوق الشفقة في شهر أيار من سنة ١٨٩٧ ٠ وبكاهم نجيب شعرا ونثرا ٠(١)

***

هذه هي اهم المضامين التي طالعتنا بها مقالات نجيب الحداد ٠ واذا رحنا نحكم عليها تبدى لنا فقد انها للضبط الايديولوجي المنهجي المحكم ٠ فهي بمجملها توجيهات وارشادات وانتقادات فيما يشبه المواعظ العامة ٠ وفي كثير من الاحيان كانت البلاغة اللغوية لهـــذه المقالات ابرز من حقيقتها الموضوعية، وصفة التعميم فيها ارجح كفة من صفة التخصيص، والخطابة المرتجلة اشد صخبا من البحث المتأني ٠ وهو بهذا لا يختلف كثيرا عن معظم الصحفيين فـي القرن التاسع عشر ٠

أسـلوب مقالتـه الصحفيـة:

أ‌- مدرسته الصحفية:

جمع نجيب الحداد في شخصه بين الصحفي والأديب ٠ فاهتم من جهة بتناقـل أخبار الناس، ووصف نشاطاتهم، وتسجيل حركاتهم، ورفع ظلاماتهم ٠ واعتنى من جهة ثانيـة بتصوير النفس، وتسجيل خلجات الوجدان، والحديث عن الخواطر الانسانية ٠ ولم يكن نجيـب بجمعه بين صفات الصحفي والاديب فريدا بين كتّاب عصره ٠ فقد غلب الربط بين الصحافـة

---

(١) انظر لسان العرب، العدد ٧٢٨ سنة ١٨٩٧، الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٥٤ ـ ٥٧

والادب على معظم نتاج كتاب القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من ان هذا الربط كأن شيئا مألوفا في المقالة الصحفية خلال النهضة الحديثة فانه لم يكن على نفس الدرجة مع جميع الكتاب. وقد درج مؤرخوا المقالة الصحفية في القرن التاسع عشر على تقسيمها الى أطوار.(١)

١. طور المدرسة الصحفية الاولى ويمتد حتى الثورة العرابية. ومن أشهر كتابه رفاعة الطهطاوى وعبد الله أبي السعود وسليم عنحورى. وقد كان اسلوب المقالة الصحفية في هذا الطور بما زخر به من محسنات غثة وزخارف معجوجة أقرب ما يكون الى اسلوب الكتابة في عصر الانحطاط.

٢. طور المدرسة الصحفية الثانية. ومن أبرز كتاب هذا الطور أديب اسحق وسليم النقاش ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وبشاره تقلا. وقد تحللت هذه المدرسة من السجع وأخذت تقترب بمقالاتها من حياة الشعب.

٣. طور المدرسة الصحفية الثالثة. ومن أبرز كتاب هذا الطور علي اليوسف وعبد العزيز جاويش وسليم سركيس ونجيب الحداد وخليل مطران. وقد خلصت هذه المدرسة المقالة الصحفية من قيود الزخرف اللفظي واطلقتها حرّة زاخرة بالافكار والمعاني.

وتقسيم المؤرخين للمقالة الصحفية في القرن التاسع عشر الى اطوار ثلاثة لا ينفي عن صاحب مدرسة معينة جميع صفات المدارس الاخرى، ولا يدل على ان هذه الاطوار تبتدئ او تنتهي بموت أحد كتابها. فالفترات الزمنية التي مرت بها هذه الاطوار قصيرة بحيث يصعب القطع بما لكل منها من صفات محدّدة. وعلى ذلك فالحاقنا الحداد بالطور الثالث لا ينفي

---

(١) استفدنا في تحديد هذه الاطوار من :
- حمزه، مستقبل الصحافة في مصر : ١١٦_١٢٧
- نجم، فن المقالة: ٦٤_ ٧٣

الاسلوبية
عنه البتة تسرب بعض صفات الطورين اللذين سبقاه/وسنبين فيما يلي السمات العامة التي انتظمت مقالته .

ب — ملامح فنية في مقالته الصحفية :

اولا :

يتناول نجيب الحداد مقالاته على نحو معين . فلمقالته ، غالبا ، مقدمة تحدد الموضوع وتبين القصد منه . وهو في هذا منسجم مع نفسه . فقد دعا الى ضرورة التخلص من الحوم حول المعنى والوقوع في الاطالة والشرح .(١) ومن شأن هذه المقدمة ان تضع القارئ في مناخ الموضوع الذى ستعالجه المقالة . فمثلا يفتتح مقالته "الانجليز لا تقف في سبيلهم عقبة وهم عقبة كل سبيل"(٢) بقوله : "لا نقصد بهذا العنوان سوى تقرير حقائق راهنة وسرد تواريخ ثابتة نبين من ورائها اعمال هذه الدولة واحوالها وما تنوى من المقاصد والغايات . وما مرّ لها من السوابق والاعمال، ليكون الماضي تبصرة للمستقبل والسابق عن للحاضر عن مزيد التأمل والاستبصار متبعين في كل جادة الصدق والصواب لا نميل مع غاية ولا نرمي الى غرض ولا نتعمد مدحا، ولا نقصد الى مذمة ولا بغية لنا الا فائدة الذكرى ومنفعة العبرة والتبصر لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ".

فواضح ان هذه المقدمة قد حددت للقارئ اولا : مادة الموضوع، ثانيا : القصد منه وثالثا : المنهج في كتابته . وقد يعمد نجيب الى ذكر اسطورة او حكاية مقدمة لمقالته جاعلا اياها توطئة للموضوع الذى يتحدث عنه .(٣) وقد تتضمن المقدمة تعريفا مباشرا بالموضوع الذى سيعالجه المقال . يفتتح مقاله الطلاق بقوله : "هو الحكم الفاصل بين

---

(١) راجع رأيه هذا في مقالته "خير الكلام" الاهرام، العدد ٤٦٥١ سنة ١٨٩٣
(٢) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ١٤ — ١٥

الزوجين اجازته بعض الاديان وحرّمه بعضها ولكل من الفريقين في اباحته وتحريمه حجج ..."(١) ويفتتح مقالة معركة سيدان بقوله : "هي المعركة الهائلة التي انصرم فيها حظ فرنسا ..."(٢) ومقالة الزواج بقوله : "الزواج هو الالفة التي تمتزج بها الروحان امتزاج الصهباء بالماء والهوى الذي يطلبه القلب كما يطلب الصدر الهواء ..."(٣) ويفتتح مقالته انتحار كليوبترا بقولـه : "هي الملكة المصرية التي اشتهرت بجمالها ..."(٤) وقد تأتي الافتتاحية بيتا او ابياتا من شعر ، او حكمة ، او مثلا.(٥)

ثم يدخل نجيب الى صلب الموضوع. وكثيرا ما يذكر مختلف الآراء التي قيلت فيه ثم يفنّد كل رأي، ويبين هفواته . ويعمد بعد ذلك الى الادلاء برأيه الشخصي . وقد لجأ الى مثل هذا الاسلوب ، بشكل خاص، حين طرق المواضيع السياسية، وعرض للقضايا الاجتماعية.

ثانيا :

لنجيب الحداد طريقة خاصة باختتام مقالته . وغالبا ما يختتم المقالة بحكمة او مثل او حديث شريف او آية قرآنية كريمة ينطوي فيها الموضوع بعبرته او خلاصته . وها نحن نورد امثلة من الجمل الختامية التي لجأ اليها :

"كل من سار على الدرب وصل "(٦)

---

(١) انظر مثلا على ذلك مقدمة مقالته "الغيرة" في :منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٣٦
(٢) المصدر نفسـه ، ٧٣
(٣) المصدر نفسـه ، ٨٢
(٤) المصدر نفسـه ، ١٠٣
(٥) انظر مقدمة مقالته "مجلس الشورى" لسان العرب ، العدد ١٣٥ سنة ١٨٩٥، ومقالته "خير الكلام" جريدة الاهرام، ٤٥٦١ سنة ١٨٩٣
(٦) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٥٦٤ سنة ١٨٩٦

" فما جزاء الاحسان الا الاحسان "(١)

"وانما الاعمال بالنيّات "(٢)

"والحمد لله من قبل ومن بعد "(٣)

"ووعد الصابرين كان مسئولا "(٤)

"وفوق كل ذى علم عليم "(٥)

"رحم الله عبدا علم فعمل والله لا يضيع اجر من احسن عملا "(٦)

"والسلام على من اتبع الهدى "(٧)

"والله حسبكم وهو المستعان على ما تصنعون "(٨)

"وقل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور "(٩)

"وخير جليس في الزمان كتاب "(١٠)

ثالثا :

اعتمد نجيب الحداد بعض انواع الصناعة اللفظية في كتاباته · ولعل السجع هو اوفر هذه الانواع، وقد جاء بعض سجعه قصيرا من النوع الذى عدّه ابن الأثير أحسن ضروب السجع.(١١) وقد جاء قسم من سجعه متساوى الفصلات فلا تزيد فيه السجعة عن

---

(١) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٤٧٩ سنة ١٨٩٧
(٢) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٥١٠ سنة ١٨٩٦
(٣) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٤٣ سنة ١٨٩٤
(٤) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٥٦٤ سنة ١٨٩٥
(٥) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٤٢٩ سنة ١٨٩٥
(٦) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ٥٧ سنة ١٨٩٤
(٧) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ١٩٨ سنة ١٨٩٥
(٨) خاتمة المقالة الافتتاحية في لسان العرب ، العدد ١٥٩ سنة ١٨٩٥
(٩) خاتمة مقالة " تعريب الروايات" الاهرام، عدد ٤٧٥٩ سنة ١٨٩٢
(١٠) خاتمة مقالة " مكتبة الثغر" جريدة الاهرام، عدد ٤٤٧٥ سنة ١٨٩٢
(١١) ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، (ط١، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩)، ١ : ٢٤١

الاخرى• كقوله "خلقهما الله ذكرا وأنثى، وأوصى باقترانهما ما اوصى • وجعل الحب عروقه الوثقى • فجعل الفؤاد له مأوى• "(١) وجاء بعض سجعه مختلفا في طول الفصلات كقوله : "قل للغني المترف السارح في مراتع نعمائه • الساحب ذيل خيلائه على بني الانسان نظرائه • المتقلب في اعطاف النعمة والهناء لا يحس بما في الدهر من شقائه • الراكب الخيل تجرى به عنقا • السابح في بحار الغنى والترف يكاد يشكو غرقا . . . "(٢) فقد جاءت كل من السجعة الاولى والثانية في "سبع كلمات والثالثة في اثنتي عشرة كلمة والرابعة في ست كلمات والخامسة في تسع كلمات• ولم نعثر له على سجع تزيد به السجعة الواحدة على العشرة الا في القليل النادر•

والتزم نجيب ، احيانا، لزوم ما لا يلزم، وهو على حد قول ابن الاثير "أشق أنواع السجع مذهبا وابعدها مسلكا "(٣) والمثل على ذلك قوله : "حمدا لمن علّم آدم الاسماء واورث الجنة من عباده من يشاء اما بعد يا جهابذة المصريين، وأساتذة الدنيا والدين فاني أراكم قد بالغتم في المناظرة على الاحتلال حتى بلغتم الى المهاترة في الجدال• فمنكم من زعم انه جلّاب البلايا، وجذاب الرزايا ومنكم من قال انه المن والسلوى والموهبة التي ليس من بعدها بلوى• اما انا فأرى الحقيقة لا تزال مدفونة في غمار الاغراض وتجاذبتها السنة القوم في كل مكان حتى خلطوا منها السواد بالبياض• وقد كنت آسيت النقص من هذه العلة وأرويتها قراح الاعتدال بعد ان كانت من الغلو في علّة• فصرت أصدق من القطة اذا تكلمت واشفق من العفاة اذا تحكمت . . . "(٤)

---

(١) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٧٥
(٢) المصدر نفسه، ٩
(٣) ابن الاثير، المثل السائر، ١ : ٢٦٩
(٤) لسان العرب، العدد ١٦٣ سنة ١٨٩٥

رابعا :

اكثر نجيب في مقالاته من الاستشهاد بالابيات الشعرية وتضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وقد كان أحيانا، اذا ما استشهد ببيت من الشعر، يذكر اسم قائله، وفي كثير من الاحايين يغفل عن ذلك اما نساة له، او جهلا به، او قصدا منه. وقد عثرنا على نحو من مائة بيت من الشعر مضمنه في مقالاته، بعضها رددناه نحن الى أصحابه وبعضها أرفقه الحداد باسم قائله. ووجدنا ان معظم تلك الاشعار من وضع : عنترة، وعمر بن كلثوم، والنابغة الذبياني، وامرئ القيس، وطرفة، ومجنون ليلى والعرجي، وجرير، وأبي تمام، والمتنبي، وأبي نواس. وقد استشهد احيانا باشعار المحدثين كاليازجيين وشوقي.

والأمثلة على تضمين الآيات القرآنية في مقالات الحداد متوفرة. وها نحن نورد أمثلة على ذلك. ورد في مقالته مجلس الشورى[١]: "فاشكر رجاله عليه شكر من طلب فنال ولئن شكرتم لنزيدنكم[٢] والشكر خير خواتم الاعمال" وجاء في مقالته "ملجأ الفقراء"[٣] قوله : "تلك هي الدار من بذل على بابها حسنة فقد بنى مثلها في الآخرة وذلك هو الاحسان الصحيح على المستحقين من ابنائه ومن يصنع مثقال ذرة خيرا يره"[٤] وكتب في مقالته "الجمهورية الفرنسية"[٥] "وما هي الا ساعة صبر أصحابها على وقع الصوارم بين اجسام الواقفين وكم فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله والله ولي الصابرين"[٦]

---

(١) الاهرام، العدد ٤٨٠٨ سنة ١٨٩٣
(٢) صورة ابراهيم : ١٧
(٣) الحداد، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٢٨
(٤) صورة الزلزلة : ٧
(٥) الاهرام : ٤٤٣١ سنة ١٨٩٢
(٦) صورة البقرة : ٢٤٩

خامسـا :

لقد طبق نجيب الحداد على انتاجه الصحفي ما قرره بشأن لغة الجرائد اذ طالب ان تكون عبارة الصحيفة سهلة البيان قريبة المأخذ فصيحة التركيب. فلم يقع في مغبة التعقيد ولم يمل الى استعمال وحشي اللفظ. كما انه في الوقت ذاته، حافظ في كتاباته على أسلوب سلس محكم التركيب أنيق العبارة، حتى صحّ فيه قول مارون عبود "كان يعجبنا الحداد لسهولته وليونته ... ونثره كالشعر في التخيل وصفاء العبارة وموسيقاها ".(١)

سـادسـا :

لنجيب الحداد مقدرة ملحوظة في التلاعب بحروف الجر. وقد ردّ مارون عبود هذه الكفاءة لتأثر نجيب بكتاب القرن الرابع وخاصة ابن العميد.(٢) وها نحن نورد مثـلا على ذلك. قال في معرض حديثه عن جريدته : "عاد الساعون عليها والواشون بها والمريدون لها شرا عودة هي بئس المعاد الى بئس المهاد.(٣)

سـابعا :

لجأ نجيب الحداد في اسلوبه الى ضرب من التفريع. فاذا تحدث عن موصوف ما اكثر من احاطته بوصف شامل واف في عبارات طويلة مترادفة، ثم يتحول بعد ذلك الـى تتمة العبارة الاصلية. ومثالنا على ذلك قوله : "قل للغني المترف السارح في مراتع نعمائه . الساحب ذيل خيلائه على بني الانسان نظرائه . المتقلب في اعطاف النعمة والهناء لا يحس بما في الدهر من شقائه . الراكب الخيل الجياد تجرى به عنقا . السابح في بحار الغنـى

---

(١) مارون عبود ، رواد النهضة الحديثة، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٥٢) ١٥١
(٢) المصدر نفسـه : ١٥٢
(٣) لسان العرب ، عدد ١٢٠ سنة ١٨٩٤

والترف يكاد يشكو فيها غرقا ٠ النائم على حشايا الحرير والدمقس الناعم ٠ المتنعم بما لديه من ملذات الحياة بين المشارب والمطاعم ٠ قف هذا النظر الذاهب في السماء قليلا ٠ ومل بتلك النعمة التي تجر من فضول اثوابها ذيولا ٠ على فقير يسأل منك رحمة ويسترحم منك سولا ٠٠٠ وانظر الى التعيس القاعد به العدم في مرابع شقائه ٠ الساحب الدهر عليه ذيل فقره وعفائه ٠ المتقلب في اعطاف المحن والبؤس لا يعلم بما يشعر به الغني من هنائه ٠ الراكب رجليه يقوده زمام الحاجة خببا ٠ الغارق في تيار العوز لا يكاد يرجو الى خلاصه سببا ٠ النائم على بساط الارض يلتحف مشقة وتعبا ٠ الضعيف عن طلب رزقه بمساعيه والعاجز عن ان يقول واحربا ٠٠ "(١)

هذه الميزات من مقدرة على رسم مخطط تتحرك في نطاقه المقالة، الى كفائة في التضمين، الى تقفل للموضوع ، الى تمرس باستعمال حروف الجر ، وأصالة في سبك الافكار في قوالب لفظية تدنو من القارئ على غير تعقيد او تقعر ، والجنوح الى ضرب من التقريع الأنيق، هذه كلها قد جعلت من نجيب الحداد كاتبا صحفيا ذا أسلوب خاص بين كتّاب القرن التاسع عشر ٠

---

(١) الحداد ، منتخبات الشيخ نجيب الحداد : ٩

الشيخ
نجيب الحداد
حياته وأدبه

تأليف

هاني هلال خوري

رسالة قدمت لنيل درجة استاذ في الآداب
الى دائرة اللغة العربية
الجامعة الاميركية في بيروت

شباط ١٩٦٩

الفصـــــل الرابـــــع

نجيـب الحــــداد : المترجــــم (١)

القصـــة

الفصل الخامس

نجيب الحداد : المترجم (١)

القصــة

I تمهيد :

كانت الترجمة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر قد نشطت بشكل ملحوظ . فقد واصلت الحكومة المصرية في عهد الاحتلال تشجيعها للمترجمين الرسميين لتؤمن خدمات تتعلق بشؤون التعليم ومصالح الدوائر.[١] الا ان فريقا من المترجمين، وجلهم من السوريين، قد تخطوا بالترجمة خدمة مصالح الدولة وحاجاتها، الى ترجمة المؤلفات الادبية. وقد لاقوا من الاقبال على مترجماتهم ما شجعهم على المضي في هذا المضمار.[٢]

ولئن اعتنى المترجمون بمختلف العلوم والفنون بشكل عام، فانهم بذلوا جهودا خاصة لنقل القصص والمسرحيات الى العربية بشكل خاص. ولعل السبب في التركيز على ترجمة هذين الفنين عائد الى تيقن المترجمين من استعداد الفرد العربي لتذوقهما اكثر من غيرهما من الفنون الاخرى. وقد كانت الرواية القصصية المترجمة تنشر في ذيول الجرائد والمجلات كالاهرام والمقتطف والهلال واللطائف،[٣] لتجذب اليها مزيدا من القراء.

وكانت الرواية المترجمة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر تؤخذ في الغالب من

---

(١) جاك تاجر ، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، (القاهرة: دار المعارف بمصر ، لا ت) ١٢٤
(٢) المصدر نفسه
(٣) انظر حصيلة ما نشرته هذه الصحف والمجلات في : نجم، القصة في الأدب العربي الحديث ٦ ــ ١٣

الفرنسية[١] والانجليزية ولا سيما الاثنين من أشهر الكتاب في هاتين اللغتين هما اسكندر ديماس (الأب) ووالتر سكوت [٢] وكان نجيب الحداد احد الذين ترجموا عن هذين الكاتبين ٠

واهتم الادباء، والسوريون منهم على الاخص، بالترجمة للمسرح وتركزت جهودهم على نقل امهات المسرحيات من اللغتين الافرنسية والانجليزية ايضا ٠ وكان هاديهم في اختيار مسرحياتهم تلك شهرة المؤلف ومدى ملاءمته المسرحية للذوق العام ٠ فترجموا عن الافرنسية لراسين، وكورني، وموليير ، وفولتير ٠ بينما اتجه النقل عن الانجليزية الى مسرحيات شكسبير وبرنارد شو فيما بعد ٠ وقد كان نجيب من المترجمين الذين أمدوا القارئ العربي بعدد من القصص والمسرحيات المترجمة ٠

سنحاول ان نتعرف فيما يلي الى مفهوم نجيب الحداد لفن الترجمة ومدى التزامه للمبادئ النقدية التي طالعنا بها في بعض مقالاته ٠ وكذلك سنتعرف على الآثار التي نقلها، ونأتي على ذكر الدوافع التي حدت به الى الاكثار من الترجمة ٠

II مفهوم الحداد لفن الترجمة :

يرتبط مفهوم نجيب الحداد للترجمة بمفهومه لطبيعة العلاقات القائمة بين اللغات ٠ فبينما يرى ان اللغات الاوروبية متشابهة فيما بينها الى حد كبير من حيث التراكيب والاستعارات فانه يعتقد ان هذه اللغات تغاير في هذا كله ، اللغة العربية مغايرة شديدة ٠ ويعتبر ان النقل من لغة اوروبية الى لغة اوروبية اخرى لا يتطلب كبير عناء يقول : "انك لو

---

(١) انظر ما نقل من القصص الافرنسية الى العربية في :
Henri Peres, Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, V.III, (Paris: Librarie Larousse) 233-337

(٢) نجم، المسرحية في الادب العربي الحديث : ١٩٥

نقلت كتابا من الطليانية الى الفرنسوية لم تكد تحتاج في نقله الى الزيادة على ترجمة الألفاظ باعيانها ومواضيعها دون تغيير يذكر في أسلوب العبارة أو تنسيق مفرداتها على الوجه النحوى. اذ النحو في كلتا اللغتين متقارب لا يكاد يتباين الا في النادر، وضروب البلاغة الانشائية متشابهة لا يكاد يختلف فيها الذوق الا اختلافا يسيرا في مواضع لا تذكر"[١].

أما النقل الى اللغة العربية فيستلزم من المترجم اكثر من ذلك بكثير : يتطلب تبديل العبارة كليا وتقديم كثير من الالفاظ او تأخيرها. وربما اضطر الناقل الى تغيير الأصل برمته ووضعه في معنى يقاربه . وذلك لتباين ذوق الناس في التعبير وطرق الاستعارة.[٢]

وعلى ذلك فقد ميّز نجيب بين الترجمة والتعريب وأدرجهما معا تحت اسم النقل : وأطلق على النقل من لغة اوروبية الى لغة اوروبية أخرى اسم الترجمة، وعلى النقل من لغة أجنبية الى اللغة العربية اسم التعريب.[٣]

وضع نجيب الحداد بعض المقالات في الترجمة. ولكن هذه المقالات ليست على غاية من الوضوح والتنسيق فهو احيانا يمزج فيها الحديث عن ترجمة القصة بالحديث عن ترجمة المسرحية. وأحيانا أخرى يطلق تعميمات من شأنها ان تشوش القارئ فلا يعلم هل يقصد الحداد في كلامه ترجمة المسرحية أويعني ترجمة القصة. وعلى اية حال فاننا نستطيع القول ان المقالات التي تعرض فيها الحداد للحديث عن الترجمة قد عالجت نقاطا رئيسية ثلاثا : الأولى : مؤهلات المترجم ، والثانية : شروط ترجمة القصة ، والثالثة : شروط ترجمة المسرحية.

---

(١) البيان : ١:٢٠٢
(٢) المصدر نفسه
(٣) سنستعمل في هذا الفصل كلمة الترجمة بمعنى التعريب عند الحداد، ذلك لأن كلمة التعريب في مصطلحنا اليوم تعني اكثر من النقل الامين الى العربية

حصر نجيب كفاءة المترجم في نقطتين رئيسيتين : الاولى ان يكون متضلعا من اللغة التي يترجم عنها، عالما بمفرداتها، متمرسا بأساليب انشائها وتراكيبها. والثانية ان يكون متمكنا من اللغة العربية، مدركا لقواعدها، خبيرا في قوالبها، عالما بألفاظها.[(١)] واذا ما توفر للمترجم هذان الشرطان، وأراد ان يزاول هذه المهنة، فليتحقق من معرفته اليقينية من بلاغة العبارة في الاصل، ويتذوق سرّ روعتها وجمالها. ومتى وضح لديه الامر فلينقل العبارة الى العربية موفرا لها من الفصاحة ما لا يقل عن فصاحتها في اللغة الام. فان كان مصدر فصاحة العبارة في الاصل عائدا الى لفظها البليغ كان على المترجم ان ينقلها الى العربية في لفظ بليغ محافظا على سحر العبارة وروعتها. وان كان مصدر الروعة فيها المعنى الرقيق فليذكر ان نقله المعنى دون اكتراث لانتقاء الالفاظ المناسبة، تقصير عن ادراك الاستحسان.[(٢)]

ويبدو ان سواد المترجمين في زمن نجيب الحداد لم يتوفر لهم هذان الشرطان . فأخذ عليهم ممارستهم هذا الفن دون ان يتهيأوا له ودلّ على النتائج السيئة التي انساقوا اليها. فجهلهم اللغة التي يترجمون عنها قادهم الى سوء فهم للنص الاصلي، وتوهم لمعان لا وجود لها على الاطلاق. وعدم تمكنهم من العربية أدى بهم الى احد امرين : اما الجنوح الى ركيك الالفاظ وسفاسف الاقوال، واستعمال العامي من الكلام، او الغريب منه ، واما الى استعمال استعارات غريبة، وألفاظ وحشية. وقد نصح نجيب اولئك الذين جنحوا الى الامر الاول ان يكثروا من مطالعة الكتب لكي يتمكنوا من مناهج التعبير ، وسلامة السبك. وذكر الذين مالوا الى التقعر والتصنع ان غرابة الالفاظ لا يجعل الكلام فصيحا اذ الجودة، في

---

(١) الاهرام، العدد ٣٨٨٦ سنة ١٨٩٠

(٢) المصدر نفسه .

رأيه ، تكمن في "غرابة التراكيب وابداعها وحسن انقسامها وسهولة فهمها ".(١)

واشترط نجيب في ترجمة المسرحية الامانة المتناهية والدقة الفائقة. فطالب مترجمي المسرحية ان يلتزموا بالنص الى ابعد الحدود فلا يعبثوا به ان زيادة او حذفا.(٢) وقد جاء تشديده هذا نتيجة لما كان يمارسه مترجموا المسرحية في عصره من تلاعب بالنص او استهانة به ، اذ كانوا يطنبون او يوجزون على هواهم. عاب عليهم نجيب الايجاز لأنه ، في نظره ، يختصر المعنى ويقضي على الابداع. قال "يأخذون (المترجمون) الرواية من كورنيل وهو ابو المسرح وقد تكون تلك الرواية من امهات رواياته وبدائع اوصافه وبها اشتهر وسار ليجعلوها ثلاثة فصول وهي خمسة، كلها حسنات واعجاز فتخرج معهم وقد ضاع معناها وانقلب موضوعها، وذهبت محاسن اختراعها طلفا بين ايدى الاختصار والايجاز"(٣) وعاب عليهم الاضافة لانها تذهب بحسنات الرواية وتأتي على رونقها. وهي بالتالي استخفاف بقدرة الاديب على الخلق. قال "فاذا كان مثل موليير ، رب المضحكات، ووجيه الابتداع في هذا الفن لم يقدر ان يأتي في المعنى الذى يعقده من روايته بأكثر من ثلاثة فصول مع اشتهاره بطول الباع، وسعة الاختراع، وانه كان يبني الرواية على كلمة يسمعها، او نكتة تصل اليه فما بالنا نحاول ان نسبقه ونزيد عليه ؟"(٤). ولم يكن نجيب أقل عنفا ازاء الذين كانوا يتولون النص بتبديل كلماته او تغيير عباراته . فقد اعتبر ذلك سطوا على الفن الذى بذل المؤلف الكثير من المشقة في سبيل اتقانه . قال "الناقل عندنا يأخذ الرواية الافرنجية وهي تملأ الاسماع بدر كلامها وتستهوى النفوس برقة عباراتها وحسن انسجامها ثم يقبل على تعريبها بما

---

(١) الاهرام، العدد ٣٨٠٨ سنة ١٨٩٠
(٢) المصدر نفسه
(٣) الاهرام، العدد ٤٧٥٩ سنة ١٨٩٣
(٤) المصدر نفسه

يستجديه لها من عند نفسه فيبدل كلامها النفيس ومحاوراتها المعجبة القاطعة وكل ما وضع المؤلف بها من حسن أقوال ورقة عتاب وألفاظ غرام وشكوى فراق لكلام فاتر ونثر مبتذل ومعان مسروقة حتى تخرج الرواية من قلمه ... تحن الى الاصل حنين الغريب الى الاهل ... "(١)

ولم يفترض نجيب في ترجمة القصة مثل الذى افترضه في ترجمة المسرحية. فبينما طالب مترجمي المسرحية بالامانة للنص والمحافظة على حرفيته ، حث مترجمي القصة على اجراء مايرونه مناسبا من تغيير وتبديل.(٢) وذلك لأن القارئ العربي، في رأيه ، يختلف في ذوقه وطرق تفكيره عن القارئ الغربي. فعلى مترجمي القصة مراعاة الذوق العربي والاسترسال مع أساليب اللغة العربية، ولو كان ذلك على حساب النص المترجم. وبينما عاب على مترجمي المسرحية عدم تمسكهم بامانة النقل، فانه أخذ على مترجمي القصة صرامة تقيدهم بالاصل. قال "اني قد رأيت أكثر معربي القصص والروايات اذا عربوا شيئا منها وضعوه على حرفه ولم يتركوا منه دقيقا ولا جليلا كيف كان مورده ومقامه من لساننا العربي حتى لو ساغ لهم نقل العلامات الافرنجية في مواضعها لما تأخروا عنها ... "(٣)

وتحدث نجيب عن لغة الترجمة، فطالب ان تكون قصدا بين التعقيد والتبسيط ، فلا تميل الى الركاكة ولا توغل في الوحشي من الالفاظ. فهو في هذا يأخذ بعين الاعتبار ثقافة قارئ القصة ومشاهد المسرحية. فالترجمة اذا جاءت في لغة معقدة امتنعت عليه وان وردت في لغة سوقية افسدت ذوقه.

---

(١) الاهرام، العدد ٤٧٥٩ سنة ١٨٩٣
(٢) المصدر نفسه ، العدد ٣٨٠٨ سنة ١٨٩٠
(٣) المصدر نفسه ، العدد ٣٨٨٦ سنة ١٨٩٠

مؤهلاتـه كمـترجم:

لم يتطلب القرن التاسع عشر من مترجميه اتقانا جيدا للغات التي نقلوا عنها، فقـد تعاطى الترجمة في ذلك العصر الكثيرون من قليلي الثقافة اللغوية او ادعيائها، حتى أننـا لنعرف اناسا ترجموا عن لغات كانوا بعيدين عن اتقانها كحافظ ابراهيم ومصطفى لطفـي المنفلوطي. وان صح هذا التعميم على عدد كبير من المترجمين فانه لا يصح على نجيب الحداد. فقد توفر فيه ما أهله لمزاولة هذا الفن عن جدارة واستحقاق.

تضافرت عدة دلائل تشير الى المام نجيب باللغة الفرنسية. انه، كما نعلـم، تثقف في مدارس اولت هذه اللغة اهتماما خاصا. كما نعلم انه علم الفرنسية في صبـاه. وما يشجعنا على الاعتقاد بان نجيبا كان متمكنا من الفرنسية تلك المقالات النقدية التي أتى في اماكن عديدة منها على ضرورة تمكن المترجم من اللغة التي يعرب عنها. وما كان لنجيـب ان يشترط مثل هذا الشرط لو لم يتوفر فيه. ويدفعنا على التمسك باعتقادنا هذا ان نجيبا قـد صرح بوضوح ان مطالعاته للاداب العالمية كانت عن طريق المترجمات الى الافرنسية[1] ومـا كان يتسنى له ذلك لولا تمكنه من هذه اللغة. وبعد ان استقصينا اخباره وملاحظاته وجدنـا ان نجيبا كان متمكنا من هذه اللغة لدرجة تؤهله لمزاولة الترجمة عنها.[2]

أما معرفة نجيب للانجليزية فمثار شك لدينا. واننا لنميل الى الاعتقاد ان نجيبا كان يجهل هذه اللغة، او في احسن الاحتمالات كان يعرفها معرفة سطحية. ونبني ترجيحنـا هذا على بعض الحقائق منها انه اطلع على بعض التراث الانجليزي عن طريق ما ترجم منه الى الافرنسية. ومنها: ان صديقه حنا سركيس، في معرض حديثه عن الشيخ امين الحداد، قـد

---

(١) البيـان ١:٣٠٠
(٢) انظر صفحة ٥٢-٥٤ من هذا البحث

اورد ملاحظة في هذا الصدد جاء فيها "كانت كتابته كاخلاقه خالية من الحذلقة والدعوى والغرور ... لا يهمه الا بالبرهان المعقول يدعم به مبدأه وفكره ولعل هذه الطريقة قد تمكنت في نفسه بفضل مطالعاته في اللغة الانجليزية، فكان بذلك يباين شقيقه نجيب الذى كان يعرف اللغة الفرنساوية..."(١)

وأما معرفة نجيب للغة العربية فتشهد له بها اعماله الأدبية التي تدل بوضوح على انه عرف اسرار هذه اللغة، وملك ناصيتها. فقد تثقف على ايدى اليازجيين اخواله، وطالع امهات الكتب الرئيسية في التراث العربي ودعا المترجمين الذين تبدو الركاكة في أساليبهم الى الاكثار من مطالعة المصادر. وقد تحدثنا عن ذلك، وبشيء من التفصيل، في مكان آخر من هذه الدراسة.(٢)

وعلى ذلك فقد توفر لنجيب من معرفة للفرنسية والعربية ما أهله لممارسة فن الترجمة. وكان من الطبيعي ان يركز جهوده على الادب الفرنسي ناقلا منه عددا من قصصه ومسرحياته الى العربية .

III- __الدوافع التي حدت به الى الترجمة:__

تبين لنجيب الحداد ان المكتبة العربية تفتقر الى الرواية الفنية، فعقد العزم على تزويدها بالمترجمات التي من شأنها ان تسد بعض هذا العوز. فقد ذكر في مقدمة "الفرسان الثلاثة"(٣) ان علماء اللغة العربية وأئمتها قد أغنوها بكتب الصرف والنحو وعلوم الادب حتى بلغوا حد الاعجاز، في حين انهم اكتفوا من القصة بأحاديث ونوادر مقتضبة وأمثال ونكات لا تمت في

(١) الحداد، __منتخبات الشيخ أمين الحداد__: المقدمة: ش
(٢) انظر صفحة ٤٥-٥٩ من هذا البحث
(٣) الاهرام، العدد ٣٠٠٨، سنة ١٨٨٨

جملتها الى القصة بمعناها الفني بصلة تذكر. كما اشار[1] الى ان القصص التي يقع عليها القارئ في العقد الفريد، وزهر الآداب والأغاني وغيرها من المصادر الرئيسية لم يقصد منها سوى تفكهة القراء وتبيان سعة معرفة الناظم او المؤلف.

وبالاضافة الى ذلك فقد توخى نجيب تزويد الروائيين العرب في عصره بنماذج قصصية يتمثل فيها هذا الفن بأصوله. يقول "وقد وجدت اكثرهم (كتاب القصة) لا يريدون من الرواية الا قصة مجردة عن كل ابتكار وتفنن في مقام الجدل والخطاب او كأنهم لا يرغبون من القصة بعد البداءة بها الا ان ينتهوا الى آخرها من اقرب سبيل. فتجد مقام الحماسة اذا عرض لهم مثلا او مقام الحديث الغرامي او مخاطبة الرجل لصاحبه في شأن من شؤون الرواية لا يستغرق اكثر من بضع عبارات فاترة لا طلاوة لها ولا تفنن في ايرادها، على عكس، ما نجده في كتب الافرنج. وهذا هو السبب الذى دعانا الى الاكثار من التعريب، والنقل من الروايات الافرنجية تطرقا منها الى انشاء ملكة عندنا وتمهيد سبل الكتابة القصصية لأنفسنا حتى اذا أقدم احد منا على تأليف رواية تاريخية او عصرية من تاريخ بلادنا وحوادثها كان امامه مثال يقتدى به ومنوال ينسج عليه".[2]

ولا بد ان نجيبا قد عمد الى الترجمة لأن جريدته، كباقي جرائد عصره، كانت بحاجة الى نشر قصص مسلسلة في ذيولها لتجذب اليها مزيدا من القراء. ومن هنا راح نجيب يعمل قلمه في نقل بعض الاثار الغربية لشد القارئ الى الجريدة، ولايجاد نوع من التواصل بينها وبين قرائها. وبعد نشر آخر حلقة منها غالبا ما كانت هذه المسلسلات تصدر على شكل كتاب يباع في الاسواق مما قد يوفر للمترجم شيئا، ولو زهيدا، من الدخل المادى.

---

(١) الاهرام، العدد ٣٠٠٨، سنة ١٨٨٨.

(٢) لسان العرب، عدد ٤٦٧ سنة ١٨٩٦

وبالاضافة الى ذلك فان نجيبا قد لمس حاجة المسرح الى المسرحيات المترجمة فراح يفرغ الطاقة في تزويد المسرح بأمهات المسرحيات العالمية. ومن المحتمل جدا انه كان يجني بعض المال من عمله هذا.

وأخيرا لا نعتقد ان نجيبا كان في منأى عن الدوافع التي أدت الى ترويج الترجمة بشكل اجمالي. فهو ابن جو عام توخت فيه حركة الترجمة تزويد القارئ بكتب تثقفه وترفه عنه. ولا شك أن نجيبا في مترجماته كان يرمي الى تلك الاهداف ايضا.

٧ ثبت في قصصه المترجمة :

سنحاول فيما يلي ان نتعرف الى مترجمات نجيب الحداد القصصية. واذ نحن بصدد ردها الى اصولها صادفنا صعوبات يمكن اجمالها بما يلي :

اولا :

الاسماء التي أطلقها نجيب الحداد على مترجماته القصصية تختلف،في غالبيتها،كل الاختلاف عن اسمائها الاصلية.

ثانيا :

ترجم نجيب الحداد ثماني ~~موضوعات~~ قصص من انتاج اسكندر ديماس الاب. وعندما حاولنا حصر مترجمات ديماس الاب وجدنا ان الاحاطة بها ضرب من المستحيل. فقد بلغت نحوا من مائتين وسبع وسبعين مجلدا.(١)

ثالثا :

ترجم نجيب الحداد بعض القصص الشعبية التي كتبها مؤلفون مغمورون من أمثال "بوليس

(١) Frank T. Marzaik " Dumas, Alexandre", Encyclopedia Britannica (1962) VII, p. 726.

كامال " • وهذه القصص، بلغتها الام، فقدت من الاسواق منذ امد بعيد حتى ليتعذر الحصول عليها الآن• ناهيك عن ان "بولين كامال" اسم لم نعثر عليه في اى من الموسوعات العالمية التي لجأنا اليها •

ولم تسعفنا كثيرا في هذا المجال الكتب التي فهرست للمترجمات العربية، او كان لها مساس بذلك، فلا كتاب Annales de l'Institut d'Etudes Orientales لـ "Henri Peres"• ولا "القصة في الادب العربي الحديث" لمحمد يوسف نجم، ولا "تطور الرواية العربية" لعبد المحسن طه بدر اسعفنا في رد غير المعروف من مترجمات الحداد الى اصولها الاجنبية• يضاف الى ذلك ان عددا كبيرا من اعمال الكتاب الذين ترجم لهم نجيب الحداد غير موجود في مكتبات البلاد العربية•

وبعد كثير من الجهد والعمل المضني استطعنا ان نرد مجهول الاصل من مترجمات نجيب الحداد الى اصولها، معتذرين عن واحدة فقط وهي "غرام واحتيال" التي نسبها نجيب الحداد لبولين كامال • وفيما يلي نورد مترجمات نجيب الحداد مرفقين المعمورة منها بكلمة موجزة عن فحواها •

١) الفرسان الثلاثة :

وهي رواية "Les Trois Mousquetaires" من تأليف

Alexandre Dumas (pere) (١٨٠٢ _ ١٨٧٠)

نشرت هذه الرواية بقلم نجيب الحداد بشكل مسلسل في ذيول جريدة الاهرام• وقد صدرت بانتظام من العدد (٣٠٠٨) حتى العدد (٣١٠٨).(١) واستغرق نشرها الفترة مابين

(١) باستثناء العدد ٣٠٥٣ فقط

الثاني من كانون الثاني سنة ١٨٨٨ والرابع من ايار سنة ١٨٨٨. ويذكر جاك تاجر ان هذه الرواية قد طبعت لأول مرة سنة ١٨٨٨ في أربعة مجلدات وللمرة الثانية في ثلاثة مجلدات، وللمرة الثالثة سنة ١٩١٣ في أربعة مجلدات.(١) والطبعة التي وقعنا عليها، وهي الطبعة الثانية، صدرت عن دار المعارف للطباعة والنشر في القاهرة وجاءت في (١٤٧) صفحة.

٢) رجع ما انقطع :

وهي رواية " Vingt Ans Après " لاسكندر ديماس الاب. وقد نشرت بقلم نجيب الحداد مسلسلة في ذيول جريدة الاهرام، ولكنها لم تحظ بنصيب سابقتها من الانتظام. ونشرت في الاعداد ما بين (٣١٠٩) و (٣٣١٧) واستغرق نشرها من الخامس من أيار سنة ١٨٨٨ حتى الحادي عشر من كانون الثاني سنة ١٨٨٩. ويبدو ان عدم الانتظام في نشرها كان لظروف خاصة بالجريدة. اذ نعلم ان نجيبا قد انتهى من ترجمتها في ١٧ آذار سنة ١٨٨٨،(٢) اي قبل البدء بنشرها. وقد طبعت ثلاث مرات وصدرت الطبعة الثالثة عن دار الهلال للطباعة والنشر في القاهرة سنة ١٩١٣ وجاءت في (٣١٥) صفحة.

٣) عود على بدء :

وهي رواية "Le Vicomte de Bragelonne" لاسكندر ديماس الأب. وقد نشرت في ذيول جريدة الاهرام من العدد (٤١٠٢) حتى العدد (٤٨٠٢) واستغرق نشرها من الثامن من ايلول سنة ١٨٩١ حتى الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٩٣. ويبدو ان الحداد كان قد بدأ بنشرها مسلسلة قبل ان ينتهي من ترجمتها بالكلية. فقد فرغ من ترجمتها في الثلاثين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٣(٣) بينما كان المسلسل انذاك يشارف على

---

(١) تاجر ، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر : ١٢٩
(٢) الاهرام، العدد ٣٣١٧ سنة ١٨٨٨
(٣) المصدر نفسه ، العدد ٤٨٠٢ سنة ١٨٩٣

الانتهاء. وطبعت ثلاث مرات وصدرت الطبعة الثالثة عن دار الهلال للطباعة والنشر في القاهرة سنة ١٩١٣ في مجلدين، يقع الأول في (٢٢٤) صفحة والثاني في (٢٤١) صفحة.

٤) حديث ليلة :

وهي رواية "Une Nuit ā Florence" لاسكندر ديماس الأب.

وقد دارت احداث هذه القصة في مدينة فلورنسا سنة ١٥٣٧[1] وكانت فلورنسا عهدئذ تحت حكم "الدوق اسكندر" الذى استباح اعراض الناس وأموالهم، وتسلط على ارادتهم ومقدرتهم. فثار عليه الجمهوريون تحت امرة "استروتسي". وقد ضمن المؤلف في سياق حديثه عن كفاح الجمهوريين ضد الحاكم المتسلط، قصة غرامية نشأت بين لورانزينو ولويزا ابنة استروتسي. ولورانزينو هذا كان يتظاهر بالاخلاص للدوق اسكندر بينما هو في الواقع يبطن له الكره والحقد. وتنتهي القصة بمقتل الدوق بمكيدة دبرها لورانزينو، وبزواج الاخير من لويزا. الا ان مقتل اسكندر لم يضع حدا لمتاعب فلورنسا. فقد جاء كوم الاول الى سدّة الحكم وعمل على ابادة الجمهوريين.

هذه الرواية هي اول المترجمات التي نشرت في ذيول جريدة لسان العرب. فقد نشرت مسلسلة من العدد الاول حتى السادس والعشرين. واستغرق نشرها من اول آب سنة ١٨٩٤ وحتى الثلاثين منه سنة ١٨٩٤. ثم طبعت في كتاب صدر عن مطبعة لسان العرب. واعيدت طباعتها للمرة الثانية على مطبعة جرجي غرزوزى في الاسكندرية سنة ١٩٠٤. وقد جاءت هذه الطبعة في مائة وثماني عشرة صفحة من الحجم الصغير.

---

(١) اسكندر ديماس، حديث ليلة (Une Nuit ā Florence) ترجمة الشيخ نجيب الحداد (ط ٢، الاسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزى، ١٩٠٤) ٢

٥) غرام واحتيال :

وهي من تأليف "بولين كامال" • ولم يكتب لنا التوفيق في رد هذه الرواية الى اصلها • ومن المحتمل ان تكون "بولين كامال" هذه من المؤلفات المغمورات اللاتي لم يكتب لهن حظ يذكر من البقاء في تاريخ الأدب الافرنسي • فقد اهملت ذكرها الموسوعات الأدبية • وربما كانت آراء اكثر من واحد من اصحاب المكتبات التي عدنا اليها على صواب ، اذ رجحوا ان تكون هذه الرواية من ضمن الاقاصيص الشعبية التي كتبت اصلا لتسلية القارئ العادى، والتي صدرت في سلسلة "Edition Populaire" منذ امد بعيد ثم نفذت من الاسواق •

جاءت الرواية في قسمين : تدور احداث القسم الاول في فرنسا سنة ١٥١٣[1] عندما كان الملك لويس الثاني يتربع على العرش الفرنسي • وقد اضطر الملك الى الزواج ثانية من اميرة انكليزية لكي ينجب وليا للعرش• وما ان التقت هذه الاميرة الشابة بفرنسيس الاول، ابن أخ الملك والوريث الشرعي للعرش،حتى وقعا في شرك الغرام • وتسرد لنا القصة كيف ان والدة فرنسيس الاول حاولت التفريق بين ابنها وزوجة الملك الثانية ضمانا لسلامة وصول ولدها الى سدة الحكم • كما تسرد القصة لنا ايضا المزاحمة التي دارت بين فرنسيس الاول و "ستوفيت"الذى كان قد علق الاميرة الشابة قبل زواجها من لويس الثاني عشر • وينتهي هذا القسم من الرواية بمقتل ستوفيت واعتلاء فرنسيس الاول العرش الفرنسي •

وتدور احداث القسم الثاني في فرنسا سنة ١٥١٧[2]، ويسرد هذا القسم قصة غرام نشأت بين "جوليو ميلزى"، احد تلامذة الرسام المشهور ليوناردو ، وبين زوجة رئيس

---

(١) بولين كامال، غرام واحتيال، (مجهولة الاصل) ترجمة الشيخ نجيب الحداد ، (الاسكندرية : مطبعة لسان العرب ، ١٩٠٤) ٥
(٢) المصدر نفسه ، ٩٦

الندوة. وكانت زوجة الرئيس هذه تكبر العاشق بعدة أعوام الا ان ذلك لم يؤثر على وفائه لها. وانتهت احداث هذا القسم من الرواية بزواج جوليو من عشيقته بعد مقتل زوجها.

نشرت هذه الرواية بشكل مسلسل في جريدة لسان العرب من العدد السادس والعشرين وحتى الحادى والستين. واستغرق نشرها المدة الواقعة بين الثلاثين من آب سنة ١٨٩٤ والعاشر من تشرين الاول سنة ١٨٩٤. ثم طبعت على مطبعة لسان العرب بالاسكندرية في السنة المذكورة.

٦) غرام الاخوين :

وهي قصة "L'Armurier de Milan" من تأليف Ponson du Terrail(١)

وتدور احداث هذه القصة في مدينة ميلان سنة ١٥٤٤(٢). وبطلها هو روفائيل الذى عمل أثناء طفولته عند صانع أسلحة دون ان يعرف شيئا عن اصله ونسبه. ولما شب ضرب في الآفاق بحثا عن اى شيء يلقي ضوءا على تاريخ حياته. وبعد جهد جهيد يعلم ان والده هو فرنسيس الثاني ملك فرنسا، وان والدته هي الدوقة كاترين عشيقة الملك. وتحاول كاترين ان تستغل الشبه بين ابنها روفائيل وبين ولي العرش لكي تبعد الولي الشرعي عن سدّة الحكم، وتحل محله روفائيل. الا ان ابنها فطن الى اطماع امه التي كانت تنوى التسلط على الحكم لعلمها ان ابنها اصبح شديد التعلق بها. وتنتهي القصة بعودة روفائيل الى العمل بصناعة الاسلحة، والزواج من ابنة الرجل الذى علمه هذه المهنة.

نشرت هذه القصة في ذيول جريدة لسان العرب ابتداء من العدد التاسع والثمانين حتى العدد المائة والثاني والاربعين. واستغرق نشرها الفترة الواقعة بين الثاني

---

(١) انظر بشأنه: Dictionnaire Biographique des Auteurs (Paris: 1957) 376-377

(٢) بونسون دى ترايل، غرام الاخوين، (L'Armurier de Milan) ترجمة الشيخ نجيب الحداد (لا مط، لا ت) ٢

عشر من تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ والخامس عشر من كانون الثاني سنة ١٨٩٥ . وطبعت للمرة الاولى سنة ١٨٩٥ .(١) ومن المرجح انها طبعت على مطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية حيث نقع على اسمها بين اسماء اعمال نجيب الحداد التي صدرت عن تلك المطبعة .(٢) والنسخة التي عثرنا عليها لا تحمل اسم المطبعة ولا مكان الطبع، وتقع في ثلاث وستين صفحة .

٧) فرسان الليل :

وهي قصة "Les Cavaliers de Nuit" من تأليف بونسون دى ترايل . وتتألف هذه الترجمة من جزأين . وتعود احداث الجزء الاول منها الى سنة ١٥٧٢ (٣) ويشتمل على طرف من تاريخ الدول الاوروبية الكبرى عهدئذ وهي فرنسا،واسبانيا ، وانجلترا . وقد جعل المؤلف لهذه القصة ثلاثة ابطال، ووزعهم في تلك الممالك، لينتقل عن طريقهم الى تاريخ كل مملكة على حدة . فتسنى له بذلك الحديث عن اخبار الملكة مارى ستوارت . ثم تطرق الى ذكر جانب من تاريخ العرب في اسبانيا وما كان من اخبار ثورتهم على الملوك الذين أجلوهم عن الاندلس . ثم انتقل الى تاريخ الدولة الفرنسية وبين كيف انقرض آل فالوا بمقتل الملك هنريكوس الثالث . وأشار الى النزاع الذى نشب بين الاحزاب اثر ذلك، وكيف جاء هنريكوس الرابع الى سدّة الحكم . وقد مزج المؤلف احداث التاريخ بقصص الفكاهة والغرام .

وتتناول القصة في جزئها الثاني اخبار الغلام "بافولي" الذى كان يعمل في خدمة الملك هنريكوس الرابع . وقد اشار المؤلف الى اعمال البطولة التي قام بها هذا الغلام، وعرج على خبر عشقه لامرأة هنريكوس الرابع دون ان يجروء على مفاتحتها بذلك ،

---

(١) لسان العرب ، العدد ١٦٦ سنة ١٨٩٥

(٢) انظر غلاف شهداء الغرام، وثارات العرب ، وحديث ليلة .

(٣) بونسون دى ترايل، فرسان الليل (Les Cavaliers de Nuit) ترجمة الشيخ نجيب الحداد (ط ٢، الاسكندرية : المطبعة التجارية، ١٩٠٣) ٢

وصور تلك المشادة العنيفة التي دارت رحاها في نفس الشاب وقد تمزقه حبه الجارف لعشيقته واخلاصه الشديد لسيده . وانتهت احداث هذا القسم بزواج الغلام من معشوقته بعد ان طلقها زوجها ليقترن بامرأة اخرى.

نشرت هذه الرواية مسلسلة في ذيول جريدة لسان العرب وقد وردت الترجمة في ثلاثة اجزاء :

الجزء الاول : نشر ابتداء من العدد ١٤٣ حتى ٢٥١ مستغرقا الفترة ما بين ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٥ و ٤ حزيران ١٨٩٥.

الجزء الثاني : نشر ابتداء من العدد ٢٥٢ حتى ٣٣٢ مستغرقا الفترة ما بين ٥ حزيران سنة ١٨٩٥ و ١٩ أيلول ١٨٩٥.

الجزء الثالث : نشر ابتداء من العدد ٣٣٣ حتى ٤٦٥ مستغرقا الفترة ما بين ٢٥ أيلول وحتى ٧ شباط ١٨٩٥.

طبعت هذه القصة، على ما نعلم، مرتين. الاولى في ثلاثة مجلدات. صدر الجزء الاول في تموز سنة ١٨٩٥[١]، والثاني في ايلول سنة ١٨٩٥[٢]، والثالث في آذار سنة ١٨٩٦.[٣] وطبعت للمرة الثانية على المطبعة التجارية بالاسكندرية سنة ١٩٠٣. وقد جاءت الطبعة الثانية في مائتين وتسع وتسعين صفحة .

٨) العاشقة المتنكرة :

وهي قصة "Le Page du Duc de Savoie" من تأليف اسكندر ديماس

---

(١) لسان العرب ، العدد ٢٦٧ سنة ١٨٩٥
(٢) المصدر نفسه ، العدد ٣٣٢ سنة ١٨٩٥
(٣) المصدر نفسه ، العدد ٤٩٠ سنة ١٨٩٦

الأب٠ ولسنا نعلم فيما اذا كان نجيب قد اتم ترجمتها ام لا ٠ فهو لم ينشرها مسلسلة في ذيول اعداد لسان العرب او غيرها من الصحف كما اعتاد ان يفعل في مترجماته القصصية٠ وانما كان يلحق كل عدد من اعداد لسان العرب الاسبوعية بقسم من ترجمة تلك القصة٠ وعندما جمعت دار الكتب الوطنية بالقاهرة اعداد لسان العرب في مجلد مستقل، أضافت اليه ما ترجم من تلك القصة، والبالغ خمسا وسبعين صفحة٠ وقد ذكر يوسف أسعد داغر انها نشرت في القاهرة(١) ولكنه لم يشر الى المطبعة التي صدرت عنها او الى الزمن الذى طبعت فيه ٠

احداث هذه القصة، حسب ما فهمنا من القسم المترجم، تعود الى سنة ١٥٥٥ عندما كان هنريكوس الثاني ملكا على فرنسا، ومارى تيودور ملكة على انكلترا، وشارلكان ملكا على اسبانيا٠ تناولت هذه القصة أخبار النزاع الذى دارت رحاه بين هؤلاء الملوك٠ وقد ربط ديماس في هذه القصة، كما في غيرها من رواياته، اقاصيص الحب، والفروسية، والمؤامرات باحداث التاريخ ٠

٩) فضيحة العشاق:

وهي قصة " l'Horoscope " لاسكندر ديماس الاب٠ وتعود احداثها الى سنة ١٥٥٩(٢) عندما كان الملك فرنسوا الثاني في سدة الحكم٠ وتتحدث عن اخبار عشق الملك لشارلوت ابنة المارشال سان انديه وخطيبة دى جوانفيل٠ وتشاء الصدف ان يكتشف دى جوانفيل تعلق الملك بشارلوت وينقل خبر ذلك الى أم الملك٠ وتخشى الوالدة ان تمادى ابنها في حبه لشارلوت ان تنتهز الاخيرة ذلك العشق وتسخر الملك في خدمة اغراضها

---

(١) انظر داغر، مصادر الدراسة الادبية ، ٢٠٣:٢

(٢) اسكندر ديماس(الاب)، فضيحة العشاق، (l'Horoscope) ترجمة الشيخ نجيب الحداد (الاسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزى، لات) ٥

الخاصة، فلا يبقى للملكة الوالدة عندئذ اى نوع من السلطة عـــليه. فتأخذ في تهديـــد ابنها ان هو لم يضع حدا لعلاقاته بشارلوت، الا ان ذلك التهديد لم يزد الملك الا تعلقـــا بعشيقته . ولم يتردد عن قتل ابن عمة الدوق "دى كونده" عندما اخذ يزاحمه في استمالـــة شارلوت. وقد سير ديماس مع هذه القصة اخبار كفاح البروتستانت من اجل التخلص من سطوة الكنيسة الكاثوليكية.

نشرت هذه الرواية مسلسلة في ذيول اعداد جريدة السلام من العدد الحادى عشر حتى الثاني والتسعين. وقد استغرق نشرها الفترة ما بين السابع عشر من أيار ســـنة ١٨٩٨ والثاني والعشرين من آب سنة ١٨٩٨. وصدرت فيما بعد عن مطبعة جرجي غرزوزى في الاسكندرية في أربع وستين صفحة.

١٠) غصن البان في رياض الجنان

وهي قصة "Raphaël" [١] من تأليف "Lamartine" [٢] ولم تنشر هذه القصة، على ما نعلم، مسلسلة في ذيول اى من الجرائد . وقد صدرت في كتاب يقع فـــي سبعين صفحة. وقد طبعت عدة مرات. ويذكر يوسف اسعد داغر انها صدرت عن المكتبـــة الشرقية في القاهرة سنة ١٩٠٠ [٣]. والنسخة التي وقعنا عليها،وهي الطبعة الخامسة،لا تحمـــل اسم المطبعة التي صدرت عنها ولا اسم البلد الذى طبعت فيه .

وغصن البان قصة غرام وقعت بين نزيلين في مصح للامراض الصدرية. فقد علـــق

---

(١) ترجمها ايضا احمد حسن الزيات سنة ١٩٢٦ Perēs, Annales de l'Institute d'Etudes Orientales: 300)

(٢) انظر بشأنه : Dictionnaire Diographique de Auteurs: 51-55

(٣) داغر، مصادر الدراسة الادبية، ٢:٣٠٣

شاب مصدور فتاة في مقتبل العمر . وعلم بَعد حين انها زوجة لعالم كهل كرس حياته للابحاث العلمية في حقلي الفيزياء والفلسفة. وكان هذا الكهل قد اقترن بتلك الفتاة ليورثها ماله ولقبه ، ولذا فالرابطة التي كانت قائمة بينهما هي اقرب الى التبني منها الى الزواج . وما القصة بجملتها الا وصف لما عاناه العاشقان الشابان من تباريح الهوى ولوافح الوجد . وانتهت القصة بموت الشابة بداء الصدر ، وانكفاء الشاب على نفسه يجتر اخبار لقاءاته مع عشيقته الراحلة.

١١) ملكة القلوب او ضحايا البحار :

الحق يوسف اسعد داغر هذه الرواية بمترجمات الحداد .[١] الا اننا لم نعثر على نسخة منها في مختلف المكتبات ولا على ما يدل فيما اذا كان نجيب قد ترجمها بالفعل .

VI - أسلوبه في الترجمة :

تبين لنا ان معظم مترجمات الحداد كانت من الروايات التي تجمع بين عنصر التاريخ والمغامرات والفروسية. ولا نستثني من ذلك الا رواية غصن البان، فهي من مقلع آخر ، ومادتها أقرب الى البوح الغنائي، والوصف الرومنطيقي، منها الى القصص التي تعتمد على الحدث والحركة. وقد فرضت طبيعة هذه المترجمات على نجيب الحداد التزام اسلوبين متغايرين في الترجمة، احدهما اعتمده في ترجمة القصة التاريخية، وثانيهما في ترجمة القصة الغنائية.

أ ـ القصة التاريخية :

يبدو ان نجيب الحداد المترجم كان يعي حقيقتين هامتين : الاولى ان هذه المترجمات انما هي لتنشر في ذيول الجرائد . والثانية: ان القارئ العربي يختلف في ذوقه

---

(١) داغر ، مصادر الدراسة الادبية، ٢: ٣٠٣

ومنهج تفكيره عن القارئ الاجنبي . ولما كانت فسحة الجريدة المعدة لنشر القسم المسلسل محدودة، فقد لجأ نجيب الى حذف بعض الفصول بالكلية او دمج بعضها ببعض. كما تناول كل فصل من الداخل بالعبث مسقطا بعض احداثه حينا، متناسيا اطراف الحوار واسماء الاعلام حينا اخر. وسنتبين هذا العبث من خلال تتبعنا لترجمته ثلاثية اسكندر ديماس كنموذج لمنهج نجيب في ترجمة القصة التاريخية .

١ . الفرسان الثلاثة:(١)

أ) ادمج نجيب الفصلين الثاني والثالث وجعلهما في فصل واحد بعنوان "دى تريفيل".(٢)

ب) جاء الفصل السابع الذى بعنوان "دسيسة في قصر الملك"(٣) اختصارا للفصلين الثامن والتاسع .

ج) ادمج الفصلين السادس والعشرين والسابع والعشرين وجعلهما في فصل واحد هو الفصل الرابع والعشرين وعنوانه "أراميس وامرأة أنوس".(٤)

د) ادمج الفصول الثلاثة : الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين في فصل واحد وجعله بعنوان "العودة الى باريز".(٥)

---

(١) النسخة التي بين ايدينا : Les Trois Mousquetaires, Nelson, (Paris: 1954)

(٢) يبدأ في عدد الاهرام ٣٠١٠ سنة ١٨٨٨

(٣) يبدأ في عدد الاهرام ٣٠٢٠ سنة ١٨٨٨

(٤) يبدأ في عدد الاهرام ٣٠٤٩ سنة ١٨٨٨

(٥) يبدأ في عدد الاهرام ٣٠٥١ سنة ١٨٨٨

٢٠ رجع ما انقطع :(١)

جاءت القصة في لغتها الام في سبعة وتسعين فصلا وخاتمة٠ أما الترجمة فوقعت في ستة وثمانين فصلا وبدون خاتمة٠ فقد عمد نجيب الى حذف بعض الفصول من مختلف الاجزاء٠

حذف من الجزء الاول، الفصول : ١١، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ٧٧

وحذف من الجزء الثاني، الفصول : ٩، ٢٠، ٣٠، ٤٣، ٤٤

٣٠ عود على بدء :(٢)

اسقط نجيب عددا كبيرا من فصول هذه القصة حتى انه لم يبق منها الا على الحوادث التي لا يمكن الاستغناء عنها٠ وجعل ما تبقى من فصولها في جزئين٠

أما الفصول التي حذفها نجيب فهي :

من الجزء الاول : ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣٦، ٣٨، ٤٣، ٤٧، ٠٥٣

من الجزء الثاني : ١، ٦، ٧، ٨، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٠٥١

ومن الجزء الثالث : ٢، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٥٠، ٠٥١

ومن الجزء الرابع : ١، ٣، ٦، ٧، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٤ــ٣١، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٥٠ ــ ٠٥٣

---

(١) النسخة الفرنسية: Vingt Ans Aprēs, Nelson, (Paris: 1957)

(٢) النسخة الفرنسية: Le Vicomte de Bragelonne, Nelson (Paris 1955)

ومن الجزء الخامس: ٤، ٥، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٤٣، ٤٦.

ولم يكتف نجيب بحذف بعض الفصول من القصة بل عمد ايضا الى تشذيب الفصول التي اثبتها. فتناسى احيانا، اسماء المدن والقرى والاماكن،ولمح الى المواقف العاطفية تلميحا عابرا. كما اسقط بعض الحوار احيانا، او كله في غالب الاحيان. وما زال يتناول النص بالتبديل والتغيير، والاختصار والحذف حتى جاءت الرواية المترجمة مجموعة من الاحداث الرئيسية ملتصقة بعضها ببعض وكأنها الهيكل العظمي لما كان في الاصل كيانا متكاملا ينبض بالحياة.

وكان نجيب منسجما مع نفسه حين طبق على مترجماته الدعوة التي وجهها الى مترجمي عصره بوجوب مراعاة الذوق العربي. يقول في مقدمة رواية الفرسان الثلاثة "قد عنيت بتعريب هذه الرواية... اسقاط ما يختلف به الافرنج عنا في استحسانه او استهجانه ويباينوننا فيه من حيث الغضاضة والركاكة والحسن والقبح والملائمة والتنافر ونحوها"(١). وقد التزم المبدأ ذاته في ترجمة رجع ما انقطع حيث يقول: "متبعين ما تقوم لنا ذكره في صدر رواية الفرسان الثلاثة من طرق الايجاز في التعبير واسقاط بعض الزوائد مما لا ينطبق على اللسان العربي ولا يوافق متن القصص فيه وهو ما انفرد فيه الافرنج عنا في رواياتهم وسيرهم من التزام الاسهاب وتحري التدقيق في وصف الوقائع والاماكن وبيان حال اصحابها وهيئاتهم في محاوراتهم ومجادلاتهم. فأنا لم نتبع من ذلك في التعريب الا المهم الالزم مما تدعو اليه ضرورة الحالة وموقف الخطاب"(٢). وأشار في صدر ترجمته لرواية "عود على بدء" الى "ضرورة اتباع نسق اللغة العربية ومجاراة أساليبها وضروب التعبير فيها على قدر احتمال المقام".(٣)

---

(١) الاهرام، العدد ٣٠٠٨ سنة ١٨٨٨

(٢) المصدر نفسه، العدد ٣٣١٧ سنة ١٨٨٩

(٣) المصدر نفسه، العدد ٤١٠٢ سنة ١٨٩١

وبعد ان قمنا برد قسم كبير من النصوص المنقولة الى اصولها لاحظنا ان نجيبا قد انتهج مثل هذا المبدأ ذاته في جميع مترجماته التاريخية. ورأينا ان نكتفي بالتأمل في ترجمة احد الفصول مبينين مقدار ما احدثه به المترجم من عبث. وليكن مدار تأملنا الفصل الاول من رواية الفرسان الثلاثة.

يتكون هذا الفصل من النقاط الرئيسية التالية:

١) وصف احوال فرنسا عام ١٦٢٥.

٢) ظهور شاب غاسكوني اسمه دارتانيان وتبيان اوصافه ومؤهلاته.

٣) عزم دارتانيان على مغادرة باريس والانخراط في فرقة الفرسان الخاصة بالملك لويس الثالث عشر.

٤) الحوار الذى دار بين دارتانيان ووالدته، ووداعه لها.

٥) وصف دارتانيان وهو يغادر منزله.

٦) دارتانيان موضع اهتمام السابلة وفضولهم.

٧) وصول دارتانيان الى مدينة "مينغ" وعراكه مع احد الزبائن في الفندق الذى نزل بـه.

٨) هروب احد النبلاء وزوجته من الفندق.

٩) هروب دارتانيان من الفندق خوفا من الشرطة.

١٠) اصطدام دارتانيان مع احد النبلاء واصابته بجرح.

١١) دارتانيان يداوى جرحه ويفتقد الرسالة التي كان يحملها الى "دى تريفيل" قائد فرسان الملك.

١٢) دخول دارتانيان باريس، ووصف شوارعها.

دعنا نرى كيف ترجم نجيب هذا الفصل . اختصر الفقرتين اللتين يصف بهما المؤلف احوال فرنسا، ثم اسقط الفقرات التي تتحدث عن دارتانيان من حيث اصله وأوصافه وظروف حياته . كما حذف الفقرة التي تتحدث عن احلام الشاب وآماله في الوصول الى الحرس الملكي . ولخص الموعظة التي زود بها الوالد ابنه جاعلا اياها في فقرة واحدة قصيرة . ثم مر بسرعة على موقف وداع دارتانيان لامه . وحذف الفقرة التي خصصت لوصف الفتى وهو في طريقه الى "مينغ" وذهابه الى احد فنادقها . ومر مرورا سريعا على تصادم دارتانيان مع بعض نزلاء الفندق . ثم حذف الحوار الذى دار بين صاحب الفندق وبعض من جاء يشاهد المبارزة التي دارت بين دارتانيان وبعض نزلاء الفندق . وحذف ايضا الحوار الذى دار بين دارتانيان وبين الرجل النبيل الذى سرق الرسالة التي كان ينبغي على دارتانيان نقلها الى "دى تريفيل" كما حذف الحوار الذى دار بين دارتانيان وبين صاحب الفندق عندما حاول الاخير تخفيف احزان الشاب . كما اسقط وصف شوارع باريس وأزقتها . وأهمل حالة التلهف والقلق اللذين عانى منهما دارتانيان في باريس .

وهكذا تبين لنا ان ترجمة نجيب الحداد كانت اقرب الى التلخيص والايجاز منها الى الترجمة المنضبطة السليمة . فقد اسقط قسما كبيرا من النص، واختصر الفقرات ، ولم يبق من الاصل الا على خط يكفي لربط الاحداث . حتى اذا ما ظهرت في تسلسل احداث القصة فجوة نتيجة لهذا العبث وصل طرفي الترجمة بتفسير او تعليق من عنده .

وقد اقتضى تقريب النص الى ذوق القارئ العربي اجراء ما يلي :

١) تغيير عناوين الروايات المترجمة باستثناء روايتي الفرسان الثلاثة، وفرسان الليل، واعطاء هذه الروايات عناوين يستمرئها الذوق العربي .(١)

---

(١) اشرنا سابقا الى عنوان كل قصة قبل الترجمة وبعدها

٢) تبديل عناوين بعض الفصول، كلما اقتضى الامر ، واعطاؤها عناوين جديـــدة لا تمت الى العناوين الاصلية بصلة، وفي بعض الاحيان بتر بعض العناوين والابقاء على جـزء منها • وهذه بعض الامثلة على ذلك:

Vingt Ans Apres
Tome 1. Chapitre XIX. Aquoise recréait M. Le duc de Beaufort Au donjon de Vincennes

وترجم الحداد هذا العنوان "حالة دى بوفور في سجن فنسان"(١)

Tome 1. Chapitre XX. Grimaud entre en Fonctions

وترجم الحداد هذا العنوان "كريمـود "(٢)

Tome 1. Chapitre XXIV Saint - Denis

وترجمه الحداد "الـوداع"(٣)

Tome 2. Chapitre XIVII. Ou l'on commence à croire que Porthos sera enfin baron et d'artagnan capitaine

وترجمـه الحداد : "دنو الاماني "(٤)

Le Vicomte de Bragelonne
Tome 1. Chapitre XXI. Les actions de la société Planchet et Cie remontent au pair

وترجمـه الحـداد : "المروءة والوفاء"(٥)

Tome 2. Chapitre IV. Le cabaret de "l'Image de Notredame

وترجمه الحـداد : "هدية خاتـم "(٦)

Tome 5. Chapitre I. Le Tentateur

وترجمـه الحداد : "الحديث ذو شجون "(٧)

---

(١) الاهـرام، العدد ٤١٣٤ سنة ١٨٨٨
(٢) المصدر نفسه ، العدد ٤١٣٥ سنة ١٨٨٨
(٣) المصدر نفسه ، العدد ٣١٤٢ سنة ١٨٨٨
(٤) المصدر نفسه ، العدد ٣٢٩٨ سنة ١٨٨٨
(٥) المصدر نفسه ، العدد ٤١٤٧ سنة ١٨٩١
(٦) المصدر نفسه ، العدد ٤٢٠٢ سنة ١٨٩١
(٧) المصدر نفسه ، العدد ٤٦٦٠ سنة ١٨٩٣

٣) حذف بعض التعابير التي تستمد مدلولها من الحياة الفرنسية وتبدو غريبة على الحياة العربية. وكذلك اسقاط الكثير من اسماء القرى والمدن والحانات والشوارع التي لا تهم القارئ العربي .

٤) الاكثار من تضمين الآيات القرآنية ،والاحاديث النبوية،والأبيات الشعرية، والامثال السائرة،والتعابير العامية. واذ يبدو لنا هذا إخلالاً في أمانة النقل فقد كان التضمين في عصر نجيب الحداد عملا يستحق الاطراء والمديح . وقد اثنى خليل مطران على مقدرة نجيب على التضمين بقوله : "وقد رأيت في هذه الرواية (عود على بدء) ان لمعربها ذاكرة ابدا حاضرة لحاجته . فلا يكاد يخلو سطر عن جزء من بيت قديم او الماح الى حاشة او طرف من عبارة مشهورة او مثل سائر مما يدل على سعة الاطلاع ومبادرة الذهن".(١)

٥) اعتماد مستوى لغوى لا يستغلق على القارئ العادى ولا يتدنى الى مستوى الابتذال. فقد اتبع نجيب فيترجمته اسلوبا صحفيا يتسم بالسهولة ويبتغي ايصال المعنى عن أقصر طريق، فوصفه عيسى المعلوف بالسهل الممتنع.(٢) ومع ان نجيبا كان يراعي السهولة من جهة ، فانه من جهة ثانية كان يحرص،

---

(١) الاهرام، العدد ٤٥٠٦ سنة ١٨٩٢

(٢) المعلوف، الغرر التاريخية، ٢:١٧ .

قدر المستطاع، ان ينطبق الشكل على المضمون بحيث لا تكون اللغة وسيلة لأداء المعنى فقط بل ولتجسيده ايضا . يقول خليل مطران: " أثني على المعرب لما اتى به من البراعة في أساليبه ، والرقة والجزالة في تراكيبه ، وما أحسن من تصوير المعاني بحيث يشمك الند الفائح من ازهار الجنان، وتوهمك الفاظه انها اكمام تفتح تحت عينيك ازهارها الحسان، ويسمعك جلبة القتال في معترك الابطال من حيث يلحق اجزاء العبارة باجزائها اسراعا، ويزحمها حتى تقدح شرارا يتطاير منها تباعا ... فاذا حدثك عن هوى عاشقين سالت العبارات بمثل عبرات الفارق، او برقت كأسرة الملاقي، او جمدت بمثل حيرة المدله الولهان او تقطعت كأنفاس المبيح لاسرار نفسه على خشية منه او اضطرت كأعين المشتكي وهي حمراء ".(١)

وهكذا فان نجيب الحداد في مترجماته كان يتحرك ضمن اطار مفروض عليه ، فالجريدة لها امكانات لا يستطيع ان يتعداها . والقارئ العربي له ذوقه ونهج تفكيره فلا يتقبل كل ما احتوته صفحات القصص الغربية. وهذا ما دعا نجيبا الى اخضاع الترجمة في موضوعها ونهجها الى مقتضيات العصر . وهذا انموذج (٢) يشهد على ما حاولنا تبيانه في الصفحات السابقة :

Un trait de lumière frappa tout à coup l'esprit de l'hôte qui se donnait au diable en ne trouvant rien.

- Cette lettre n'est point perdue, s'écria-t-il.
- Ah! fit d'Artagnan.
- Non; elle vous a été prise.

---

(١) الاهرام، العدد ٤٥٠٨ سنة ١٨٩٢

(٢) Dumas, Les Troise Mousquetaires: 30-32

- Prise ! et par qui?

- Par le gentilhomme d'hier. Il est descendu à la cuisine, où était votre pourpoint. Il est resté seul. Je gagerais que c'est lui qui l'a volée.

- Vous croyez ? répondit d'Artagnan peu convaincu, car il savait mieux que personne l'importance toute personnelle de cette lettre et n'y voyait rien qui pût tenter la cupidité. Le fait est qu'aucun des valets, aucun des voyageurs présents n'eût rien gagné à posséder ce papier.

- Vous dîtes donc, reprit d'Artagnan, que vous soupçonnez et impertinent gentilhomme.

- Je vous dis que j'en suis sûr, continua l'hôte; lorsque je lui ai annoncé que votre seigneurie était le protégé de M. de Tréville et que vous aviez même une lettre pour cet illustre gentilhomme, il a paru fort inquiet, m'a demandé où était, cette lettre, et est descendu immédiatement à la cuisine, ce il avait qu'était votre pourpoint.

- Alors, c'est mon voleur répondit d'Artagnan, je m'en plaindrai à M. de Tréville, et M. de Tréville s'en plaindra au roi, Puis il tira majestueusement deux écus de sa poche, les donna à l'hôte qui l'accompagna, le chapeau à la main jusqu'à la porte, remonta sur son cheval jaune, qui le conduisit sans autre accident jusqu'à la porte Saint-Antoine à Paris, où son propriétaire le vendit trois écus, ce qui était fort bien payé, attendu que d'Artagnan l'avait fort surmené pendant la dernière étape. Aussi le maquignon auquel d'Artagnan le céda moyennant les neuf livres susdites ne cacha-t-il point au jeune homme qu'il n'en donnait cette somme exorbitante qu'à cause de l'originalité de sa couleur.

D'Artagnan entra donc dans Paris à pied, portant son petit paquet sous son bras, et marcha tant qu'il trouvât à louer une chambre qui convint à l'exiguïté de ses ressources. Cette chambre fut une espèce de mansarde, sise rue des Fossoyeurs, près du Luxembourg.

Aussitôt le denier à Dieu donné, d'Artagnan prit possession de son logement, passa le reste de la journée à coudre à son pourpoint et à ses chausses des passementeries que sa mère avait détachées d'un pourpoint presque neuf de M. d'Artagnan père et qu'elle lui avait données en cachette, puis il alla quai de la Ferraille faire remettre une jame à son épée, puis il revint au Louvre s'informer, au premier mousquetaire qu'il rencontra, de la situation de l'hôtel de M. de Tréville, lequel était situé rue du Vieux-Colombier c'est-à-dire justement dans le voisinage de la chambre arrêté par d'Artagnan: circonstance qui lui parut d'un heureux augure pour le succès de son voyage.

Après quoi, content de la façon dont il s'était conduit à Meung, sans remords dans le passé, confiant dans le présent et plein d'espérance dans l'avenir, il se coucha et s'endormit du sommeil du brave.

Ce sommeil, tout provincial encore, le conduisit jusqu'à à neuf heures du matin, heure à laquelle il se leva pour se rendre chez ce fameux M. de Tréville le troisième personnage du royaume d'après l'estimation paternelle.

وقد ترجم الحداد هذا النص على النحو التالـي :[١]

"ولما كان اليوم الثاني وقد شفي جرحه من المرهم الذى معه نزل الى ثيابـه فنظر فيها فلم يجد الكتاب فاغتم لذلك غما شديدا فقال له صاحب الخـان ما أظن الكتاب الا مسروقا قال ومن سارقه قال خصمك فقد نزل وبحث فـي ثيابك قال اذا رأيته أريه عاقبة أمره ثم ركب جواده وسار حتى بلغ باريـز وكان ماله قد نفذ في الخان فاضطر الى بيع الفرس ودخل باريز راجلا وانطلق يـ يلتمس مسكنا في احد الفنادق فوجد غرفة في شارع فوسوابير على مقربة مـن ليكسمبرج فاقام فيها يصلح من شأن ثيابه ثم نزل الى السوق فجدد نصل سيفه ثم عمد الى اللوفر فسأل عن منزل دى تريفيل فقيل له في شارع برج الحمـام وهو شارع على مقربة من غرفة فعاد الى منزله وبات ثم قام في وجه الصبـح قاصدا دى تريفيل ثالث رجل في فرنسا بعد الملك والكردينال "٠

ب ـ <u>القصـة الغنائيـة</u> :

اعتمـد نجيب الحداد في ترجمة القصة الغنائية نهجا مغايرا للنهج الذى اتبعه في ترجمة القصة التاريخية٠ القصـة الغنائية الوحيدة التي ترجمها الحداد هـي قصـة "Raphaël" من تأليف لامارتين٠ وهـذه هي السمات العامـة لأسلوبه فـي ترجمتها :

١٠ تقع هذه القصـة اصـلا[٢] في مائـة وسـتة وأربعين مقطعا مرقمـة

---

(١) الاهـرام ، العدد ٣٠١٠ سنة ١٨٨٨
(٢) النسخة التي بين ايدينا Lamartine, <u>Raphaël</u>, Hachette, (Paris: 1874)
1874)

- Prise ! et par qui?

- Par le gentilhomme d'hier. Il est descendu à la cuisine, où était votre pourpoint. Il est resté seul. Je gagerais que c'est lui qui la volée.

- Vous croyez ? répondit d'Artagnan peu convaincu, car il savait mieux que personne l'importance toute personnelle de cette lettre et n'y voyait rien qui pût tenter la cupidité. Le fait est qu'aucun des valets, aucun des voyageurs présents n'eut rien gagné à posséder ce papier.

- Vous dites donc, reprit d'Artagnan, que vous soupçonnez et impertinent gentilhomme.

- Je vous dis que j'en suis sûr, continua l'hôte, lorsque je lui ai annoncé que votre seigneurie était le protégé de M. de Tréville et que vous aviez même une lettre pour cet illustre gentilhomme, il a paru fort inquet, m'a demandé où était, cette lettre, et est descendu immédiatement à la cuisine, ce il avait qu'é ait votre pourpoint.

- Alors, c'est mon voleur répondit d'Artagnan, je m'en plaidrai à M. de Tréville, et M. de Tréville s'en plaindra au roi, Puis il tira majestueusement deux écus de sa poche, les donna à l'hôte qui l'accompagna, le chapeau à la main jusqu'à la porte, remonta sur son cheval jaune, qui le conduisit sans autre accident jusqu'à la porte Saint-Antoine à Paris, où son propriétaire le vendit trois écus, ce qui était fort bien payé, attendu que d'Artagnan l'avait fort surmené pendant la dernière étape. Aussi le maquignon auquel d'Artagnan le céda moyennant les neuf livres susdites ne cacha-t-il point au jeune homme qu'il n'en donnait cette somme exorbitante qu'à cause de l'originalité de sa couleur.

D'Artagnan entra donc dans Paris à pied, portant son petit paquet sous son bras, et marcha tant qu'il trouvât à louer une chambre qui convint à l'exiguité de ses ressources. Cette chambre fut une espèce de mansarde, sise rue des Fossoyeurs, près du Luxembourg.

Aussitôt le denier à Dieu donné, d'Artagnan prit possession de son logement, passa le reste de la journée à coudre à son pourpoint et à ses chausses des passementeries que sa mère avait détachées d'un pourpoint presque neuf de M. d'Artagnan père et qu'elle lui avait données en cachette, puis il alla quai de la Ferraille faire remettre une jame à son épée, puis il revint au Louvre s'informer, au premier mousquetaire qu'il rencontra, de la situation de l'hôtel de M. de Tréville, lequel était situé rue du Vieux-Colombier c'est-à-dire justement dans le voisinage de la chambre arrêté par d'Artagnan: circonstance qui lui parut d'un heureux augure pour le succès de son voyage.

Après quoi, content de la façon dont il s'était conduit à Meung, sans remords dans le passé, confiant dans le présent et plein d'espérance dans l'avenir, il se coucha et s'endormit du sommeil du brave.

Ce sommeil, tout provincial encore, le conduisit jusqu'à à neuf heures du matin, heure à laquelle il se leva pour se rendre chez ce fameux M. de Tréville le troisième personnage du royaume d'après l'estimation paternelle.

وقد ترجم الحداد هذا النص على النحو التالـي :[١]

"ولما كان اليوم الثاني وقد شفى جرحه من المرهم الذى معه نزل الى ثيابـه فنظر فيها فلم يجد الكتاب فاغتم لذلك غما شديدا فقال له صاحب الخـان ما أظن الكتاب الا مسروقا قال ومن سارقه قال خصمك فقد نزل وبحث فـي ثيابك قال اذا رأيته أريه عاقبة أمره ثم ركب جواده وسار حتى بلغ باريـز وكان ماله قد نفذ في الخان فاضطر الى بيع الفرس ودخل باريز راجلا وانطلق يلتمس مسكنا في احد الفنادق فوجد غرفة في شارع فوسوابير على مقربة مـن ليكسمبرج فاقام فيها يصلح من شأن ثيابه ثم نزل الى السوق فجدد نصل سيفه ثم عمد الى اللوفر فسأل عن منزل دى تريفيل فقيل له في شارع برج الحمـام وهو شارع على مقربة من غرفة فعاد الى منزله وبات ثم قام في وجه الصبح قاصدا دى تريفيل ثالث رجل في فرنسا بعد الملك والكردينال".

ب ـ <u>القصـة الغنائيـة</u> :

اعتمـد نجيب الحداد في ترجمة القصة الغنائية نهجا مغايرا للنهج الذى اتبعه في ترجمة القصة التاريخية. القصـة الغنائية الوحيدة التي ترجمها الحداد هـي قصـة "Raphaël" من تأليف لامارتين. وهـذه هي السمات العامـة لأسلوبه فـي ترجمتها :

١. تقع هذه القصـة اصـلا[٢] في مائـة وسـتة وأربعين مقطعا مرقمـة

---

(١) الاهـرام ، العدد ٣٠١٠ سنة ١٨٨٨

(٢) النسخة التي بين ايدينا Lamartine, Raphaël, Hachette, (Paris: 1874)

بالحرف الروماني ٠ وهذه المقاطع مختلفة من حيث الحجم، يطول بعضها فيبلغ قرابة الصفحتين ويقصر بعضها الاخر الى نصف الصفحة٠ ولم يتقيد نجيب بهذا التقسيم، بل اهمله كلية وقسم القصة الى سبعة فصول وجعل لكل فصل منها عنوانا خاصا ٠

٢٠ اعتماد الجملة/او الجمل الاولى من كل مقطع كمنطلق الى تأليف شخصي لا يرتبط بالنص ارتباطا وثيقا بل يدور في مناخه ٠ وبعد جولة تقصر او تطول يعود المترجم الى النص من جديد لينطلق من بعد الى مغامرة مماثلة ٠

٣٠ حذف بعض الكلمات او الجمل واستبدالها باخرى يعتبرها المترجم اقرب الى فهم القارئ العربي وذوقه : كأن يسقط اوصاف الامكنة ويضع مكانها اوصافا لامكنة مماثلة لها في البلاد العربية٠ ولم يتردد نجيب حتى في استبدال انواع الزهور والنباتات المذكورة في النص بزهور ونباتات يألفها القارئ العربي ٠

٤٠ لغة الترجمة في هذه القصة أقرب الى لغة الكتابة الادبية منها الى اللغة الصحفية التي تطالعنا بها ترجمة القصة التاريخية٠ فاللغة هنا انيقة التركيب ، جيدة السبك ، متينة العبارة ، منتقاة اللفظ ، تغلب عليها صفة التأليف ولا تشوبها آثار الترجمة ٠

ونورد فيما يلي مثالا على ترجمة القصة الادبية مكتفين به كأنموذج لما درج عليه الحداد في الرواية كلها ٠

VII

En passant à Chambéry, j'avais vu mon ami Louis de ***, Je l'avais trouvé dans les dispositions où j'étais moi-même lèvre détournée avec dégoût de l'amertume de la vie, génie inconnu, ame repliée sur elle-même, corps fatigué par la pensée. Louis m'avait indiqué une maison isolée et tranquille, dans le haut de la ville d'Aix, où l'on recevait les malades en pension.

Cette maison tenue par un bon vieux médecin retiré et par sa femme, ne se rattachait à la ville que par un étroit sentier qui montai entre les ruisseaux des fontaines chaudes. Le derrière de la maison donnait sur un jardin entouré de portiques, de treilles. Au délà des près en pente et des futaies de chataigniers et de noyers conduisaient aux montagnes par des pelouses et par des ravins, on était sûr de n'y rencontrer que des chèvres. Louis m'avait promis de venir s'établir avec moi à Aix, aussitôt qu'il aurait arrangé quelques affaires qui le retenaient à Chambéry, après la mort de sa mère, Sa présence devait m'être douce, car son âme et la mienne se comprenaient par leur désenchantement. Souffrir de même, c'est bien mieux que jouir de même La douleur à bien d'autres étreintes que le bonheur pour resserver deux coeurs. Louis était en ce moment le seul être dont le contract ne me fût pas douloureux. Je l'attendais avec impatience.

ترجم نجيب الحداد النص السابق على النحو التالي :(١)

"وكنت عند مروري على شامبيرى قد وجدت صديقا لي يدعى لويس في مثل حالتي من الاكدار والاحزان يتأفف من مرارة الحياة ودهر يضع الرجال في غير مواضعها ونفس تطمح بأبصارها الى العلاء وهي مقيدة يقوم هم اصحاب العقول والاقلام بمنزلة حديد القيود من الاقدام فهي منخفضة عنها في المقام ولكنها مانعة لها عن التخلص والاقدام فحادثته في

(١) لامارتين ، غصن البان في رياض الجنان "Raphaël" ترجمة الشيخ نجيب الحداد ، (ط ٥، لامط، لات) ١٤

VII

En passant à Chambéry, j'avais vu mon ami Louis de ***, Je l'avais trouvé dans les dispositions où j'étais moi-même lèvre détournée avec dégoût de l'amertume de la vie, génie inconnu, ame repliée sur elle-même, corps fatigué par la pensée. Louis m'avait indiqué une maison isolée et tranquille, dans le haut de la ville d'Aix, où l'on recevait les malades en pension.

Cette maison tenue par un bon vieux médecin retiré et par sa femme, ne se rattachait à la ville que par un étroit sentier qui montait entre les ruisseaux des fontaines chaudes. Le derrière de la maison donnait sur un jardin entouré de portiques, de treilles. Au délà des près en pente et des futaies de chataigniers et de noyers conduisaient aux montagnes par des pelouses et par des ravins, on était sûr de n'y rencontrer que des chèvres. Louis m'avait promis de venir s'établir avec moi à Aix, aussitôt qu'il aurait arrangé quelques affaires qui le retenaient à Chambéry, après la mort de sa mère, Sa présence devait m'être douce, car son ame et la mienne se comprenaient par leur désenchantement. Souffrir de même, c'est bien mieux que jouir de même La douleur à bien d'autres étreintes que le bonheur pour resserver deux coeurs. Louis était en ce moment le seul être dont le contract ne me fût pas douloureux. Je l'attendais avec impatience.

ترجم نجيب الحداد النص السابق على النحو التالي :(١)

"وكنت عند مروري على شامبيري قد وجدت صديقا لي يدعى لويس في مثل حالتي من الاكدار والاحزان يتأفف من مرارة الحياة ودهر يضع الرجال في غير مواضعها ونفس تطمح بأبصارها الى العلاء" وهي مقيدة يقوم هم اصحاب العقول والاقلام بمنزلة حديد القيود من الاقدام فهي منخفضة عنها في المقام ولكنها مانعة لها عن التخلص والاقدام فحادثته في

(١) لامارتين ، غصن البان في رياض الجنان "Raphaël" ترجمة الشيخ نجيب الحداد ، (ط ٥، لامط ،لات) ١٤

شأني وما عزمت عليه فدلني على بيت في أعلى مدينة اكس معد لـــنزول المرض والقيام بما يقتضونه قد افتتحه شيخ واقام فيه مع اسرته وهو منزل واقع على طرف المدينة وراء حديقة زاهرة تفرشها الخضرة والأعشـــاب وتكتلها الدوالي والاعناب ثم وعدني بانه يتبعني متى فرغ من شأن كـان له في شامبيرى على اثر وفاة امه فوعدت نفسي منه بصديق حلو العشـرة طيب الصحبة لمشابهة في أخلاقنا ومشاكلة في أحوالنـا وعنـــدى أن التشابه في المصائب والاشتراك في الاحزان ادعى الى الصحبة وأقـرب الى السكون من الاشتراك بالسعادة والمسرات وانما كان ذلك لأن رابطة الحزن اقوى أثرا في القلوب وأشد اتصالا بالنفوس من رابطة الغبطـــة والهناء فودعته على هذا الامر وانصرفت وانا أعلل نفسي بلقائه علـى عجل ."

وهكذا يتبين لنا أن نجيبا، وقد عهد في نفسه ما يؤهله لممارسة الترجمة ، توفـر على نقل عدد من الروايات الفرنسية ولم يغب عن خلده وهو ينقل مترجماته أمـــران : أولهما : ان مترجماته في الغالب ـ كانت تنشر بشكل مسلسل في ذيول الصحف . وثانيهما : ان القارئ العربي يختلف في ذوقه عن القارئ الغربي . وقد أرغم هذان العاملان منفردين احيانا، ومجتمعين احيانا أخرى ، ارغما نجيبا على ان يتولى مترجماته بالحذف والاختصـــار حتى لم يبق من الأصل الا الخطوط العريضة ، وان يمارس الضغط الشديد على الأصل حـتى تصبح الرواية أقرب ما تكون الى الحكاية ، وان يبدل في المادة الى ان تصبح هينة المتنـــاول على القارئ الجديد . ولم ينحصر تأثر نجيب بالمناخ الثقافي العام عن طريق نهجه فـــي

الترجمة فحسب بل عن طريق اختياره لمترجماته ايضا . فقد كان اقبال القراء عهدئذ في الغالب ، منصبا على قصص التسلية والفكاهة . فكان من الطبيعي ان ينساق نجيب كغيره من مترجمي عصره ، الى ترجمة بعض القصص من الأدب الشعبي الغربي . ومما يحمد لنجيب انه لم يعط مجالا كبيرا للقارئ يفرض الإدته عليه ، بل راح يبحث عن القصة التي توفّر للقارئ التسلية والثقافة معا . فوقع اختياره على بعض القصص المشهورة لكتاب مرموقين ، وفّرت للقارئ ما هو بصدده من تسلية وما هو بحاجة اليه من ثقافة . وكانت في الوقت ذاته نماذج فنية جيدة لكتاب القصة من معاصري الحداد .

الفصـــــل الخامـــــس

نجيـــــب الحـــداد : المترجـــم (٢)

المسرحيـــة

الفصل السادس

نجيب الحداد : المترجم (٢)

المسرحية

اشرنا في الفصل السابق الى ان نجيبا قد اعتنى بترجمة القصص والمسرحيات، وتعرضنا في ذلك الفصل الى الحديث عن جهوده في ترجمة القصة. وسنحاول في هذا الفصل ان نتحدث عن جهوده في ترجمة المسرحية، فنشير الى مترجماته، ونقف على نهجه في ترجمتها، ثم نتحدث عن مسرحيتين من مسرحياته .

نستطيع ان نقسم انتاج نجيب الحداد المسرحي الى فئات ثلاث هي : المسرحية المترجمة، والمسرحية المقتبسة، والمسرحية المؤلفة. وهذا لا يعني ان نجيبا قد انقطع في فترة من فترات انشغاله بالمسرحية الى فئة دون اخرى. فقد كان يتنقل بين هذه الفئات كيفما اتفق. ونبدأ بثبت يشتمل على مسرحياته المترجمة، والمقتبسة، والمؤلفة .

أ ـ المسرحيات المترجمة :

(١) "مسرحية غرام وانتقام" (ادبية، تاريخية، غرامية، تشخيصية). وهي ترجمة مسرحية "Le Cid" "١٦٣٦" من تأليف "Corneille "١٦٠٦ ـ ١٦٨٤" وقد طبعت هذه المسرحية سنة ١٩٠٠ بعناية جرانت اسكندر[(١)]. كما طبعت على مطبعة جرجي غرزوزى بالاسكندرية سنة ١٩٠٤. وقد جاءت هذه الطبعة في (١١١) صفحة من القطع الصغير .

---

(١) الضياء ، ٣:٢١٢

(٢) مسرحية حلم الملوك (سينا او عدل القيصر)٠ (أدبية، تاريخية، غرامية، تشخيصية)٠ وهي ترجمة مسرحية "Cinna" "١٦٤٠" لكورني٠

(٣) "مسرحية الرجاء بعد اليأس"٠ (أدبية، تاريخية، غرامية، تشخيصية)٠ وهي ترجمة مسرحية "Iphigénie" "١٦٧٤" من تأليف "Racine" "١٦٣٩ ـ ١٦٩٩" وقد طبعت على مطبعة جرجي غرزوزى بالاسكندرية سنة ١٩٠٤ وجاءت هذه الطبعة في أربع وتسعين صفحة من القطع الصغير٠

(٤) "مسرحية اوديب او السر الهائل"٠ (نثرية، شعرية)٠ وهي ترجمة مسرحية "Oedipe" من تأليف "Voltaire" "١٦٩٤ ـ ١٧٧٨"٠

(٥) "مسرحية شهداء الغرام"٠ (أدبية، تاريخية، غرامية، تشخيصية)٠ وهي ترجمة مسرحية "Romeo and Juliet" من تأليف "Shakespeare" "١٥٦٤ ـ ١٦١٦" وقد طبعت عدة طبعات منها: طبعة صدرت عن مطبعة دار المعارف بمصر بعناية جرانت اسكندر، واخرى عن مطبعة التمدن في القاهرة سنة ١٩٠١، وثالثة بالتزام احمد رفاعي عن مطبعة جرجي غرزوزى بالاسكندرية سنة ١٩٠٤٠ وقد جاءت هذه الطبعة في ثلاث وستين صفحة من الحجم الصغير٠

(٦) "مسرحية البخيل"٠ وهي ترجمة مسرحية "L'avare "١٦٦٨" من تأليف "Molière" "١٦٢٢ ـ ١٦٧٣"٠

(٧) "مسرحية زايير" : Zaire "١٧٣٢" لفولتير٠

(٨) "مسرحية فيدر" : Phèdre "١٦٧٧" لراسين٠

(٩) "مسرحية بيرانيس" : Berénice "١٦٧٠" لراسين٠

(١٠) "مسرحية عداوة الاخوين او تيبائد " " La Thébaide ou Les Frères ennemis" " لراسين٠

ويبدو ان الشك قد ساور محمد يوسف نجم، في الحلقة السادسة من سلسلة المسرح العربي،(١) فيما اذا كان الحداد قد قام فعلا بترجمة المسرحيات الاربع الاخيرة فقال :

"تزعم بعض المصادر انه (نجيب الحداد) ترجم "فيدر" و "بيرنس" و"تيبائيد او عداوة الأخوين" وجميعها لراسين و "زايير" لفولتير٠ ولم نعثر على هذه المسرحيات ولا على ما يفيد انه ترجمها بالفعل ".(٢)

ونحن نرجح ان نجيبا قد ترجم المسرحيات الاربع المشار اليها٠ ونبني ترجيحنا هذا على ما يلي :

لقد جاء طانيوس عبده ، صديق نجيب وقريبه ، في مقالة له ، الحقت بديوان تذكار الصبا، على ذكر مسرحيات الحداد٠ فقال عن مسرحية "فيدر"، "أحسن ما فيها نظم القصيدة المشهورة عند الافرنج التي تروى بها فيراميد وفاة ايبوليت"(٣) كما الحق طانيوس كلا من مسرحيتي زايير وبيرنس بمسرحيات الحداد .(٤) ونظن ان قولا كهذا لا يصدر عن طانيوس عبده لو لم يكن بالفعل قد اطلع على مسرحية فيدر او حضر تمثيلها ٠

(١) تولى الدكتور محمد يوسف نجم اصدار سلسلة المسرح العربي٠ وقد خصص حلقتين من هذه السلسلة لمسرحيات نجيب الحداد، واحدة ظهرت وشملت خمسة منها، والثانية وعد باصدارها وذكر انها ستشمل على شهداء الغرام (ثارات العرب) و (حمدان)،(صلاح الدين الايوبي) و (عمروبن عدى) ٠ انظر الحلقة السادسة ـ نجيب الحداد : المقدمة :د

(٢) الحداد، المسرح العربي دراسات ونصوص (٦) : المقدمة :د

(٣) الحداد، تذكار الصبا : ١٠٩ ـ ١١٠

(٤) المصدر نفسه

وكذلك من غير المعقول ان يلحق المسرحيتين الاخيرتين بمترجمات نجيب لو داخله أدنى شك في ان نجيبا لم يقم بترجمتها ٠

وهناك دليل اخر يدفعنا الى هذا الترجيح ٠ فقد رأينا على غلافات بعض القصص والمسرحيات (١) التي ترجمها الحداد والتي طبعها جرجي غرزوزي بعد مماته ، ثبتا في اسماء قصصه ومسرحياته التي طبعت على مطبعة الغرزوزي او كانت تحت الطبع ٠ وكانت مسرحيتا "فيدر" و"بيرنس" من ضمن مسرحيات الحداد التي كانت تعد للطبع٠ ولا يعقل ان يلحق الغرزوزي هاتين المسرحيتين باسماء المسرحيات التي ترجمها الحداد ويعلن عن عزمه على طبعها لو انها لم تكن في حوزتـه ٠

وبينما نستطيع أن نرجح ان يكون نجيبا قد ترجم هذه المسرحيات فاننا لا نعلـم فيما اذا كان قد قدر لها ان تطبع ٠ وقد بذلنا جهودا مرهقة بحثا عنها في العديد مـن المكتبات،العتيق منها والحديث، فلم نعثر لها على أثر ٠

ب ـ المسرحيات المقتبسة والمعربـة :

(١) "الطبيب المغصوب" ٠ (أدبية، غرامية، فكاهية، مضحكة)٠ وهي معربـة عن مسرحية "Le Médecin Malgré-Lui" "١٦٦٦" لموليير ٠

(٢) "حمدان" ٠ وهي معربة عن مسرحية "Hernani" "١٨٣٠" من تأليف "V. Hugo" "١٨٠٢ ـ ١٨٨٥" ٠ وقد طبعت سنة ١٩٠١ على مطبعـة المعارف بعناية جرانت اسكدر٠ (٢)

---

(١) انظر غلاف "حديث ليلة" و"شهداء الغرام" و"ثارات العرب" المطبوعة سنة ١٩٠٤
(٢) الضيـاء ، ٣:٤٣٨

(٣) "ثارات العرب" ٠ وهي معربة عن مسرحية "Les Burgraves" "١٨٤٣" لفكتور هيجو ٠

(٤) "صلاح الدين الايوبي" ٠ وهي مقتبسة عن قصة "The Talisman" من تأليف "Sir Walter Scott" "١٧٧١ـ ١٨٣٢" وقد طبعت عدة مرات منها طبعة بعناية جرانت اسكندر صدرت عن مطبعة المعارف في القاهرة سنة ١٩٠٢ ٠ واخرى صدرت عن مطبعة جرجي غرزوزى بالاسكندرية سنة ١٩٠٤ ٠ وثالثة صدرت عن المطبعة اليوسفية بالقاهـــرة بالتزام المكتبة الملوكيـــة ٠

جـ ـ <u>المسرحيات المؤلفـــة</u> :

تذكر بعض المصادر[١] ان نجيبا ألف المسرحيات الآتية :

(١) "عمرو بن عدى" ٠ طبعت على مطبعة جرجي غرزوزى بالاسكندرية سنة١٩٠٢٠

(٢) "مسرحية المهدى" ٠

(٣) "الروايـــة الشعرية" ٠

(٤) "صدق الوداد " ٠

(٥) "عداوة الاخوين" ٠

ولكن هل نستطيع الجزم بان نجيبا قد الف هذه المسرحيات حقا ؟ واذا كـــــان الامر كذلك فهل طبعت أم لا ؟

لا يساورنا الشك في صحة تأليف نجيب مسرحية "عمرو بن عدى" ٠ فقد طبعت في الاسكندرية وبين ايدينا نسخة منها ٠ ويبقى امر الجزم بصحة تأليفه المسرحيات الاربع الاخيرة٠

---

(١) داغر ، <u>مصادر الدراسة الادبية</u>، ٢ : ٣٠٢، الحداد ، <u>تذكار الصبا</u> : ١٠٧ ـ ١٠٨

قال طانيوس عبده في مسرحية "المهدى" حسناتها في شعرها وفي مواقفها الحماسية والغزلية، وقد كتبها قبل ان تقررت الحملة على السودان من قبيل التكهن عن شأن هذه البلاد فجاءت موافقة اكثر لما جرى الى الآن مما يدل على حنكته (نجيب)".(١) وقال فيها جرجي زيدان: "تشخيصية تمثيلية مثل بها حوادث المهدى السوداني".(٢) وقد قام جوق اسكندر فرح بتمثيلها في بعض المدن والارياف.(٣) وفي كل هذا ما يدفعنا الى الجزم بأن نجيبا قد الفها بالفعل، وذلك في حدود سنة ١٨٩٦ التي تقررت فيها الحملة على السودان. وقال طانيوس عبده ايضا في "الرواية الشعرية"، "قد احتذى (نجيب) فيها مثال خاله المرحوم الشيخ خليل اليازجي في روايته "المروءة والوفاء" ولكنها لم تمثل لعدم رغبة بلادنا في هذه الفنون الجميلة".(٤) أما عداوة الاخوين فقد الحقها طانيوس بمؤلفات نجيب الحداد المسرحية دون ان يعلق عليها بشيء.(٥) ولم نعثر على أية معلومات بصدد مسرحية "صدق الوداد".

ان في ما تقدم ما يشجع على الجزم بأن نجيبا قد الف هذه المسرحيات او على الأقل الاربع الاولى منها. ولكننا لا نعتقد بأن ايا منها، باستثناء مسرحية عمرو بن عدى، قد طبع.

---

(١) الحداد، تذكار الصبا: ١٠٩

(٢) زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ٢: ٢٩١ــ ٢٩٣

(٣) انظر صفحة ٢٠٩ من هذا البحث

(٤) الحداد، تذكار الصبا، ١٠١

(٥) المصدر نفسه

تمثيل مسرحيات نجيب الحداد :

لم تكن مسرحيات نجيب الحداد وقفا على جوق تمثيلي واحد . فقد تداولتها فـرق عديدة، ومثلتها في مختلف المدن والقرى. ويبدو لمن يتسقط اخبار هذه المسرحيات انها ارتبطت بشكل ملحوظ بفرقة اسكندر فرح . فقد كانت هذه الفرقة تتلقف مسرحيات الحداد ، وتقوم بتمثيلها على مختلف المسارح . ومرد ذلك الى ان والده، سليمان الحداد ، كان ابـرز الممثلين في هذه الفرقة. فكان يأخذ المسرحية حال انتهاء ابنه من اعدادها ، ويلقـن ادوارها الرئيسة لاعضاء الفرقة، وقد يحتفظ بدور مناسب له فيقوم بتمثيله. وكان مـن الطبيعي، ايضا، ان ترتبط مسرحيات نجيب الحداد بالفرق التي كان والده يترأسـها او يشترك مع غيره في تأليفها .(١)

استطعنا ان نجمع طرفا من اخبار تمثيل هذه المسرحيات، فعرفنا، احيانا، الأزمـة التي مثل فيها بعض مسرحيات الحداد ، والمسارح التي قدمت عليها ، والفرق التي عنيت بها . ولا يعني هذا اننا وقعنا على كل شاردة وواردة في هذا الصدد . فان ما عرفناه لا يعـدو كونه قليلا من كثير .

١ . مسرحية غرام وانتقام (السيد)

يبدو ان نجيبا قد ترجم هذه المسرحية وهو لا يزال محررا في جريدة الاهرام . فقد أشارت تلك الجريدة(٢) ان سليمان الحداد قد حاول ان يقوم بتمثيل هذه المسرحية مساء الاربعاء في ٢٢ أيار سنة ١٨٨٩، الا انه عاد وتخلى عن ذلك لاسباب لم تذكرها لنا الصحيفة.

---

(١) نجم، المسرحية في الادب العربي الحديث : ١٦٨، الحداد ، المسرح العربي(٦) : المقدمة : ج
(٢) الاهـرام، العدد ٣٤٢٤ سنة ١٨٨٩

وانقطعت اخبار هذه المسرحية فترة طويلة من الزمن. ولا نعلم بالضبط اية فرقة مثلتهــا لأول مرة، وعلى اى مسرح قدمتها. ولكننا نعلم ان عددا من الفرق التمثيلية قد عنيت بها عناية فائقة.[(١)] فقد قام الجوق الاسكندرى بتمثيلها في الاسكندرية في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥، وأعاد تمثيلها في المنصورة في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٦.[(٢)] كما مثلتها جمعية الاتفاق في الاسكندرية بتاريخ ١٣ نيسان من العام المذكور.[(٣)] وقام بتمثيلها ايضا جوق اسكندر فرح فـــي القاهرة بتاريخ ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧،[(٤)] وشركة التمثيل الادبي في ١٧ آذار ســـنة ١٨٩٧[(٥)]، و ٢٦ نيسان[(٦)]، ١٧ كانون الاول سنة ١٨٩٨.[(٧)]

٢. مسرحية صلاح الدين الايوبي :

تداولت عدة اجواق تمثيل هذه المسرحية نذكر منها :

١) الجوق العربي، وقد مثلها عدة مرات منها : ٢٩ آذار[(٨)] و ٥ نيسان سنة ١٨٩٣[(٩)] في دار الاوبرا بالقاهرة. كما مثلها في ملعب زيزينيا بالاسكندرية في ١١ و ١٢ من نيسان وفي ٢ أيار سنة ١٨٩٣.[(١٠)]

---

(١) لسان العرب، ٣٩٢ سنة ١٨٩٥
(٢) المصدر نفسه، ٤٤٣ سنة ١٨٩٦
(٣) المصدر نفسه، العدد ٥١٠ سنة ١٨٩٦
(٤) المصدر نفسه، العدد ٩٨٧ سنة ١٨٩٧
(٥) المصدر نفسه، العدد ٩٨٧ سنة ١٨٩٧
(٦) المقطم، العدد ٢٧٦٢ سنة ١٨٩٨
(٧) المصدر نفسه، العدد ٢٩٦٩ سنة ١٨٩٨
(٨) الاهرام، العدد ٤٥٨٤ سنة ١٨٩٣
(٩) المقطم، العدد ١٢٣٥ سنة ١٨٩٣
(١٠) الاهرام، الاعداد : ٤٥٨٩، ٤٥٩٠ سنة ١٨٩٣، ٤٦٠٥ سنة ١٨٩٤

٢) جوق مصر العربي . وقد قام بتمثيل هذه المسرحية في ٢٢ نيسان سنة١٨٩٤ في دور الاوبرا .[١] واعاد تمثيلها في تياترو شارع عبد العزيز في ٢٨ نيسان من السنة ذاتها .[٢] ويبدو ان هذا الجوق كان يعيد تمثيلها في مختلف المواسم، فقد زودتنا لسان العرب بانه قام بتمثيل هذه المسرحية في ٧ حزيران سنة ١٨٩٧ .[٣]

٣) جوق سليمان القرداحي . مثلها هذا الجوق في شهر أيار سنة ١٨٩٥ في طنطا .[٤]

٤) جمعية الابتهاج الادبي . مثلها في تياترو عباس بالاسكندرية في ٢٩ حزيران سنة ١٨٩٥ .[٥]

٥) شركة التمثيل الادبي . مثلتها في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٦، و ١٨ شباط سنة ١٨٩٧ .[٦]

٠٣ مسرحية شهداء الغرام (روميو وجولييت)

قامت بتمثيل هذه المسرحية عدة فرق منها :

١) الجوق العربي في ١٨ شباط سنة ١٨٩٣[٧] و ١٧ حزيران[٨] و ٧ تموز سنة ١٨٩٤[٩] و ٢٤ أيار سنة ١٨٩٥[١٠] و ٢٨ تموز سنة ١٨٩٥[١١].

---

(١) المقطم ، العدد ١٥٥٥ سنة ١٨٩٤
(٢) المصدر نفسه ، العدد ١٥٦١ سنة ١٨٩٤
(٣) لسان العرب ، العدد ٨٤٥ سنة ١٨٩٧
(٤) المصدر نفسه ، العدد ٢٣٤ سنة ١٨٩٥
(٥) المصدر نفسه ، العدد ٢٧٢ سنة ١٨٩٥
(٦) المصدر نفسه ، العددان: ٦٨٩ سنة ١٨٩٦، ٧٦٥ سنة ١٨٩٧
(٧) الاهرام، العدد ٤٥٥٠ سنة ١٨٩٣
(٨) المقطم، العدد ١٦٠٢ سنة ١٨٩٤
(٩) المصدر نفسه ، العدد ١٦٢٠ سنة ١٨٩٤
(١٠) لسان العرب ، العدد ٢٤٣ سنة ١٨٩٥
(١١) المقطم، العدد ٢٨٣٩ سنة ١٨٩٨

٣) شركة التمثيل الادبي في أيار سنة ١٨٩٦.(١)

٠٤ مسـرحية المهـدي: ٤ سبتمبر ١٨٩٦

مثلها جوق اسكندر فرح في الاسكندرية في شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٦ (٢) وفي المنصورة في شهر كانون الثاني سنة ١٨٩٧.(٣)

٠٥ مسرحية الرجاء بعد اليأس: قبل ذلك ٢/١١/١٨٩١

مثلها جوق اسكندر فرح في ١ كانون الثاني سنة ١٨٩٤(٤) واعاد تمثيلها في دار الاوبرا في ١٥ نيسان من العام نفسه.(٥)

٠٦ مسرحية اوديب او السر الهائل:

مثلها جوق سليمان الحداد في ١٦ كانون الاول سنة ١٩٠٥(٦).

٠٧ مسرحية ثارات العرب:

مثلها جوق اسكندر فرح في ٢٢ تشرين اول سنة ١٨٩٨(٧).

٠٨ مسرحية البخيـل:

مثلها جوق رشيد لطيف في مسرح القرداحي في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ واعاد تمثيلها على مرسح عباس في الشهر ذاته.(٨)

---

(١) لسان العرب، العدد ٥٤٣ سنة ١٨٩٦
(٢) المصدر نفسه، العدد ٦٥٣ سنة ١٨٩٦
(٣) المصدر نفسه، ٧٣٦ سنة ١٨٩٧
(٤) المقطم، العدد ١٤٦٨ سنة ١٨٩٤
(٥) المصدر نفسه، العدد ١٥٥٢ سنة ١٨٩٤
(٦) الاهرام، العدد ٨٣٨٣ سنة ١٩٠٥
(٧) المقطم، العدد ٤٩٢٢ سنة ١٨٩٨
(٨) لسان العرب، العدد ٤٠٠ سنة ١٨٩٥

٠٩ مسرحية حمدان :

مثلها جوق سليمان الحداد في دار الاوبرا سنة ١٨٩٣، واعاد الجوق نفسه تمثيلها في تياتروا زيزينيا بالاسكندرية في ٢٥ نيسان سنة ١٨٩٣.(١) ويبدو ان الاقبال على هذه المسرحية كان حسنا لدرجة شجع سليمان على اعادة تمثيلها في قهوة البراديزو في شهر كانون الثاني من السنة ذاتها. كما قام الجوق الاسكندرى بتمثيل هذه المسرحية في الاسكندرية في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٥.(٢)

اسلوب نجيب الحداد في ترجمة المسرحية:

أشرنا سابقا(٣) الى ان نجيب الحداد قد حث مترجمي المسرحية في عصره على ضرورة الالتزام بالنص، والتمسك بأمانة النقل. الا ان نجيبا نفسه لم يطبق دعوته تلك على مترجماته المسرحية. فقد عمد الى اخضاع مادة الترجمة الى اذواق الناس عن طريق البتر والاضافة والتغيير. وقد عرض محمد يوسف نجم في باب دراسته للمسرحية الى معظم مسرحيات نجيب الحداد المعرب منها والمقتبس، وأشار الى مواطن العبث في كل مسرحية، ودل على معظم خصائص اسلوبه في مترجماته للمسرح. وهذه الخصائص، كما اوردها الدكتور نجم، تتلخص في النقاط الرئيسية التالية :

أولا :

حافظ نجيب، في الغالب على التنسيق الخارجي للمشاهد والفصول كما هو واضح في: السيد وحلم الملوك والطبيب المغصوب وحمدان وغيرها من المسرحيات.

---

(١) الاهرام، العدد ٤٥٩٩ سنة ١٨٩٣
(٢) لسان العرب، العدد ٣٩٤ سنة ١٨٩٥
(٣) انظر صفحة ١٦٩ من هذا البحث

ثانيا :

أضاف نجيب بعض المواقف الشعرية من عنده . ففي السيد ، مثلا ، اضاف موقفين شعريين اولهما لقاء دون رودريك لالفيرا في المشهد الاول من الفصل الثالث ، والثاني في الفصل ذاته عندما ودع رودريك اباه وتوجه الى القتال . وما هذه الزيادة الا نتيجة لميل المترجم لنظم الشعر في المواقف العاطفية واستساغة الجمهور لمثل ما يقال في مواقف عاطفية كهذه . وقد قضت الزيادة في تينك الموضعين على الصراع الذى كان البطل يعاني منه .

ثالثا :

حاول نجيب ان يضع المسرحيات المترجمة في مناخ عربي . وقد اقتضى منه ذلك اجراء ما يلي :

أ) تغيير اسماء المسرحيات . فمسرحية Hernani مثلا اصبحت حمدان ، ومسرحية Les Burgraves صارت ثارات العرب .

ب) تغيير اسماء معظم الشخصيات المسرحية . فلو اخذنا بعين الاعتبار بعض الاسماء في مسرحية Hernani لوجدنا ان "هرناني" اصبح حمدان ، "ودونياسول" صارت شمسا و"دون روى غوميز" اضحى نصر الدولة . اما الالقاب التي كانت سائدة في اوروبا فاسقطها المترجم في غالب الاحيان .

ج) تغيير احداث المسرحية بشكل يتناسب مع البيئة العربية . فحمدان مثلا ، في مسرحية حمدان ، يدخل الى قصر الاميرة شمس متلففا بعباءة مرتديا كوفة وعقالا بديل ان يرتدى ملابس ارغون الجبلية . كما استبدل المترجم القديسين بالانبياء والحج بنذر سيدة بيلار وأبالهب بيهوذا واستبدل ايضا صور الاجداد بشكك السلاح .

د) أضاف المترجم بعض المنولوجات الغنائية من عنده ، تمشيا مع رغبة النظارة في الغناء ٠

رابعا :

فهم نجيب احاسيس المتفرج العربي وميله الى النهاية السعيدة ٠ ولذلك ادخل على بعض المسرحيات ما يوفر مثل هذه النهاية ٠ فمسرحية هرناني مثلا تنتهي بموت البطل منتحرا بشربه السم ٠ وتتبعه البطلة الى نفس المصير ٠ الا ان المترجم ابقى على حياة البطل وزوجه من الاميرة شمس ٠

خامسا :

لم يتورع نجيب عن اسقاط فصول برمتها آنا ، او بعضا من اجزائها آنا آخر ٠ كما انه لم يتوان عن تغيير بعض الحقائق اذا لزم الامر ٠ وقد تجلت هذه الظاهرة بشكل خاص في ترجمته لمسرحية "روميو وجولييت" ٠

ونود ان نضيف الى الحقائق التي تقدم ذكرها ما يلي :

اولا :

راوح نجيب في مترجماته المسرحية بين الشعر والنثر بغض النظر عما اذا كانت المسرحية في الاصل شعرا او نثرا ٠ فمسرحية السيد اصلا شعرية ، وكذلك مسرحية روميو وجولييت ٠ وقد جاءت ترجمة الحداد لهاتين المسرحيتين مزيجا من النثر والشعر لا بل نستطيع القول بان النثر في كلا الترجمتين قد فاق ، من حيث الكم ، ما فيهما من شعر ٠ ويختلف الامر في ترجمته لمسرحية اوديب ٠ فقد تقدمت كمية الشعر فيها على كمية النثر ٠ وعندما اقتبس مسرحية "صلاح الدين

الايوبي" عن قصة "The Talisman" غلب في مسرحيته الشعر على النثر بما لا يقاس. اما مسرحية "الطبيب المغصوب" فخالية خلوا تاما من مادة الشعر. ولعل طبيعة مسرح موليير المضحك قد سدّ على المترجم الشاعر اقحام الشعر في تلك المسرحية.

ثانيا :

كان نجيب، عندما يضع الحوار نثرا ، يعتمد السجع حينا وينفلت الى النثر المرسل في غالب الاحيان. وعلى الرغم من لجوئه احيانا الى السجع فاننا نستطيع القول ان نجيبا قد تخلص، من الصنعة، في مترجماته ، الى حد بعيد .

ثالثا :

خلت جملة نجيب الحداد من آثار الترجمة. فالمعنى المنصوص عليه في الجملة الام ليس بالضرورة هو عينه في الجملة المنقولة. وقد يصل بنا القول الى ان المعنى في الفقرة الاصلية ليس هو نفسه في المقطع المنقول . فالفكرة العامة في النص، لا المعنى بجملته وتفصيله ، هي التي علقت في ذهن المترجم . فسبكها منشئا لا مترجما، واثبتها بطريقة لا يمجها ذوق القارئ العربي ولا يستغربها نهج تفكيره . وقد ساقه ذلك الى اسقاط كلماته ومصطلحات ، واضافة جمل وتعابير لا وجود لها في الاصل. وسنورد فيما يلي نصا من احدى المسرحيات(١) مرفقين اياه بترجمة الحداد له . وفي الوقت ذاته سنثبت ترجمة اخرى للنص عينه بعد ان تيقنا من دقة هذه الترجمة وانضباطها .

---

(١) Corneille, Le Cid, (Bordas: 1962) 39-40

SCÈNE II [1]. — L'INFANTE, LÉONOR, LE PAGE.

L'INFANTE. — Page, allez avertir Chimène de ma part
Qu'aujourd'hui pour me voir elle attend un peu tard,
Et que mon amitié se plaint de sa paresse.
(Le page rentre.)

LÉONOR. — Madame, chaque jour même désir vous presse;
Et dans son entretien [2] je vous vois chaque jour
Demander en quel point se trouve son amour [3].

L'INFANTE. — Ce n'est pas sans sujet : je l'ai presque forcée
A recevoir les traits [4] dont son âme est blessée.
Elle aime don Rodrigue, et le tient de ma main,
Et par moi don Rodrigue a vaincu son dédain :
Ainsi de ces amants [5] ayant formé les chaînes,
Je dois prendre intérêt à voir finir leurs peines.

LÉONOR. — Madame, toutefois parmi leurs bons succès [6]
Vous montrez un chagrin [7] qui va jusqu'à l'excès.
Cet amour, qui tous deux les comble d'allégresse,
Fait-il de ce grand cœur la profonde tristesse,
Et ce grand intérêt que vous prenez pour eux
Vous rend-il malheureuse alors qu'ils sont heureux ?
Mais je vais trop avant et deviens indiscrète.

L'INFANTE. — Ma tristesse redouble à [8] la tenir secrète.
Écoute, écoute enfin comme [9] j'ai combattu,
Écoute quels assauts brave [10] encor ma vertu.
L'amour est un tyran qui n'épargne personne :
Ce jeune cavalier [11], cet amant que je donne,
Je l'aime.

LÉONOR. — Vous l'aimez!

L'INFANTE. — Mets la main sur mon cœur,
Et vois comme il se trouble au nom de son vainqueur,
Comme il le reconnaît.

LÉONOR. — Pardonnez-moi, Madame,
Si je sors du respect pour blâmer cette flamme.
Une grande princesse à ce point s'oublier
Que d'admettre en son cœur un simple cavalier [1]!
Et que dirait le Roi ? que dirait la Castille ?
Vous souvient-il encor de qui vous êtes fille ?

L'INFANTE. — Il m'en souvient si bien que j'épandrai mon sang
Avant que je m'abaisse à démentir [2] mon rang [3].
Je te répondrais bien que dans les belles âmes
Le seul mérite [4] a droit de produire des flammes;
Et si ma passion cherchait à s'excuser,
Mille exemples fameux pourraient l'autoriser;
Mais je n'en veux point suivre où [5] ma gloire [6] s'engage [7]
La surprise des sens n'abat point mon courage;
Et je me dis toujours qu'étant [8] fille de roi,
Tout autre qu'un monarque est indigne de moi.
Quand je vis que mon cœur ne se pouvait défendre,
Moi-même je donnai ce que je n'osais prendre.
Je mis, au lieu de moi, Chimène en ses liens,
Et j'allumai leurs feux [9] pour éteindre les miens.
Ne t'étonne donc plus si mon âme gênée [10]
Avec impatience attend leur hyménée :
Tu vois que mon repos en dépend aujourd'hui.
Si l'amour vit d'espoir, il périt avec lui :
C'est un feu qui s'éteint, faute de nourriture;
Et malgré la rigueur de ma triste aventure,
Si Chimène a jamais Rodrigue pour mari,
Mon espérance est morte, et mon esprit guéri.
Je souffre cependant un tourment incroyable :
Jusques à cet hymen Rodrigue m'est aimable [11],
Je travaille à le perdre, et le perds à regret;
Et de là prend son cours mon déplaisir [12] secret.
Je vois avec chagrin que l'amour me contraigne [1]
A pousser des soupirs pour ce que je dédaigne;
Je sens en deux partis mon esprit divisé :
Si mon courage [2] est haut, mon cœur est embrasé [3],
Cet hymen m'est fatal, je le crains et souhaite [4] :
Je n'ose en espérer qu'une joie imparfaite.
Ma gloire [5] et mon amour ont pour moi tant d'appas,
Que je meurs s'il s'achève ou ne s'achève pas.

وردت ترجمة الحداد للنص السابق علي النحو التالـــي :[1]

الواقعة الثانيـة

اوراك ليــونــور خادم

اوراك: اذهب يا غلام الى شيمـان وقل لها اني انتظرهـا في هـذا المكـان ٠

ليونور: ما لي أرى سيدتي تستدعي شيمان كل يوم ثم لا تسألها في محادثتها الا عن حبها وازدياده ٠ فما تـرى سبب ذلك٠

اوراك: سبب ذلك ايتها العزيزة انني علقتها بحب الدوق رودريك ووعدتهـا بأن ازفها اليه ، وانه يهمني ان اتمم هذا الشأن الذى عزفت عليه ٠

ليونور: لكني يا سيدتي ارى انك عندما ترين شدة حبهما وولائهما لا تلبثين ان تظهرى الاسف والحزن من جرائهما ٠فهل ترين في حبهما ما يثقل عليك، وهل يوجد فيهما ما يحزنك اذ ترينهما في سعـادة وهناء، اخبريني يا مولاتي بسرك وأنــا أقسم لك بالكتمان والوفاء٠

وردت ترجمة يوسف رضا للنص ذاته علي النحـو التالـي :[2]

المشـهد الثانـــي

بنت الملك ــ ليونورا ــ وصيـف

بنت الملك: اذهب ايها الوصيف الى شيمين من قبلي، وابلغها انها اليوم قد تباطأت عن عن زيارتي، وان مودتي تأخذ عليها تمهلها ٠ (يتوارى الوصيف)

ليونور: مولاتي، تجد بك الرغبة كل يـــوم فتسألين شيمين كلما لقيتها عمّا افضت اليـه في غرامهــا ٠

بنت الملك: لا اسألها لغير ما سبب ، انا التي جعلتها هدفا للسهام التي ادمت مهجتها ،فهي تحب دوق رودريك، وانا التي اهديته لهـا وعلى يدى تمكن ان يستنزلها من معتصمها فأما وقد أبرمت بينهما اسباب هذا الغرام، فيعنيني ان ارى نهاية ما يعانيان من الجوى٠

ليونور: على انك يا مولاتي كلما لاحت بارقـة تبدين اسفا تبالغين فيه ٠ فهل ذلك الحب الذى يملأ قلبيهما سرورا يضفي على قلبك النبيل حزنا عميقا ، وهل تلك العناية التي تشملينهـا بها تجعلك شقية من حين انها تسعدهمــا ؟ أراني قد جاوزت حدى وانتهيت الــــى الفضـول ٠

---

(١) الحداد، المسرح العربي (٦) : ٥ ــ ٨

(٢) بيار كورني، السيد، ترجمة يوسف محمد رضا، تحقيق خليل شرف الدين (١٩٦٦، لات بلا مط) ٢٠ ــ ٢٤

اوراك : انه سرّ يحرق فؤادى فلا بد من افشائه واظهاره ، فاسمعي وارثي لحالي واعجبي من شدة الحب وأكداره . فان الحب حاكم ظالم على القلوب وان هذا الفارس الجميل الذى امرتها بحبه اكاد انا ايضا من حبه أذوب .

ليونور : انت تحبينه .

اوراك : نعم ولو وضعت الآن يدك على جناني لوجدت شدة خفقانه عندما يذكر هذا الحبيب لساني .

ليونور : عفوا يا سيدتي اذا خرجت عن دائرة احترامك ولمتك على حبك وغرامك . وما كنت احسب ان اميرة مثلك في رفعة المجد والعلاء ، تتنازل الى هوى فتى من اواسط النبلاء . فماذا يقول عنك ابوك واشراف البلاد الا تدرين ابنة من انت من الملوك والامجاد .

اوراك :

نعم ادرى وفي عشقي بلائي
فامنعه ولو سفكت دمائي
لان المجد في اعلى مقام
لدى وبعده يأتي ولائي
ولكن لا تسمي الحب عارا
بلى هو من علامات العلاء
وكل فؤاد مرء ليس يهوى
يعد لدى ادنى الادنياء
فلا عار عليّ بحب من لا
يدانيني فمثلي كم نساء
ولكني لزمت مقام ملكي
فما ارضى سوى باهي الثناء

بنت الملك : مما يضاعف حزني انني لا أبوح به . اصغي الي ، واعلمي اى جهاد جاهدت واى كفاح ما زلت اكافح حتى لا تخونني عزيمتي . ان للهوى طغيانا لا يبقي على أحد . وهذا الفارس الشاب ، هذا الحبيب الذى اهديه الى سواى أحبه .

ليونورا : تحبينه !

بنت الملك : ضعي يدك على قلبي ، تحسسي كيف يخفق لذكرى مالكه ، وكيف يعرف سلطانه عليه .

ليونورا : اغتفرى لي يا مولاتي ان اتخطى واجب الاجلال واخطئك في هذا الهوى . اتتمادى اميرة عظيمة في تناسي مقامها حتى تفسح مكانا في قلبها لفارس من عامة الفرسان ! وماذا يقول الملك ؟ وماذا تقول قشتالة ؟ أتذكرين ، ام غاب عنك ابنة من تكونين ؟

بنت الملك : أذكر ذلك ولن يغيب عني او اسفك دمي قبل ان آسف الى ما دون منزلتي . على انني لو التمست المعاذير لصبوتي لاستعنت بألف مثل سائر لأبررها . ولأجبتك بان من بلغته نفسه العليا حقيق بان يقع له من ذوات النفوس الكريمة ما لا يقع منهن لانداده . غير اني لا اريد ان اقتدى بقدوة تمس شرفي ، ولن امكن سورة مشاعرى من التغلب على ابائي ، بل أقول لنفسي دوما : انني بنت الملك . وان كل رجل ليس كفء لي ما لم يكن صاحب تاج ولما وجدت ان قلبي اوشك أن يفقد منعته ، اعطيت بيدى ما لم اكن لأجسر على اخذه ، فجعلت شهمين

ولما ان شعرت بان قلبي
يغالبني على هذا العناء
اقمت مقامه شيمان حتى
اخلصه على هذا الفداء
وسهلت الغرام لها دعما
قليل سوف تقرن بالرفاء
لأن حبيبها ان دام خلوا
يزيد بان اقارنه رجائي
لذاك تريني اسعى بجهدى
وارغب ذا القران بلا مراء
لان به يخف عذاب قلبي
وأخلص من رجائي او بلائي

بمكاني منه وقيدتها بقيوده واوقدت نيرانها لاطفئ نيراني . فلا تعجبي اذن من نفسي المعذبة التي ترقب زواجهما بفارغ صبر . لذا تربن ان راحتي بعد اليوم منوطة بهذا الزواج . واذا ما عاش الحب بالامل، فانه يموت بموته ، وانه لينطفئ كالنار حين يجد من يضرمه . وبالرغم مما اعانيه من هذه المحنة الكئيبة، فان عقد لشيمين على رود ريك يوما ، قضي على املي، وشفي عقلي . على انني في هذه الاثناء اكابد ما لا تدركه الظنون، والى ان يتم ذلك القران سيظل رود ريك هواى، اعمل لفقده، واجزع لفقده ، ومن هنا مبعث شجوني الخفية . واني لارى بحسرة ان الحب يرغمني على ان اصعد الزفرات شوقا الى من أزدريه ، اشعر بقلبي وقد انشق شغافه : شطرا بالشجاعة علا ، وشطرا بالصبابة استعر ، هذا الزواج شؤم علي فاخشاه وأتمناه : ان غاية ما آمل فيه ليس الا سرورا منقوصا . شرفي وحبي يتنازعان بي، فسواء علي ان اموت ثم هذا القران ام لم يتم.

١٧- <u>دراسة مسرحيتين من مسرحياته :</u>

درس محمد يوسف نجم في كتابه المسرحية في الادب العربي معظم مسرحيات نجيب الحداد . وقد بلغ نجم في دراسته لتلك المسرحيات وغيرها من مسرحيات القرن التاسع عشر ومطلع هذا القرن، درجة من الاحاطة والعمق بحيث لم يترك مجالا كبيرا للاضافة. فقد تحدث عن الاسلوب الذى ترجمت فيه هذه المسرحيات،واشار الى الاضافات التي الحقها المعرب بالاصول،ودل على الفصول او بعض الفصول التي اسقطت من كل ترجمة،وبين ما أصاب الحقائق الاصلية من تبديل وتغيير.

ومسرحيات الحداد التي درسها نجم هي : "غرام وانتقام" (السيد) و"حلم الملوك" (سينا) و"شهداء الغرام" (روميو وجولييت) و"الطبيب المغصوب" و"حمدان" و "ثارات العرب". ونحن نعتقد ان الحديث عن هذه المسرحيات ثانية في هذه الدراسة لن يكون الا ضربا من التكرار، وان اى مجهود نبذله في هذا الصدد لن يضيف الى تلك الدراسة الضافية شيئا يذكر. فاكتفينا برد القارئ الى ذلك المرجع القيم.(١)

أما المسرحيات الاخرى المطبوعة التي لم تتناولها دراسة نجم فهي اربع : اثنتان منها مترجمتان وواحدة مقتبسة واخرى مؤلفة. وقد بدا لنا ان تحليل نجم لمسرحيات الحداد الخمسة التي سبقت الاشارة اليها تعطينا فكرة واضحة عن النهج الذى اتبعه الحداد في مترجماته . ولذلك رأينا ان نتخطى هاتين المسرحيتين المترجمتين — الرجاء بعد اليأس وأوديب — الى المسرحيتين المتبقيتين من مسرحيات الحداد وهما "صلاح الدين الأيوبي" و"عمرو بن عدى".

صلاح الدين الايوبي هي المسرحية الوحيدة التي اقتبسها نجيب الحداد عن قصة نثرية ومسرحها بطريقة تتناسب مع ذوق المشاهدين العرب. ورغبتنا ان نبين طريقته في مسرحة تلك القصة النثرية. كما أن علاقة تلك المسرحية بقصة الطلسم وولتر سكوت كانت مثار جدل . فانقسمت الآراء بصددها ما بين مثبت لتلك العلاقة مؤكد ان الحداد في تلك المسرحية قد صدر عن احداث القصة المذكورة، وبين ناف لها كل النفي داحض القول بوجود اى رابطة تربط بين المسرحية والقصة. وعرجت بعض الآراء بين الموقفين متأرجحة بين النفي والاثبات .

أما "عمرو بن عدى" فمسرحية لم تدرس قط . ولعلنا لا نجانب الحقيقة ان نحن قلنا

---

(١) انظر تحليل هذه المسرحيات في : نجم، المسرحية في الادب العربي الحديث، ٢٠٦ — ٢٠٨ ، ٢٠٨ — ٢١٠، ٢٦٣ — ٢٦٥، ٢٦٧ — ٢٧٠، ٢٧٠ — ٢٧٣ على التوالي .

ان المصادر والمراجع التي استقينا منها معلوماتنا عن الحداد ونتاجه لم تلتفت اليها في شيء يذكر. فرأينا ان نوفيها مثل الذى كان لأخواتها من دراسة وتحليل . أما اننا نلحق مسرحية مؤلفة بفصل خصص لدراسة نجيب المترجم فتعليله ، انها الوحيدة بين مسرحياته المؤلفة التي وصلتنا ، وانها بحد ذاتها لا تستحق ان نفرد لها فصلا خاصا . ولما كانت "عمرو بن عدى" اولى مسرحيات الحداد على الاطلاق وانها كانت بمثابة الباب الذى ولجه الى عالم الكتابة المسرحية التي جلها مترجم رأينا ان في بحثها ما يعطينا صورة اكثر تكاملا لعمل الرجل في هذا المضمار .

أ ـ مسرحية صلاح الدين الأيوبي :

كانت حياة صلاح الدين، وما زالت ، من القصص الشيقة التي يلذ للعربي ان يقرأها على صفحات الكتب او يشاهدها على خشبة المسرح . فهذه الشخصية التاريخية بما تحلت به من صفات الشجاعة وسيماء البطولة ،وما اتسمت به من مكارم الاخلاق وجميل الصفات تتصادى مع اشواق العرب لولادة القائد المخلص،وتجسد احلامهم في العودة الى سابق عهودهم من اتحاد وصلابة. هذا فضلا عما تحلت به من تسامح ديني ما زال موضع اكبار حتى يومنا هذا .

ومما لا شك فيه ان نجيبا كان يعي ذلك الشوق في نفوس مواطنيه ويتلمس توقهم الحران الى التراصّ والتماسك. كما انه كان يتحين الفرص لشل نمو التعصب الديني الذى عانى منه غير المسلمين في مصر عهد ذاك. فرأى في شخصية صلاح الدين ما يحقق كل ما اعتمل في نفسه وعاش في ذهنه . واعمل قلمه في مسرحتها منضما بذلك الى قافلة الادباء الذين عملوا قصارى جهدهم لرد نظر الفرد العربي الى تراثه . وقد سبق ان أشرنا الى ان نجيبا كان يؤكد على كل ما من شأنه ان يوقف ذوبان الشعوب العربية في جسم الامبراطورية العثمانية ويعرقل

انصارها بالجنسيات الاخرى.[١] فكانت مسرحية صلاح الدين هذه حلقة من تلك الحلقات الهادفة الى شد الفرد العربي لماضيه .

لا نعلم على وجه التحديد متى خط نجيب هذه المسرحية. فأقدم اشارة وقعنا عليها بصددها ترقى الى سنة ١٨٩٣ حين روت الاهرام ان جوق سليمان الحداد قد قام بتمثيلها في العام المذكور . ومن المرجح لدينا ان نجيبا قد انتهى من اعدادها في ذلك العام لما نعلمه من ان والده كان يتلقف انتاجه ويقوم بتمثيله فور الانتهاء من وضعه . كما اننا لا نعلم، على وجه الدقة، متى دفع نجيب بهذه المسرحية الى المطبعة. والذى نعلمه ان هذه المسرحية هي المسرحية الوحيدة التي طبعت من مسرحيات الحداد اثناء حياته[٣]. ويبدو ان نجيبا قد تركها مخطوطة فترة من الزمن تداولتها خلالها الفرق التمثيلية، وعملت فيها حذفا واضافة، حتى خشي عليها من التلف، فألح عليه صحبه الاسراع بطباعتها ففعل كما اشاروا ،[٤] ثم توالت طباعتها بعد موته .[٥]

تحدثت المصادر والمراجع عن هذه المسرحية بطرق متناقضة. فقد أشار جرجي زيدان الى ان هذه المسرحية مقتبسة عن رواية الطلسم لولتر سكوت .[٦]. والحقها كل من طانيوس عبده وحنا سركيس ويوسف اسعد داغر وعادل الغضبان بمسرحيات الحداد دون الاشارة الى ما اذا كانت مقتبسة او مؤلفة.[٧] وقال جرجس كنعان: "يمكن ان يقال انه (نجيب) ألفها"[٨]

---

(١) انظر صفحة ١١٧-١١٨ من هذا البحث
(٢) الاهرام ، العدد ٤٥٨٣ سنة ١٨٩٣
(٣) الحداد ، تذكار الصبا : ١٢٢
(٤) نجيب الحداد ، رواية صلاح الدين الايوبي (ط ٢، القاهرة: مطبعة المعارف ، ١٩٠٢) ٣
(٥) انظر صفحة ٢٠٤ من هذا البحث
(٦) زيدان، تراجم مشاهير الشرق : ٢ : ٢٩١
(٧) انظر: الحداد ، تذكار الصبا : ١٠٨، الضياء ١ : ٣٨١، داغر ، مصادر الدراسة الادبية ، ٢ : ٣٠٢، الغضبان، الشيخ نجيب الحداد : ٢٩.
(٨) جرجس كنعان، الاداب العربية وتاريخها : ٦١٣

وجاء في قول لمحمد يوسف نجم : " يقال انه (نجيب) اقتبسها عن قصة الطلسم ".(١) وفي وسط هذا الشك بصحة تأليفها او اقتباسها يستوقفنا قول ذو بال، صدر عن نجيب الحداد نفســـه ، جاء فيه : "هذه اول رواية وضعتها من عند نفسي غير مستند على التعريب فيها ." (٢) وقد بدا لنا ان نزيل الغموض الذى اكتنف هذه المسرحية، ونحدد على سبيل القطع مدى علاقتها بقصة الطلسم .

***

يتـألف الفصل الاول من مسرحية صلاح الدين من منظرين يقعان في مجموعهمـا في عشرة اجزاء، الستة الاولى منها تشكل المنظر الاول والاربعة الباقية تشكل المنظر الثاني . وبعد الاستقصاء والمقارنة بين المسرحية والاصل تحقق لنا ان المنظر الاول هو من تأليف نجيب ، فلا نقع فيه على ما يشتم منه انه استند في تأليفه على بعض احداث القصة. فأظهر لنـا شخصية صلاح الدين بما تتحلى به من سيماء الرجولة ومكارم الاخلاق، وقدم لنا طرفا من اخبار الهدنة التي عقدت بين الجيوش الاسلامية والصليبية ، وكشف لنا عن اعجاب صلاح الديـن بريكاردوس القائد الصليبي، ثم تحول الى اظهار الشعراء وهم يتسابقون في مدح السلطـان صلاح الدين. وما ان يبدأ الجزء الخامس حتى تبدأ بعض احداث الطلسم بالتسرب الـى مسرحية الحداد . فقد خصص الاجزاء الخمسة الباقية من الفصل الاول ليعلمنا عن شأن الرسالة التي بعث بها ريكارديوس الى صلاح الدين، طالبا فيها السماح لزوجه ولاخته الاميرة جوليـا بزيارة احد الاديرة الواقعة في ارض تدين بالولاء لصلاح الدين، فوافق الاخير على ذلـك . ثم يتحدث الحداد عن زيارة الحـاشية الملكية للدير ، ويبسط لنا قصة حب حدثت بين وليم حارس الحاشية ، وبين الاميرة جوليا شقيقة الملك.

---

(١) الحداد، المسرح العربي (٦) دراسات ونصوص: المقدمة : د
(٢) الحداد، صلاح الدين الايوبي : ٢

استند الحداد في أخبار الزيارة هذه ،وقصة العشق بين وليم وشقيقة الملك ، الى الفصل الثامن من قصة الطلسم . وقد أجرى نجيب بعض التعديلات على ما جاء في الاصل . فالمسرحية تشير الى ان زوجة الملك واخته قدمتا الى زيارة الدير . ولكن الطلسم تنبئ ان زوج الملك وابنة عمه ، لا أخته ، هما اللتان قامتا بتلك الزيارة.(١) وجعل نجيب اسم الاميرة هذه "جوليا" بينما هي في الطلسم "اوديت". وبينما جاءت قصة الزيارة في الطلسم عرضية، يفهمها القارئ من خلال الحديث الذى دار بين بعض شخصيات القصة، فقد جاءت في المسرحية رئيسية مستنفدة، الجزئين السابع والثامن. ومرد ذلك، كما يتراءى لنا، ميل المؤلف الشاعر الى النظم في مثل هذه المواقف العاطفية من جهة، وتعاطف النظارة مع اقاصيص الحب ،وأحاديث الهوى،من جهة اخرى.

***

وفي الفصل الثاني من المسرحية يعتمد المؤلف على قصة الطلسم بشكل اوضح من اعتماده عليها في الفصل الاول. يقع الفصل الثاني في منظرين يؤلفان في مجموعهما سبعة اجزاء. وأحداث هذا الفصل موزعة على النحو التالي :

الجزء الاول : وفيه يتحدث المؤلف عن مرض ريكارديوس ويورد حديثا دار بين الملك الانجليزى وبين وزيره ريفو حول شخصية صلاح الدين الأيوبي. وقد اعتمد المؤلف في ذلك كله على الفصل السادس من قصة الطلسم.

الجزءان الثاني والثالث : وفيه يعرفنا المؤلف على شخصية المركيز ، منافس وليم في حب جوليا، ويخبرنا كيف لجأ المركيز الى المكيدة ليكسب ود معشوقته. فسرق خاتمها بالتعاون مع احد افراد حاشيتها، واستخدمه في تضليلها. وهذان الجزءان مقتبسان عن الفصل الثاني عشر من قصة الطلسم.

---

(١) Sir William Scott, The Talisman (Edinburg: 1891) pp. 179, 265, 267, 282

الجزء الرابع : يعرض المؤلف في هذا الجزء دخول صلاح الدين الايوبي ووزيره متخفيين بخيمة ريكارديوس لمعالجته . ويتحدث عن انقسام الجيوش الاوروبية على نفسها . ويذكر تمرد ملك فرنسا على ريكارديوس قائد الحملة . وقد اقتبس الحداد هذا الجزء عن الفصل الحادي عشر من قصة الطلسم .

الجزء الخامس : وهو فقرة بسيطة يفسر فيها المؤلف ، على لسان صلاح الدين ، اسباب الانشقاق الذي منيت به جيوش الحملة . والاسباب التي لمح اليها الحداد تلميحا هي نفسها المبثوثة في اماكن مختلفة من قصة الطلسم ، يقع عليهما القارئ مباشرة حينا ، ويتنسمها من سياق الاحداث احيانا اخرى .

الجزءان السادس والسابع : ويشتملان على اخبار النزاع بين ريكارديوس من جهة وملك النمسا من جهة اخرى . ويأتيان على اخبار وساطة ملك فرنسا لتسوية هذا النزاع . وهذان الجزءان مقتبسان عن الفصل الحادي عشر من قصة الطلسم .

***

ثم يكون الفصل الثالث فنرى التسابق الذي جرى بين وليم والمركيز للفوز بحب جوليا . فيعرض المؤلف الدسائس التي حاكها المركيز في الخفاء للايقاع بمنافسه وليم . فقد استغل حراسة وليم للعلم الانجليزي فبعث اليه بمن اخبره ان جوليا تنتظره في مكان ما ، وناوله الخاتم المسروق مصداقا لذلك . فعهد وليم بحراسة العلم الى احد الجنود وذهب ليقابل معشوقته . وما ان ابتعد وليم قليلا حتى انقض المركيز على الجندي فأجهز عليه وسرق العلم واختفى .

مادة هذا الفصل مقتبسة عن الفصلين الثاني عشر والثالث عشر من قصة الطلسم . الا ان مستلزمات التعريب والتمثيل معا ارغمت الحداد على اجراء بعض التعديلات . فوليم

في المسرحية، يعهد بحراسة العلم الى احد الجنود ، وفي الطلسم يعهد بذلك الى كلبه(١) وبينما يقضي المركيز على الجندي الذي خلف وليم، نجد انه في الطلسم يجرح الكلب جرحا بليغا ويتركه بعد ان ترائى له ، خطأ، انه أجهز عليه ٠

* * *

وفي الفصل الرابع نرانا امام النتائج التي ترتبت على سرقة العلم٠ فوليم يتعرض لغضبة ريكارديوس، وتتوالى الوساطات للتخفيف من سورة الغضب الا انها جميعا تبوء بالفشل٠ ويحاول الطبيب الذي اشرف على معالجة ريكارديوس ان يسهم في تخفيف غضب ريكارديوس على وليم لعلمه بما اداره المركيز في الخفاء من مؤامرات٠ وبالفعل ينجح الطبيب، وهو صلاح الدين، في مسعاه ٠ هذا الفصل مقتبس عن الفصول : الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من قصة الطلسم٠

* * *

وفي الفصل الخامس نقف على اخبار زيارة ريكارديوس، وعلية القوم من الافرنج ، لمعسكر صلاح الدين الايوبي٠ ونعلم ان الطرفين ابرما معاهدة سلم بينهما٠ واخبار الزيارة هذه واردة في المسرحية والطلسم ولكن على شيء من الاختلاف٠ فمثلا اسباب هذه الزيارة كما يوردها الحداد تختلف عن الاسباب التي نطالعها في الطلسم٠ يقول الحداد، على لسان صلاح الدين وقد سئل عن الاسباب التي دعت لاجتماع الطرفين وما عسى ان يتم بينهما : "اولها عقد السلام والصلح ٠ فقد كفانا ما جرى من الحروب وما سال بيننا من الدماء٠ وثانيهما الحكم في مسألة (سرقة العلم) يجرى بها العدل مجراه وينال كل حقه وجزاءه ٠ وثالثها عقد

---

(١) Scott, The Talisman: 143

اتفاق بين اثنين ولا ادرى كيف يتم . ورابعها انهم يرون صلاح الدين بين رجاله الابطال الامناء . وينظرون كيف نحن في السلم لطاف كما نحن في الحرب اشداء . "(١)

اما السبب الكامن وراء تلك الزيارة، كما اورده سكوت ، فهو البحث عن ارض محايدة تقوم عليها المبارزة بين كينث (وليم) وبين المركيز (٢) بعد ان كشف النقاب عن المؤامرة التي دبرها الاخير للايقاع بوليم كما أشرنا .

ونشير اخيرا الى التعديلات التي أجراها الحداد على قصة الطلسم ليجعل منها مسرحية تتناسب مع البيئة :

اولا :

اهمل الحداد النزاع الذى كان مستحكما بين الجيوش الافرنجية . فلم يخصه باقسام تذكر من المسرحية . اما سكوت فقد كرس قسما كبيرا من قصته للحديث عن ذلك .

ثانيا :

تغاضى نجيب عن ذكر قضايا كثيرة طالعتنا بها قصة سكوت . فقد اهمل الحديث عن الدوافع الدينية التي كانت تكمن وراء الحملات الصليبية، وغض الطرف عن علاقة الكنيسة بالجيوش الصليبية المحاربة، وتناسى الاشارات المتكررة الى ذكر الصليب ، وأغفل عن ذكر الرهبان والاديرة والطقوس الكنسية . فأمور كهذه تبدو ، الى حد كبير ، غريبة على حياة الكثيرين من النظارة العرب الذين هم في غالبيتهم الساحقة من المسلمين .

ثالثا :

استبدل نجيب بعض الاحداث التي يمكن للقارئ الغربي ان يفهمها ويقدرها

---

(١) الحداد ، رواية صلاح الدين الايوبي : ٦٦

(٢) Scott, The Talisman: 283

بأحداث اخرى ليست غريبة على البيئة العربية٠ وسنورد هنا بعض الامثلة على ذلـــك:
عهد وليم، كما جاء في الطلسم، بحراسة العلم الى كلبه ، ولكنه ، كما ورد في المسرحية، تركه في حراسة احد الجنود ٠ وتفسيرنا لذلك ان المجتمع العربي لا ينزل الكلب منزلة يضعـــه فيها المجتمع الغربي٠ اضف الى ذلك ان تلقين الكلب دورا تمثيليا شيء عسير٠ ومن تلـك الامثلة ايضا ان ريكارديوس في الطلسم كان يحتفظ قرب سريره ، بفأس من اجل الدفاع عن نفسه اذا لزم الامر ٠ اما في المسرحية فكان يحتفظ بسيف بدلا من الفأس٠

رابعا :

غير نجيب نص الاقسام ذات الطابع الغربي وجعلها في المسرحية ذات طابع شرقي ٠

خامســا :

بينما يطالعنا الطلسم بما كان يكنه الجنود الصليبيون للمسلمين من حقد وكراهية لا لشيء الا لأنهم يغايرونهم في الدين، تبين لنا المسرحية ان صلاح الدين وجنوده كانــوا على منتهى ما يكون عليه التسامح وأقصى ما يبلغه التواصل ٠(١)

وقصارى القول فالمسرحية مقتبسة فعلا عن رواية ولتر سكوت٠ وتبدو الاضافــات التي زادها الحداد على المسرحية والتي لا أصل لها في الطلسم ذات شأن بسيط اذا مـــا قورنت بالاحداث الجسام التي استمدها الحداد من الطلسم وجعلها اساسا لبناء مسرحيته ٠ وقد جاء القسم الاكبر من تلك الاضافات ان لم يكن كلها، لتلاحم احداث المسرحية وربـــط اجزاءها بعضها الى بعض٠

---

(١) انظر ، مثلا على ذلك، الحداد ، رواية صلاح الدين الايوبي : ٢٠

ب — مسرحية عمرو بن عدي :

استلّ الحداد طرفا من احداث هذه المسرحية من التاريخ العربي القديم على غرار ما فعله العديد من كتّاب القرن الماضي الذين استوحوا التاريخ الدوافع سياسية واجتماعية. وقد مرّ معنا ان نجيبا قد ثار على ما كان يلاقيه قومه من ظلم وضيم. فرأيناه يدعو الى سلخ الشعوب العربية عن جسم الامبراطورية العثمانية مؤكدا على كل ما من شأنه ان يبلور وحدة هذه الشعوب ويشد بعضها الى بعض.

ولعل نجيبا في تأكيده على امجاد العرب وعودته الى تاريخهم متأثر بانسبائه اليازجيين. فقد عمل جدّه الشيخ ناصيف جاهدا على احياء العربية، ونظم خاله ابراهيم القصائد الوطنية والاناشيد الحماسية، وألف خاله خليل "المروءة والوفاء" وهي مسرحية تاريخية تعود بأحداثها الى عهد النعمان بن المنذر.(١) وهكذا سار الحداد في ركابهم وألف مسرحية "عمرو بن عدي" سنة ١٨٨٧(٢) على الارجح.

***

تعود احداث هذه المسرحية الى زمن الملك جذيمة بن مالك(٣) ثاني ملوك الحيرة. وملخصها ان رقاش أخت الملك قد اغرمت بعدي بن نصر نديم اخيها وجليسه.

---

(١) خليل اليازجي، المروءة والوفاء او الفرج بعد الضيق (بيروت : المطبعة الادبية، ١٨٨٤) ٥. انظر مضمون هذه المسرحية وتحليلها في : نجم ، المسرحية في الادب العربي الحديث : ٢٩٤ ـ ٢٩٨

(٢) جاء في ختام هذه المسرحية : "وكان الفراغ من تبيضها بقلم ناظمها في ٦ آب سنة ١٨٧٨"، الحداد، رواية عمر بن عدي : ١١٠" ومن الجلي ان هذا الرقم خطأ مطبعي. وهناك احتمالات لقراءته هما (١٨٧٨) و (١٨٨٧). نستبعد القراءة الاولى لأن الحداد سنتئذ لم يكن قد تجاوز السنوات العشر. وترجح القراءة الثانية اذ كان له من العمر عهدذاك عشرون ربيعا.

(٣) انظر بشأنه : جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، (بغداد : مطبعة النقيض، ١٩٥٠) ٤ : ٢٤.

ودفعت بعشوقها الى طلب يدها من الملك بعد ان يأخذ الشراب منه مأخذا٠ وفي ذات يوم عمل عدي بما قالته رقاش فأجابه الملك الى طلبته فعاد الى رقاش وتزوجها٠ ولما عاد الملك الى صوابه وعلم بما حدث اراد ان يفتك بعدي، ولكن الاخير لاذ بالفرار وهاجر من الحيرة تاركا في احشاء زوجته جنينا٠ ثم كان ان وضعت رقاش غلاما اسمته عمرا، فقبله جذيمة في حاشيته٠ ولما شبّ الغلام علق قلبه ليلى ابنة أخ جذيمة وبادلته حبا بحب كما علقها ايضا الحارث وهو من اقرباء الملك ايضا وأخذ يتودد اليها لينال عندها الحظوة ولكن محاولاته باءت بالفشل٠ وفي ذات يوم ضلّ عمرو في الصحراء وهو يطارد الصيد وأخذ يتنقل من قفر الى قفر الى ان جاء واحة فحلّ فيها وراح يقتات من اثمارها ويأنس بطيورها وحيوانها٠ وتولى الحزن امه ومعشوقته فبكتاه دمعا غزيرا وأقامتا على انتظاره مديدا من الزمن٠ ولم يكن جذيمة بأقل منهما حزنا على فقده عمرا فعمم اخباره على العربان وارسل من يجد في طلبه على غير فائدة٠ ولما طالت غيبة عمرو تجدد الرجاء في نفس الحارث في الاقتران بليلى والتجأ الى الملك يطلب منه العون واستطاع ان يحصل منه على وعد بتزويجه من ليلى٠ وصادف ان مرّ بالواحة التي يقيم فيها عمرو تاجران وكان خبره قد بلغ مسمعيهما٠ فلما رأياه منفردا في تلك الواحة ارتابا في أمره٠ فاستنبساه وعادا به الى الحيرة٠ وهناك أمر الملك بتزويجه من ليلى٠

***

ومن المرجح لدينا ان الحداد قد اطلع على خبر رقاش وعدي في مؤلف لاسكندر ابكاريوس٠[1] فقد ذكر الشيخ سليمان الحداد في مقدمة الرواية وشرحها "ان تاريخ جذيمة

(١) انظر بشأنه: شيخو، الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢: ١١٥–١١٦؛ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧) ٤: ٢٦٠

مأخوذ عن كتاب وجد بالقسطنطينية وقد نقل عنه المرحوم الطيب الاثر اسكندر آغا ابكاريوس كتابه المسمى "نهاية الادب في اخبار العرب"(١) فهذا القول يدفع الى الاعتقاد ان سليمان اطلع على قصة رقاش وعدي في هذا الكتاب. فاذا كان أمر ابكاريوس وكتابه مألوفا لدى الوالد فمن المرجح ان يكون كذلك لدى الابن ايضا . والواقع ان اسم ابكاريوس لم يكن بالغريب عن بيئة نجيب الحداد . فقد قرظ خاله الشيخ ابراهيم اليازجي في احدى قصائده(٢) رواية ابكاريوس "ريحانة الافكار" فاذا اضفنا الى ذلك كله ان مؤلف ابكاريوس قد طبع سنة ١٨٥٣ وكتب التاريخ دورذاك لم تكن كثيرة الانتشار سهلة المتناول، ازددنا ميلا الى الاعتقاد بأن نجيبا اطلع على بعض احداث مسرحيته من خلال مؤلف ابكاريوس السابق الذكر .

وعندما قمنا بعقد مقارنة بين القصة كما تناولها كل من الحداد وابكاريوس وقفنا على بعض المفارقات. فالقصة التاريخية تشكل جزءا بسيطا من قصة المسرحية. فهي عند ابكاريوس مقصورة على تعلق رقاش بعدي وضياع ابنهما عمرو في البراري وعودته الى القصر بعد فترة من الزمن. وقد اثبت الحداد ما اورده ابكاريوس وأضاف اليه من عنده قصة تعلق ليلى بعمرو وما اعترض سبيلهما من عقبات وصعاب. وقد اقتضت مسرحة القصة اضافة شخصيات لا وجود لها في القصة التاريخية كشخصية الحارث مزاحم عمرو ، وأسماء وصيفة ليلى وقصير وزهير الملك. وبينما يستطيع قارئ القصة التاريخية ارجاعها الى زمن ومكان معينين فان قارئ المسرحية لا يستطيع ان يقف على ذلك الا اذا كانت بعض الاسماء مألوفة لديه .

***

---

(١) نجيب الحداد ، عمرو بن عدي، (الاسكندرية : مطبعة جرجي غرزوزي ، ١٩٠٢) ٧
(٢) اطلبها في: اليازجي، العقد :٧٣

ونستطيع ان نعتبر هذه المسرحية باكورة انتاج نجيب الحداد المسرحي، الموضوع منه والمترجم. فاننا في تعقبنا الحثيث لحياته الادبية لم نقف على اى خبر يفيد انه خطّ للمسرح شيئا قبل التاريخ الذى رجحنا ان يكون الحداد قد وضع فيه هذه المسرحية. أضف الى ذلك ان الشعر الذى نلقاه على صفحاتها أقرب ما يكون في طبيعته الى تلك المقصدات الركيكة التي ردتها ناشرة ديوانه الى صباه المبكر. ويبدو لنا ان نجيبا لم ينكب على تأليف هذه المسرحية بغية خلق عمل فني بل بواعز ميله الى النظم والمحاكاه.(١) وغني عن البيان ان الحداد، حتى تأليفه هذه المسرحية لم يكن قد ترجم بعد اى أثر مسرحي وبالتالي كان ضحل الثقافة الفنية. فكان من الطبيعي اذن ان يكون نصيب هذه المسرحية من الاجادة الفنية ضئيلا.

تقع المسرحية في ثلاثة فصول وكل فصل من عدة اجزاء.(٢) وقد ساقها المؤلف ترتيبا على النحو التالي :

الفصل الاول : ويتألف من اثني عشر جزءا

الفصل الثاني : ويتألف من تسعة اجزاء

الفصل الثالث : ويتألف من تسعة اجزاء

---

(١) في ظننا ان الحداد تأثر في تأليف هذه المسرحية بمسرحية خاله خليل "المروءة والوفاء" فكلتاهما تقع في ثلاثة فصول وتعود باحداثها الى زمن واحد وتجرى في بيئة واحدة، هذا فضلا عن أن الحوار في كلتيهما مرتب على النسق ذاته : فاسماء الممثلين في كل جزء مذكورة في بدايته . وقد استبدل اسم صاحب الحوار بحرف واحد ثم اتبع بحرف اخر يرمز الى الشخص المعني في الحوار.

(٢) استعمل المؤلف كلمة "جزء" بمعنى مشهد .

استنفد المؤلف القسم الاكبر من القصة في الجزء الاول من الفصل الاول حيث نلتقي ليلى تنوح لما تلاقيه من مرارة ،وما تقاسيه من وجد، بعد ان طالت غيبة عمرو. فهي زاهدة بما ترفل به ، دونه ، من فاخر الثياب وما يحيط بها من معالم الجاه والأبهة. وتعرض ليلى قصة طفولتها وكيف انها وعمرو شبا على حب يجمعهما، وتأتي على خبر تعلق الحارث بها واشاحتها عنه المرة تلو المرة. وتبين كيف ان عمها الملك يحاول ان يرغمها على الاقتران بالحارث متغافلا عما ينبغي ان يكون بين الزوجين من اسباب المودة. ويكشف لنا المؤلف في الجزء الخامس خبر رقاش وعدى، ويقدم لنا الحارث في الجزء الرابع وهو يحاول كسب ود ليلى وجذيمة في الخامس وهو يأمر بتأخير اقتران الحارث بليلى لمدة شهر. اما الاجزاء المتبقية من هذا الفصل فجاءت تجتر مواقف واخبارا استنفدتها الاجزاء التي اشرنا اليها. فالجزء الثالث، مثلا ، تكرار لما لمسناه من محنة ليلى في الجزء الاول. والجزء السادس قصيدة يفتخر فيها جذيمة بحسبه ونسبه دون ان يكون لذلك ادنى ارتباط بما سبقها او تبعها من اقسام المسرحية. والجزء السابع تكرار لقصة رقاش وعدى التي طالعنا بها الجزء الثاني. اما الاجزاء الثلاثة الاخيرة من هذا الفصل فكلام منظوم يجتر مواقف تحددت في الفصول التي سبقتها.وان نحن اسقطنا هذه الاجزاء الثلاثة الأخيرة لما اختل بناء المسرحية في شيء.

وتدنت المسرحية في الفصل الثاني من الناحية الفنية بشكل سافر. فالفصل جملة وتفصيلا خلو من اية اضافة سواء على مستوى الاحداث او على مستوى الكشف عن نفسيات الابطال. فهو مجرد بكاء ونواح وتصبر واجترار يبعث على السأم ويولد الملل. فلو اسقطناه بكليته لما الحقنا بالمسرحية اى ضرر.

وتتعقد الاحداث نسبيا في الفصل الثالث. فليلى تفقد الرجاء من عودة عمرو. وحين تجد نفسها قد ضعفت وبدت على وشك الامتثال لمشيئة الملك والقبول بالحارث زوجا لها تصمم على شرب السم. ولكن عودة عمرو تضع للقصة نهاية سعيدة.

وعلى الرغم من وجود هذه الاحداث في الفصل فانه لم يكن يخلو من الحشو والاستطراد. فقد خصص المؤلف الاجزاء الخمسة الاولى منه لنوح ليلى وانكسارها. وكنّا قد تعرفنا الى الحالة النفسية التي عانت منها ليلى في الاجزاء الاولى من المسرحية فجاء الحديث عن ذلك، ثانية، وفي خمسة فصول، يبعث على الملل حقا. وجعل الجزء التاسع وهو مؤلف من قرابة ست صفحات وقفا على ما قيل في الملك من مديح. وهذا ايضا حشو واستطراد.

وضحى المؤلف بالناحية الفنية حين زج بالادوار الغنائية [1] في المسرحية ارضاء للجمهور. وكان من الممكن ان يسهم الغناء لو اعتدلت كميته واحسن استعماله، في انجاح المسرحية لكنه على العكس من ذلك، عمل على هدمها وتشويهها.

ولم يصب المؤلف نجحا يذكر في تصوير شخصيات مسرحيته. فما تكاد تطل علينا احدى الشخصيات حتى تبادر فورا دون مقدمات الى كشف موقفها من الاحداث. فما ان تظهر ليلى على المسرح حتى نعلم انها مغرمة بعمرو معرضة عن الحارث وما ان يبدو جذيمة حتى ندرى انه حائر في امره. وقل مثل ذلك في رقاش والحارث وقصير.

---

(١) اثبت المؤلف في الهوامش افتتاحيات الاغاني البلدية التي اقترح ان تغنى الادوار على الحانها.

وقصّر المؤلف حين جعل ابطاله اقرب الى الدمى منهم الى الكائنات الحية ٠ فقد بقي يتخبط على سطوح الاحداث وعجز عن استيطان شخصياته واظهار اهوائها ودوافع سلوكها ٠ فبدلا من أن يعمل على كشف ذوات أبطاله الداخلية وتبيان ما كان يعتريها من صراع ويتمزقها من اهواء راح يضع في افواهها كلمات تعبر عن الاحداث الخارجية ولا تعكس الصراع النفسي الداخلي ٠ فرقاش، مثلا ، وهي ام عمرو ، واخت الحارث وعمة ليلى، وقريبة الحارث لم تنل من العناية ما يكفي لتبيان ما نابها من تمزق وحزن ٠ فلم يتعد دورها محاولة حمل ليلى على الاقتران بالحارث ووضع طوق في عنق عمرو ايفاء لنذر كانت قد قطعته على نفسها ٠ وشخصية جذيمة، ملك الحيرة، استحالت الى شخصية مسلوبة الارادة، سطحية التفكير ٠

ولم يستطع المؤلف ان يربط شخصياته بالبيئة العامة التي نشأت فيها ٠ فتركها تتحرك وكأنها لم تنفعل بتراث معين او تتأثر بمناخ خاص ٠

ولم يوفق ايضا في احياء الفترة التاريخية التي حدثت فيها القصة ٠ فقارئ المسرحية لا يستطيع ان يتمثل من خلالها حياة الحيرة السياسية والاجتماعية ولا ان يكون لنفسه صورة عن معتقدات اهليها وطرق معيشتهم ٠

ومن الملاحظ ان المؤلف عمد الى حصر احداث المسرحية بجنبات القصر اما تلك التي حدثت خارج القصر فقد اوردها في سياق الحوار ٠ وراعى المحافظة على وحدة النغم حين جعل شبح الصراع يخيم على المسرحية من اولها الى آخرها وابعد كل ما من شأنه ان يلون المناخ العام الذى جرت فيه الاحداث، وعمل على تخفيف شدة المأساة فانهى المسرحية نهاية سعيدة ٠

وهكذا نرى ان نصيب الحداد في النجاح من هذه المسرحية كان طفيفا جـدا ٠ فلا هو استطاع ان يحيي الفترة التاريخية التي جرت فيها الاحداث ، ولا هو قدر أن يوفر لبنائها ما يتطلبه الفن المسرحي من قواعد واصول، ولا تسنى له بنظمه الغث الركيك مواكبة ارستقراطية البيئة ٠

***

الفصل السادس

نجيب الحداد : الشاعر

الفصل السابع

نجيب الحداد : الشاعر

تمهيد :

يعكس لنا شعر نجيب الحداد صورة صادقة عن حالة الشعر في العقدين الاخيرين من القرن الماضي · فديوانه ، في جملة، مجموعة من النتف والمقصدات التي قيلت في الاغراض التي انتظمت معظم اشعار العصر· وهو في الوقت ذاته ثمرة من ثمرات التفاعل الذى جرى في القرن الماضي بين القديم الموروث الذى احتذاه معظم الشعراء وحاكوه في المواضيع والاساليب والمعاني، وبين الجديد الطارئ الذى انفتحوا عليه وتأثروا به · ولما كان شعر الحداد لا ينبئ، من قريب او بعيد، بأنه صادر عن موقف فكرى محدد بحيث يتمكن الباحث ان يدرسه على ضوئه ، ولا هو بالمنضبط في خط عام يسعف الدارس على تتبعه ، فقد رأينا ان افضل وسيلة لدراسة هذا الشعر وأمثاله من أشعار ذلك القرن، وضعه في مناخه التاريخي، وتبيان مركزه من دورة الشعر العربي في القرن التاسع عشر ·

* * *

الخلفية الشعرية التي نبتت فيها أشعاره :

يلاحظ الدارس أن أشعار نجيب الحداد صادرة ، على تفاوت ، عن مصدرين مختلفين هما الثقافة العربية والثقافة الغربية· فهي في جملتها امتداد للخلفية الشعرية التي نبتت فيها · وهي في بعضها انعكاس للثقافة الغربية التي غزت الشرق في القرن الماضي ·

والخلفية الشعرية التي تستند اليها اشعار نجيب الحداد ذات شقين، أحدهما

لبناني أخذه الحداد معه الى مصر بحكم مولده وثقافته ، وثانيهما مصرى التقاه في ديار هجرته • وتتمثل في كلا الشقين حركة الشعر في تطوره خلال القرن التاسع عشر من درجة الركاكة والغثاثة الى مستوى الصلابة والاستواء •

ففي لبنان كان الأدب في فجر القرن الماضي ينبع من مراكز ثلاثة المركز الأول دواوين الحكومة والثاني قصور الأمراء والثالث مجالس الأدباء.(١) وقد اشتهر من الشعراء دورنذ الياس اده (١٧٤١ ـ ١٧٤٨) ونقولا الترك (١٧٦٣ ـ ١٨٢٨) وبطرس كرامة (١٧٧٤ ـ ١٨٥١) وأحمد البربير (١٧٤٧ ـ ١٨١١) وعمر اليافي (١٧٥٦ ـ ١٨١٨) وأمين الجندى (١٧٦٦ ـ ١٨٤١)•

ولم يكن انتاج هؤلاء الكتاب والشعراء على درجة تذكر من الجودة فان ما نسب اليهم من ركاكة في السبك، وما اشتهر عنهم من أخطاء في النحو، وما عرف عنهم من تدن في الخيال، وما الحق بهم من فتور في العاطفة، أصبح في حكم الشائع• وان نحن التفتنا الى المواضيع التي شغلت خواطرهم رأيناها تتحرك الى حد كبير في مدار الأغراض التي ألفناها في عصور الانحطاط• فديوان الترك مثلا، مقسم الى أجزاء ستة: الأول دعاه "كتاب العموم" وضمنه ما استقام له نظمه في أغراض تقليدية من مدح ،وهجاء ،وتهنئة،ورثاء ، وغزل،وتأريخ ،الى مساجلات مستلمحه ،ومداعبات فكهه ،وتأريخ مرصوف• والثاني " كتاب الهجو والمزح والتنكيت" جعله في مداعبة الأصدقاء وهجو الأعداء وذم القوالين وبعض الصناع الذين لم يجودوا أعمالهم •

---

(١) انظر: كمال اليازجي، رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (صيدا : مكتبة رأس بيروت ، المطبعة المخلصية ، ١٩٦٢)، ٤٣ـ٧٥

والثالث "كتاب الدر النضير في مدح الأمير" وقفه على مدائح الأمير بشير الشهابي. والرابع "كتاب الزبور الالهي" وجعله في ما نظمه من مزامير داود فائدة للطلبة والمصلين[١] والخامس "كتاب المقامات" وضمنه احدى عشرة مقامة. والسادس قصره على مدح الأمير بشير جنبلاط.[٢] وظل شعره في غالبيته الساحقة، غثا موسوما بالركاكة، مفتقرا الى ما يفترض أن يكون بين الشاعر وموضوعاته من تواصل.

وظل الشعر العربي في لبنان يتسم بهذه المضان الى ان أقاله الشيخ ناصيف اليازجي من عثرته، ودفع به قدما في مسلك التطور. ولا غرابة ان اختلفت أشعار الشيخ عن منظومات أترابه دورئذ اذ تسنى له من الثقافة ما لم يتوفر لغيره من سابقيه. فقد وقف على جانب كبير من الأدب العربي القديم الذى كان مجهولا قبله.[٣] فحفظ بعضه بالنسخ حينا، وعالج بعضه الآخر بالحفظ أحيانا.[٤] كما تنبه الى ما للقرآن من أثر فعّال في اغناء الانشاء، وتقويم الأسلوب فطلبه حتى حفظ معظمه عن ظهر قلب. والتفت الى تاريخ العرب فوقف على أيامهم، وعرف أنسابهم، وحفظ أمثالهم. وجهد في طلب قواعد اللغة العربية في أمهات المصادر النثرية منها والشعرية حتى تسنى له الوقوف على أسرارها.[٥] فاستطاع اليازجي بهذه الثقافة الأصلة ان يصبح صاحب مدرسة شعرية جديدة.

مدرسة اليازجي هذه خطت بالشعر من ناحية، وسمرته من ناحية أخرى. وقد

---

(١) نقولا الترك، ديوان المعلم نقولا الترك (بيروت: ١٩٤٩)، ٣٢١
(٢) انظر بشأنه: مسعد، لبنان والدستور: ٨٦
(٣) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس (ط ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢)، ١١٠
(٤) المصدر نفسه
(٥) المسرّة: ١٥: ٨١

انعكست الهزة الجديدة التي أحدثها اليازجي في حقلين أولهما الصياغة وثانيهما المعنى. فقد ارتفع بالصياغة من وهدة الركاكة التي هيمنت على منظومات شعراء الأمير بشير واصنائهم، الى مستوى الفخامة والجزالة التي انتظمت أشعار المتنبي وغيره من فحول الشعراء السابقين.

وخطا اليازجي بالشعر خطوة واسعة من حيث المعاني. فقارئ دواوينه لا يلتقي بمثل ما اعتاده في دواوين سابقيه من معان غثة ثقيلة، وأفكار مسطحة معروقة. فأفكار الشيخ ومعانيه، صوره وأخيلته، مستوحاة الى حد بعيد من معاني كبار الشعراء في الموروث القديم، منفعلة الى درجة واضحة بمناهج تفكيرهم وطرق تصورهم. ولذلك فان دواوين اليازجي كما يبدو لنا، من هذه الناحية أشد أسرا، وأجمل وقعا، وأكثر اصالة، مما ألفناه من منظومات أقرانه. فصح فيه قول شيخو "انه (اليازجي) يضارع نظم أجود الشعراء في كل أبواب المعاني".(١)

وعلى الرغم من أن الشيخ قد أحدث بعض التغيير في حياة الشعر من حيث صياغته ومعانيه فانه لم يكن بمقدوره ان يحرره من المواضيع التي جال فيها شعر عصور الانحطاط، أو ان يجنبه أوضار الصنعة الكادة ومضانها. فمن حيث المواضيع نظم العديد من القصدات في التقريظ، والتأريخ، والألغاز والمراسلات وقد توفر له من النظم في المراسلات ما استنفد أثرا كاملا من اثارة دعاه "فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء" وذهب الشيخ الى أبعد من هذا حين سخر الشعر لاستعراض معرفته لشوارد الأمور. فراح ينظم في أسماء

---

(١) شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر: ٢:٢٦

وجبات الاكل، ونيران العرب، وساعات الليل، ورياح الجهات، وأسماء الخيل[١] وبحور الخليل، وأجزاء القوافي ـ حركاتها وعيوبها.[٢] وأسماء النجوم، ومنازل القمر،[٣] ومراتب عدو الخيل، وجماعات العسكر،[٤] وترتيب الجبال وأنواع الغبار،[٥] وأسماء الأصوات،[٦] وأفعال القطع والكسر،[٧] وأسماء أصابع اليد ومراتب النبات.[٨]

وكان الشيخ شديد الاكبار للصناعة اللفظية لدرجة أنه كان يرى ان رونق الشعر وقيمته متصلان اتصالا وثيقا بما فيه من تلاعب لفظي، ومن هنا كان قوله :

أجل الشعر ما في البيت منه غرابة نكتة أو نوع لطف[٩]

وامتدت ضروب الكد عنده الى نظم أبيات عواطل[١٠] ومعجمه[١١] وملمعه[١٢] وخيفاء[١٣] ورقطاء[١٤] وعاطل العاطل[١٥]. كما نظم أبياتا تقرأ طردا وعكسا دون أن يطرأ عليها شيء من

---

(١) انظر: اليازجي، مجمع البحرين : ٣٥ـ٤١
(٢) انظر: المصدر نفسه : ٦٢، ٦٣
(٣) المصدر نفسه : ١٧٠، ١٧١
(٤) المصدر نفسه : ٢١٢، ٢١٣
(٥) المصدر نفسه : ٢٢٤
(٦) المصدر نفسه : ٢٣٨
(٧) المصدر نفسه : ٢٧٣
(٨) المصدر نفسه : ٣١٤
(٩) فؤاد أفرام البستاني، الروائع ٢١ الشيخ ناصيف اليازجي ، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧) ، ظ
(١٠) اطلبها في : اليازجي، مجمع البحرين : ٨٩، ٩٠
(١١) المصدر نفسه : ٩١، ٩٢
(١٢) المصدر نفسه : ٩٢
(١٣) المصدر نفسه : ٩٣
(١٤) المصدر نفسه : ٩٤
(١٥) المصدر نفسه

الاختلاف.(١) ونظم أبياتا طردها مديح وعكسها هجاء،(٢) وأخرى تتناوبها الظاء القائمة والظاء الساقطة.(٣)

وقصارى القول فاليازجي قد بشر من جهة بعودة الشعر صياغة ومعنى الى المستوى الذى ورد عليه في دواوين القدامى، وظل من جهة أخرى يجارى عصره من حيث الاهتمام بالمألوف من أغراض شعر الانحطاط والالتفات الى الصنعة الكاد، المرهقة.

فعلت تعاليم اليازجي في تكوين الطاقات الشعرية التي جاءت من بعده. ولعلنا لا نجانب الحقيقة ان نحن زعمنا ان هذه التعاليم قد رست على أوضح ما تكون في دواوين ابنائه. فقد نظم ابراهيم وخليل وورده الشعر في المدح والرثاء والتهاني وغيرها من الأغراض المألوفة. وعنوا بالتقريظ والمراسلات والتاريخ. وقد استنفد التأريخ خمسين صفحة من ديوان "العقد"(٤) وخمسة وعشرين من ديوان " نسمات الأوراق "(٥). وحذا اليازجيون الأبناء حذو أبيهم حين راعوا سلامة السبك ومتانة الصياغة والتفتوا الى تقليد القدماء في معانيهم وأخيلتهم، وجدوا في الاهتمام بالصياغة اللفظية.

وعلى الرغم من ان اليازجيين الأبناء كانوا الى حد بعيد مقلدين لأشعار والدهم الشيخ فانهم أضافوا شيئا، ولو بسيطا، الى مائدة الشعر. نظم الشيخ ابراهيم بعض الأناشيد الحماسية والقصائد الوطنية، وامتدت شاعرية الشيخ خليل الى نظم رواية شعرية تعود بأحداثها الى أيام النعمان بن المنذر، وكثر عند ورده اليازجية ذكر الورود والأزهار(٦) وغيرها من جمالات الطبيعة مما لم يكن مألوفا في أشعار والدها. هذا فضلا عما نلاقيه في أشعارهم

---

(١) اطلبها في : اليازجي، مجمع البحرين : ١٢١، ١٢٢
(٢) المصدر نفسه : ٢٢٣
(٣) المصدر نفسه :
(٤) اليازجي : العقد : ١٢١_١٧٢
(٥) اليازجي، نسمات الأوراق : ١٤١_١٦٤
(٦) مي زيادة، وردة اليازجي، (ط ١، القاهرة : مطبعة البلاغة ، لات) ٢١

من وصف لما انتابهم من حنين الى لبنان، وتوق للعودة الى ربوعه وهم في ديار غربتهم.

* * *

وان نحن التفتنا الى الشعر المصري في القرن التاسع عشر، وهو الشق الثاني من خلفية أشعار الحداد، وجدناه، كصنوه اللبناني، قد تطور بشكل بطيء من درجات الركاكة والغثاثة في مطلع القرن الى مستوى العافية والصلابة في نهايته.

والراصد لحركة الشعر في مصر(١) حتى النصف الأول من القرن الماضي يقع على عدد لا يستهان به من الدواوين ولكنها دواوين فيها الكثير الكثير من النظم وتكاد ان تخلو من الشعر بالمعنى الحقيقي للكلمة. فدواوين حسن العطار (+ ١٨٣٥) وحسن القويدر (+ ١٨٤٥) وعلي الدرويش (+ ١٨٥٣) ومحمد شهاب الدين (+ ١٨٥٧) واضرابهم من رواد شعراء هذه الحقبة تغص بالألغاز والتخميسات والتشطيرات والتطريز والتأريخ، وتفيض بالمنظومات من ذات الحروف المنفصلة ومن ذات القافيتين أو الثلاث، وتزخر بالقصائد التي يقوس فيها على بعض الكلمات فتؤلف هذه بدورها قصيدة أخرى. كما دارت هذه الدواوين حول مواضيع لا تختلف كثيرا عما هو معروف من أغراض عصور الانحطاط. فديوان شهاب الدين، والذي يفضل، في نظر البعض،(٢) غيره من الدواوين دورئذ، مقسم الى ثمانية أجزاء ساقها صاحبه

---

(١) للتوسع انظر:

- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، (ط٢، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠) ٣٨-٤٤
- ماهر حسن فهمي، تطور الشعر الحديث في مصر (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨) ٣١-٣٧
- كلية الآداب (القاهرة) ١٤: ٣٧-٤٧

(٢) شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر: ١: ٨

ترتيبا على النحو التالي[1]: ١) امتداح النبي٠ ٢) امتداح أرباب الدولة٠ ٣) امتداح أصحاب المراتب٠ ٤) الغزل بالحسان والغلمان٠ ٥) التقاريظ٠ ٦) التوبيخ٠ ٧) الرثاء٠ ٨) الأراجيز٠

ولكن معالم الحياة بدأت تتسرب الى الشعر في النصف الثاني من القرن الماضي٠ والمتتبع لعطاء الشعر في هذه الفترة يجده من حيث الاصالة الشعرية على مستويات متفاوتة[2]: فهناك شعر مقلد الى حد بعيد للشعر في النصف الأول من القرن الماضي ويتمثل في منظومات علي أبي النصر (+ ١٨٨٠) وعلي الليثي (+ ١٨٩٦)، ويعكس لنا ضرب آخر من الشعر الانفلات النسبي من التقليد والقدرة البسيطة على الخلق الشخصي٠ وتظهر هذه القدرة بشكل واه في اشعار محمود صفوت الساعاتي (+ ١٨٨٠)، وبشكل أكثر وضوحا في أشعار عبدالله فكري وعائشة التيمورية٠ وهناك شعر مزق حجب الركاكة وقفز بالعبارة الشعرية الى مرتبة القديم وينحصر ذلك في نتاج محمود سامي البارودي٠

وعلى الرغم من وجود تفاوت بين اليازجي والبارودي اذ الأول، كما يبدو لنا، أشد تملكا للغة وأكثر تبحرا فيها والثاني اكثر تدفقا وأجزل عطاء، يبقى لنا أن نقول ان الشعر مع كليهما كان عودة الى القديم ونهلا من منابعه الثرة٠ وقد سبق ان اشرنا الى ثقافة اليازجي من قبل، ونود هنا ان نلفت الى ان البارودي، ايضا، خلّف أكداس التقليد، وارتد الى منابع الشعر القديم واطلع على ما جادت به قرائح الشعراء الكبار من أمثال بشار، والأحنف، وأبي نواس،

---

(١) محمد شهاب الدين، ديوان محمد شهاب الدين، (القاهرة: ١٢٧٧) ٣ـ٤

(٢) للتوسع انظر:
ـ شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١) ٣١ـ٤٨
ـ عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي (القاهرة: مطبعة حجازي ١٩٣٧) ٧٧ـ١١١

ومسلم وابي العتاهية، وابي تمام والبحترى ، وابن الرومي.(١) وانطلق ينظم شعرا على نحو يختلف عن أشعار مواطنيه ، مشكلا بذلك مدرسة شعرية انعكست آثارها على شعراء مطلع القـــرن العشرين.

وان رحنا نراجع مفهوم البارودى للشعر،(٢) ونقلب الطرف في آثاره تبين لنـــا أ ن الشعر معه أصبح لصيقا بحياة الشاعر بل هو شيء من ذاته يفيض عنها كما يصدر النور عـــن مصدره حاملا معه رسالة نفسية واجتماعية. وشعر هذه سمته ثورة على البديع وغيره مـــن ضروب الالتواء التي نطالعها في دواوين معاصرى البارودى. فمن بعض صفات الشعر الجيد في رأيه أن يكون " سليما من وصمة التكلف بريئا من عشوة التعسّف".(٣) أما مـــن حيـــث الصياغة فعودة بالشعر الى أجوائه العربية السليمة بجزالة ألفاظها وفصاحة تراكيبها.(٤)

نخلص من كل ما تقدم الى القول ان معالم الخلفية الشعرية والتي كانت في صميـــم أشعار نجيب الحداد قد دعت الى العودة الى قيم الشعر القديم من حيث معانيه ، وصوره، وأخيلته ، وسبكه . وانها في الوقت نفسه راعت الزينة اللفظية واعتبرت الأبيات التي تتجلى بها من أجل الشعر. أما من حيث الأغراض فقد اعتنت بالمدح والرثاء والغزل وراعت بشكـــل

---

(١) مختارات محمود سامي البارودي (القاهرة: مطبعة الجريدة، ١٣٢٧) ٣: ٣
(٢) أطلب ذلك في: محمود سامي البارودى، ديوان البارودي (القاهرة: المطبعة الأميريـــة ، ١٩٥٤) ١: ٣ـ٩
(٣) المصدر نفســه : ٣
(٤) للتوسع انظر:
- شوقي ضيف ، البارودى رائد الشعر الحديث (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤) ١٤٠ـ١٦٥
- العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي: ١١٩ـ١٤٩
- فهمي، تطور الشعر الحديث: ١٤٥ـ٢٠١

خاص التهاني والمراسلات والتقريظ والتأريخ . والتفتت الى نظم النتف والمقصدات القصيرة التي تقوم على معنى طريف أو نكتة مستطحة .

* * *

نشط تسرب الثقافة الغربية الى لبنان بشكل واضح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عن طريق المدارس والمطابع والجمعيات والمكتبات والصحافة والارساليات(١) وكان نجيب في عداد الطلبة الذين درسوا في مدارس كانت شديدة العناية، قدر المستطاع بالآداب الغربية. وعندما انقطع عن الدراسة جالت مطالعاته في الآداب الفرنسية خاصة ما يتعلق منها بالقصة والمسرحية والشعر. كما اطلع على بعض الانتاج الأدبي الغربي الذي ترجم الى تلك اللغة فكان لهذه المطالعات بعض الأثر في تلوين أشعاره .

وسنحاول في الصفحات القادمة أن نتبين كيف انعكست الخلفية الشعرية على أشعار نجيب الحداد ونتلمس كيف انسحبت آثار الثقافة الغربية عليها .

* * *

III - جمع الديوان وطبعه :

اعتنت السيدة الكسندرا افيرينوه ، صاحبة مجلة أنيس الجليس، بجمع ديوان الشيخ نجيب الحداد – تذكار الصبا – وأشرفت على طبعه . ولا نعلم يقينا متى بدأت السيدة الكسندرا بهذا المشروع ولكن الذي ندريه هو أن نجيبا قد فارق الحياة ولم يقيض له،

---

(١) للتوسع انظر:
- زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٤ : ٢٤-٤٦، ٦٨-٧٧، ١١٧-١٢٣، ١٢٣-١٢٦
- مسعود ، لبنان والنهضة الحديثة ٣٦-٧٧
- الكلية (بيروت) ١١ : ١٧٤-١٨٠، ٢٢٦-٢٣٠، ٤١٠-٤١٦، ١٢ : ٣٣٠-٣٣٦

على رواية السيدة الكسندرا، الا رؤية بعض صفحات مطبوعة من ديوانه .[١] واستمرت السيدة الكسندرا في اشرافها على الديوان، بعد موت صاحبه ، حتى فرغ من طباعته . وعندما تحدثت عن الدافع الذى حدا بها الى نشر ذلك الأثر حصرته بحق الولاء والود[٢] لناظمه . وقد سبق ان اشرنا الى ان نجيبا قد عمل في تحرير انيس الجليس فترة من الزمن ثم أقعده المرض عن متابعة هذه المهمة.

وتجدر بنا الاشارة الى ان نجيبا كان قد اهدى " تذكار الصبا " الى السيدة الكسندرا بقصيدة طويلة قال في ختامها :

أهديك شعرى فاهدى في مجانسه

غصن البيان الى غصن من البان

فان يحز منك ديواني القبول فقد

حاز القبول به في كل ميدان[٣]

صادفت السيدة الكسندرا في نشرها للديوان بعض العقبات . فقد كانت قصائده مبثوثة هنا وهناك، بعضها على صفحات الجرائد والمجلات، وبعضها على قسائم مبعثرة ، ولم يكن جمعها بالعمل اليسير خاصة وان نجيبا كان مكثرا في نظمه حتى قيل انه نظم خمس مئة قصيدة والف مقطوع.[٤] تقول الكسندرا " كان (نجيب) قد ترك قصائد ومقتطفات كثيرة بين أيدى اصدقائه العديدين دون ان يجعل نسخا منها عنده ولذلك التمستها منهم بالسنة الجرائد والكتب وأقمت انتظرها زمانا طويلا فجاءني منها شيء ليس بالقليل أودعته كله هذا

---

(١) الحداد، تذكار الصبا : ١٠٥
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه : ٣
(٤) المقتطف : ٢٣ : ٢٣٩

الديوان ... "(١) وقد وقعنا بالفعل على بعض اعلانات في هذا الصدد على صفحات بعض الصحف والمجلات.(٢)

ويبدو ان السيدة الكسندرا كانت تعد كل قصيدة للطبع حال ورودها دون أية عناية بتبويبها . تقول : " وكنت امثلها للطبع حين العثور عليها ولذلك جاءت غير منسقة" (٣) وقد بدأت بعض الصحف والمجلات تعلن عن صدور هذا الديوان في مطلع كانون الثاني سنة ١٩٠٠.(٤)

الحقت السيدة الكسندرا بقصائد الديوان كلمة بقلمها أشارت فيها الى ما عانته في جمع قصائده من جهد . وأتبعتها بكلمة عن حياة نجيب بقلم طانيوس عبده الذى كان من أخص أصدقائه .(٥) وأشارت الى ان الكلمة تلك كتبت اثناء حياة نجيب تلبية لرغبة احدى المجلات التي ارادت نشرها . واضافت ان عائقا ما قد حال دون ذلك، وان منشئها بعث بها اليها حالما انتهى اليه خبر عزمها على طبع الديوان.(٦) كما اتبعت ناشرة الديوان هذه الترجمة بترجمة أخرى بقلم حنا سركيس احد اصدقاء نجيب كان قد سبق نشرها في مجلة الضياء.(٧)

---

(١) الحداد، تذكار الصبا : ١٠٥

(٢) انظر مجلد سنة ١٨٩٩ من انيس الجليس في اماكن مختلفة، السلام، العدد ٣٥٤ ، سنة ١٨٩٩، الأهرام، العدد ٦٤٧١، سنة ١٨٩٩

(٣) الحداد ، تذكار الصبا : ١٠٥

(٤) انظر: انيس الجليس مجلد سنة ١٩٠٠: ٤٧١-٤٧٥، السلام ٤٦١، سنة ١٨٩٩ ، المقتطف : ٢٤-٦٩

(٥) الحداد : تذكار الصبا :١٠٦

(٦) المصدر نفسه :١٠٧

(٧) اطلبها في : الضياء : ١ :٣٧٢-٣٨٤

صدرت الطبعة الأولى للديوان عن مطبعة جريدة البصير بالاسكندرية سنة ١٨٩٩ ٠ وجاءت هذه الطبعة في (١٢٤) صفحة بقياس (٣٠×١٣) سم٠ وصدرت الطبعة الثانية عن مطبعة جرجي غرزوزى بالاسكندرية سنة ١٩٠٥ بالقياس والحجم نفسيهما ٠ وصدرت الطبعة الثالثة عن المطبعة العثمانية في بعبدا سنة ١٩٠٦ في (١٠٤) صفحات بقياس (٢٢×١٤) سم٠

يضم الديوان (١١٣) قصيدة نظمت على تسعة أبحر[1] وتؤلف في مجموعها (١٧٣٣) بيتا ٠

* * *

IV مفهومه للشعر :

يحدد نجيب الحداد الشعر بقوله : " الشعر هو الفن الذى ينقل الفكر من عالم الحسّ الى عالم الخيال، والكلام الذى يصور أدق شعائر القلوب على ابدع مثال والحقيقة التي تلبس احيانا اثواب المجاز والمعنى الكبير الذى تبرزه الأفكار في أحسن قوالب الايجاز واخفى وجدانات النفس فيحسبها سهلة وهي منتهى الابداع والاعجاز٠ بل هو الأنة التي تخرج من قلب الثكلان والنغمة التي يترنم لترديدها الطروب النشوان والشكوى التي تخفف لوعة الشاكي

---

(١) جاءت موزعة على النحو التالي :

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات
١	الطويل	٣٥	٥٢٠
٢	الكامل	٢٨	٤٠١
٣	الوافر	١٢	٢٠٣
٤	الخفيف	١١	٢١٤
٥	السريع	٨	١٢٨
٦	الرجز	٦	٧٩
٧	المتقارب	٥	٥٨
٨	الرمل	٤	٤٦
٩	البسيط	٤	٨٤
المجموع =	٩	١١٣	١٧٣٣

ويأنس لها المحب الولهان، بل هو الحكمة يجدها الحكيم فيبرزها بما يليق بها من محاسن اللفظ ويوازن بين اجزائها موازنة تحبب ورودها على الأذن وتقرب منالها من الحفظ والجمال."(١)

وعلى الرغم مما يعتور هذا التحديد من غموض فاننا نستطيع ان نستأنس به للوقوف على جانب من مفهوم الحداد للشعر. يبدو لنا من هذا التعريف ان الشعر عند الحداد تعبير صادق عما يختلج في النفس من شعور، فيفيض عنها انة تصور أحزان النفس، ونغمة تمثل افراح القلب، وشكوى تعكس ما يساور الفؤاد من هموم وحكمة تصدر عن الحكيم الذى اختبر الحياة ودرس تقلباتها. والشعر في هذا كله لصيق بقلب صاحبه متصل بحياته.

كما يفهم من ذلك التعريف ان صاحبه يؤمن بان الشعر يتألف من عنصرين هما اللفظ والمعنى. فالشعر " حقيقة مصاغة في اثواب المجاز، والمعنى الكبير مسكوب في احسن قوالب الايجاز" كما يقول انه لمح الى ضرورة العناية بالسبك كي يبدو " في احسن قوالب الايجاز ... (و) بما يليق ... من محاسن اللفظ..." وأشار الى ضرورة الالتفات الى الموازنة بين أجزاء المنظوم بحيث يضمن له "موازنة تحبب ورودها على الأذن وتقرب منالها من الحفظ ".

فاذا كان الحداد هنا يلمح الى انقسام الشعر الى عنصرين : اللفظ والمعنى ويومي الى ضرورة الالتفات الى جودة السبك فانه يصرح في مقالته "نظرة في الشعر العربي"(٢) ان النظم يتألف من عنصرين هما : اللفظ والمعنى.

---

(١) البيان: ١ : ٢٢٩

(٢) اطلبها في : الاهرام : العدد ٤٠٠٩، سنة ١٨٩١

ليس هذان العنصران، عند الحداد، على درجة متساوية من القيمة فاللفظ لديه مقدم على المعنى. يقول: " ولقد وجدت الشعر صناعة لفظية اكثر مما هي معنوية... لأن الشعر اذا احسن ناظمه تأليف كلامه وانتقاء ألفاظه وصحة تعبيره خرج منه المعنى المقصود على كل حال اذ لا كلام بلا معنى "(١) وحصر في مقالته " مقابلة بين الشعر العربي والشعر الغربي " الشاعرية بالقدرة على سبك اللفظ والاجادة في رصفه .(٢) وانطلاقا من هذا التقديم فان الحداد يرد شاعرية العباس بن الأحنف، وقيس عامر، وكثير عزّة الى ما في شعرهم من أنيق اللفظ، وبديع التركيب، ولين الكلام ومتين القوافي.

وخصّ الحداد القافية في سياق حديثه عن أهمية اللفظ، بشيء من العناية. فقد جعل من صفاتها ان تكون مناسبة في مكانها بحيث لا تبدو نافرة ممجوجة. وأشار الى ان الضعف في احكام ابرازها دليل على ضعف في التأليف.(٣) وقد عزا أهميتها الى كونها آخر ما يرد الأذن ويجعل نسبتها للبيت كمقام الختام للقصيدة، والخاتمة للكتاب والمقالة.(٤)

وأشار الحداد الى ضرورة الالتفات الى الايقاع الشعرى. فموسيقى الشعر ليست مجرد مظهر يفرق بين النظم والنثر بل هي حياة الشعر. يقول " وما احسب الشحرور يغني والقمرى ينوح الا ولهما من تغاريدهما طرب ومن وزن ألحانهما سرور هو سرور الشعر في النفس ووقع اوزانه على الأذن وخفق تقطيعه على الحواس، وما الغناء لولا توازن نظراته وتشابه فقراته الا صوتا مملا لا معنى له ولا تأثير فيه ".(٥)

---

(١) اطلبها في : الاهرام: العدد ٤٠٠٩، سنة ١٨٩١
(٢) البيان : ١: ٣٠٢
(٣) الاهرام : ٤٠٠٩، سنة ١٨٩١
(٤) المصدر نفسه
(٥) الاهرام : ٤٦٣٤، سنة ١٨٩٣

وتشديد الحداد على قيمة اللفظ حدد موقفه من مسألة ترجمة الشعر. فهو يرى ان نقل الشعر من لغة افرنجية الى لغة افرنجية أخرى لا يسيء اليه اطلاقا.(١) ومرد ذلك في رأيه، الى ان المصطلحات الكلامية والتعابير اللفظية في اللغات الأوروبية قليلة التفاوت في درجة البنيان. فأصل اللغات الافرنجية واحد وأسلوب الانشاء فيها متقارب، وضروب البلاغة متشابهة. فضلا عن ان عناية شعراء الافرنج بالافكار اكثر من اهتمامهم بالألفاظ والتفاتهم الى المعاني، اشد من ميلهم الى زخرفة الأساليب. ويعتقد الحداد ان نقل الشعر العربي الى أية لغة أخرى مجازفة قد تقضي عليه وتتلفه. ذلك أن النقل من العربية أو اليها يستلزم تبديلا في العبارة كلها ويستدعي، احيانا، تقديم الالفاظ او تأخيرها، ويوجب نقل المعنى، احيانا أخرى، الى معنى يقاربه. وفي هذا كله قلقلة للفظ وقتل لما فيه من حسن اختيار، وجودة تنسيق. والعبث في اللفظ معناه تصديع لبنيانه الشعرى، وطمس لأسرار عبقريته.

وان نحن عدنا الى خلفية الحداد الشعرية وجدنا فيها مثل هذا الاتجاه. فقد كان الشيخ ناصيف اليازجي شديد الالتفات الى الصياغة كبير العناية بالسبك. فهو لم يلتفت الى المعنى مثل التفاته الى السبك، ولم يهتم بتجويد الفكرة كاهتمامه بزركشة الصياغة. فاجل الشعر عنده، كما اسلفنا، ما كان في رونقه يتصل اتصالا مباشرا بتلاعب الالفاظ.

واذا تركنا اليازجي وعدنا الى النقاد القدامى، وهم قائمون ايضا في خلفية الحداد الشعرية، وجدنا ان بعضهم قد اعتنق المبدأ النقدى ذاته الذى نلتقيه عند الحداد. فالجاحظ، مثلا، اعتبر المعاني ملقاة على الطرقات ولا فضل فيها لكاتب على آخر. وحدد

---

(١) البيان : ١ : ٣٠٢

كفاية الشاعر بقدرته على السبك وحنكته في الصياغة. وابو هلال العسكري في الصناعتين يصدر عن مثل هذا الموقف فيقول " وليس الشأن في ايراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي وانما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسن بهائه ونزاهته ونقائه. وكثرة طلاوته ومائه. مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف... الرديء من الالفاظ يقوم مقام الجيد منها في الأفهام. وانما يدل حسن الكلام واحكام صنعته ورونق الفاظه وجودة مطالعه، وحسن مقاطعه. وبديع مباديه. وغريب مبانيه على فضل قائله... واكثر هذه الأوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعاني... "(١).

***

ولنجيب الحداد موقف من المعنى. فقد جعل من صفات المعنى اللازمة الابتكار والنزاهة والشرف.(٢) ومن الواضح انه يقصد بالابتكار الخلق الشخصي. أما النزاهة والشرف فصفتان عامتان ينقصهما التحديد الواضح. وقد بدا لنا أنه قصد بالنزاهة عدم السرقة وبالشرف عدم النظم في ما سفل من المواضيع.

وتأكيد الحداد على ضرورة الابتكار في المعاني ساقه الى انتقاد الشعراء الذين يسطون على معاني غيرهم ويضمنونها اشعارهم بعد ان يجروا فيها، احيانا، بعض التعديل. وعندما يحاولون اخفاء معالم السرقة ينزلقون الى النظم المشوش المتكلف. ويرى الحداد أن الشاعر في هذه الحالة يفقد اعجاب العامة من الناس لأن معانيه المشوشة تستغلق عليهم، ويقصر عن ادراك استحسان الخاصة لانهم على علم بمصدر افكاره.(٣) ولهذا دعا شعراء عصره

---

(١) ابو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر (ط٢، القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٦٠) ٥٥_٦٠

(٢) الاهرام: العدد ٤٠٠٩، سنة ١٨٩١

(٣) الاهرام: العدد ٤٦٣٤، سنة ١٨٩٣

الى الابتعاد عن ترديد المعاني التي استنفدها القدامى، وحثهم على ابتكار معان خاصة بهم .

ونجيب في حثه الشعراء على التخلي عن سرقة المعاني او استيحائها يلتقي مع معاصره عيسى اسكندر المعلوف الذى اكد على مثل ذلك. فقد دعا الأخير في كتابه " لمحة في شعر العصر " الشعراء الى اعمال الذهن في ابتكار المعاني الجديدة. فالشاعر السارق أو المقلد عنده أشبه " بمن يبني بأنقاض بيت دارا والأنقاض على علتها فيظهر في ذلك البناء خصاص وأغوار يمجها الذوق "(١).

على ان الحداد لم يسد على الشاعر باب التوكؤ على معاني القدامى . فقد أوجب على الشاعر الذى يردد معنى قديما ان يراعي أمرين . أولهما ان يزيد على المعنى وثانيهما ان يحسن في لفظه لكي يميز نفسه عن الناسخ .

ودعا الحداد شعراء عصره الى النظم في معطيات الحياة الحديثة.(٢) ونجيب في هذا يردد ما شاع عند نقاد العصر من مفاهيم التجديد . فخاله ابراهيم اليازجي يحث الشعراء في مقالته " أدب الدارس بعد المدارس "(٣) على ايجاد آفاق جديدة لتكون موضع عنايتهم واهتمامهم. ويذهب عيسى المعلوف الى أبعد من ذلك في ايضاح المقصود بهذه الآفاق فيخصصها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة.(٤)

وتبين للحداد أن العصر قد ألغى كثيرا من الموضوعات التقليدية لأن الدوافع الى مثل هذه الأغراض قد ضعفت حتى كادت ان تختفي . فأنكر على شعراء عصره قصر

---

(١) عيسى المعلوف، لمحة في شعر العصر (بعبدا : المطبعة العثمانية، ١٨٩٨) ٥

(٢) الأهرام ، ٤٦٣٤، سنة ١٨٩٣

(٣) اطلبها في : الأهرام ، عدد ٣٧٨٣

(٤) المعلوف، لمحة في شعر العصر : ٦

الشعر على المدح والثناء والمبالغة والاطراء والتنويه . وطلب اليهم ألا يلجأوا الى ذلك الا في الضرورات القصوى.[(١)] وما دامت الحياة قد خطت الى الأمام فعلام لا يلتفت الشعراء الى النظم في الاكتشافات والاختراعات والحكم وتقرير القواعد العلمية والتاريخية وما شاكلها.[(٢)] فيكون الشعر عندئذ، سجلا للحياة ومرآة لتاريخ الأمم وأخلاقها ودلالة على قائليه يبين مصطلحهم وعوائدهم، ويشكل مستندا للباحثين في أحداث ربما أغفل التاريخ تدوينها.[(٣)]

وتراءى للحداد ان الشعر العربي يختلف عن الشعر الغربي في تاريخ نشأته وطرق سبكه وطبيعة معانيه . فعقد مقارنة بين الشعرين في مقالة ضافية[(٤)] تحدث فيها عن تاريخ كل منهما ومعانيه وألفاظه وانتهى الى تقرير بعض الحقائق نوجزها فيما يلي :

١) ليس للشعر العربي ما للشعر الغربي من تباعد أطواره فقد نشأ منفردا في نفسه في بلاد العرب دون ان يؤخذ عن أحد . اما شعر الافرنج فيعود في جذوره الى اليونان والرومان. فما طرأ عليه من تغيير لا يتعدى تنقيح بعض الألفاظ، واطراح الكلم الوحشي ولم يطرأ عليه أي تغيير في نسق نظمه وطرق انشائه .

٢) تتبع القصيدة العربية شكلا محددا فرضه العرف والتقليد . فهي تعنى في مطالعها بوصف الديار وبالبكاء على الأطلال وبالتشبيب بالمحبوب ثم تنطلق بعد ذلك الى الغرض المقصود . أما القصيدة الغربية فتجرى حرة دون أن يفرض عليها هيكل خارجي.

٣) للشعر العربي قوالب وصيغ وأوزان حددها علم العروض أما الشعر الغربي فلا تقيده التفعيلات بل يتألف من الاهجية اللفظية التي يعرّفها الحداد بقوله : " كل نبرة

---

(١) الاهرام، العدد ٤٦٣٤
(٢) المصدر نفسه
(٣) الاهرام، عدد ٤٦٣٤، سنة ١٨٩٣
(٤) اطلبها في : البيان : ١ : ٢٩٩ـ٣٠٤، ٣٣٥ـ٣٣٩، ٣٦١ـ٣٦٦

صوتية تعتمد على حرف من حروف المد سواء أكان ذلك الحرف وحده أو مقترنا بحرف صحيح وتسمى هذه الأحجية في الاصطلاح الغربي اقداما "(١).

٤) بينما يلتزم الشاعر العربي قافية واحدة في الغالب فان الشاعر الغربي لا يلتزم ذلك في أكثر من بيتين. والقيد الوحيد بالنسبة الى الشاعر الغربي فيما يختص بالقافية هو تقسيمها الى مؤنثة ومذكرة. فيقتضي أن ينظم الشاعر بحيث يتوالى في قافيته التذكير والتأنيث حتى النهاية. والقافية المؤنثة ما كانت مختومة بحرف علة اما المذكرة فالمختومة بحرف صحيح.

٥) يلتزم الشاعر الغربي الحقائق التزاما شديدا مبتعدا عن المبالغة والاطراء. وهو في هذا الالتزام يشبه الى حد كبير الشاعر الجاهلي. أما الشاعر العربي بعد الاسلام فقد جمع الى الحقيقة ضربا من الغلو والمغالاة. فبينما يقول العرب أعذب الشعر اكذبه وأصدقه لا يستطيع الغربي الا ان يقول أحسن الشعر أصدقه.

٦) انفرد شعراء الغرب، دون شعراء العرب، في نظم الروايات التمثيلية وجعلوا ذلك من أسمى درجات الشعر وأكثره تعقيدا بينما خلا الشعر العربي من ذلك باستثناء جهود نفر من المحدثين.

٧) تفوق شعراء الغرب على الشعراء العرب في وصف الحالة بينما تفوق الشعراء العرب على الشعراء الغربيين في وصف الشيء.

نستطيع من هذا العرض لمفهوم الحداد للشعر ان نرى فيه كثيرا من ملامح

---

(١) البيان : ١:٣٣٨

الخلفية الشعرية فضلا عما نراه من ملامح نقدية تعود بجذورها الى ابعد من عصره وترتد الى الموروث النقدى القديم. كما نستطيع ان نتلمس شيئا من ملامح ثقافته الغربية ينعكس على بعض مواقفه وخاصة في المقارنة التي عقدها بين الشعرين. وسنتبين في الصفحات القادمة العناصر القديمة في اشعار الحداد التي نعتقد انها كانت قائمة في خلفيته الشعرية. ونلتقي بالعناصر الجديدة منها والتي تشكل في رأينا معالم الاضافة على اشعار عصره.

V- عناصر قديمة في شعره :

انعكست على اشعار الحداد معظم سمات الشعر في عصره من جهة، وملامح الشعر القديم من جهة اخرى. ولم يكن الحداد في استيحائه اشعار القدامى غريبا عن عصره، فهو ينضم الى قافلة كتاب النهضة الذين بقي انتاجهم ردحا من الزمن، كما قال طه حسين، قديما في نشأته وروحه وغايته.(١)

— ١ —

دارت معظم اشعار نجيب الحداد، كغالبية اشعار معاصريه، حول الاغراض المألوفة. فقد التفت الى المدح والرثاء والغزل والفخر والنسيب. واعتنى بالتهاني، والتقريظ، والمراسلات، والتأريخ. واهتم بنظم الشعر في المناسبات المستحق منها وغير المستحق.

مدح نجيب بعض مشاهير الرجال في عصره. واستنفد المدح عنده حينا القصيدة برمتها وورد حينا آخر في سياق الرثاء والفخر والتهاني. ومن الامثلة على النوع الاول مدحه للعباس، ومن الامثلة على النوع الثاني ما قاله في خليل اليازجي وسليم تقلا وخليل فوّاز وحمد

---

(١) طه حسين، حافظ شوقي، (ط ٣، القاهرة : مطبعة الاعتماد، ١٩٥٥) ٨

ابن تويني سلطان زنجبار (١) وسليمان اباظه •

ونميل الى الاعتقاد ان نجيبا لم يندفع الى هذا الغرض تحقيقا لمأرب او طمعا في عطاء• ومن المرجح ان مدحه للعباس جاء في عداد القصائد الكثيرة التي قيلت في الرجل دون ان يطمع قائلوها في عطائه ، او يتشوفوا الى مكرماته • فقد كان العباس على حد قول محمد محمد حسين "موضع حب المصريين جميعا ".(٢) واذا ما انثنينا الى مدح الحداد لغير العباس اصبحنا اكثر ميلا الى الجزم بان مدحه لهم كان صادرا عن تقديره الخاص لهم • فمدحه لخليل اليازجي ناجم عن صلة الرحم القائمة بينهما، فخليل كما نعلم هو خال الشاعر • ومدحه لسليم تقلا صادر عن محبة صافية• فالحداد، كما أسلفنا، نزل مصر تلبية لدعوة سليم، وانتظم في عائلة الاهرام تحت اشرافه ورعايته مدة تنوف عن الثماني سنوات• ومدحه لسلطان زنجبار كان ناجما عن تقدير الاخير لجهود الحداد في فن التمثيل وكان قد عبر عن هذا التقدير بان خلع على الحداد وسام الكوكب الدرى(٣) فجاء مدح الحداد له على الارجح صدى لما اعتمر قلبه من عرفان للجميل • أضف الى ذلك ما اشتهر عن ذلك السلطان من حرص على حرية مواطنيه ، ومحاولة لافشاء العدالة بين رعيته وعمل على قمع تجارة الرق في داخل بلده وخارجه .(٤) واما مدح الحداد لسليمان اباظه فتعبير عن ود خالص كان يكنه الحداد للرجل بعد ان أمدّه ببعض المال الذى استعان به على اصدار جريدته .(٥)

---

(١) انظر بشأنه مجلة التاريخ القومي مجلد ١٨٩٩ : ٤٠، ٤٥
(٢) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، (القاهرة : المطبعة النموذجية، ١٩٥٤) المقدمة : ع
(٣) الحداد، تذكار الصبا : ٥٤
(٤) مجلة التاريخ القومي : م ١٨٩٩ : ٤٥
(٥) انظر البصير : ١٤١٦٢ .

وأشعار الحداد في المدح جاءت، الى حد كبير، على نسق قصائد المدح التقليدية. فقد اورد في مطلع القصيدة افتتاحية غزلية ثم تخلص الى المدح واختتمها بالتهنئة والدعاء. وعدد صفات الممدوح وذكر مناقبه وأشاد بمكانته غير مبال بما وقع فيه من مبالغة. قال في العباس:

مليك حوى نورا من المجد باهرا | تود الدراري انها من ضيائه
وادرك ما بين السلاطين منزلا | رفيعا يرد الطرف باهي سنائه
تقلد فوق السيف سيف مهابة | من الله حد السيف دون مضائه
واظهر من نور الخلافة رونقا | لنا ما حكاه الدهر عن سلفائه(١)

وهو في هذه القصيدة، وغيرها من قصائد المدح، يتحرك في مناخ القديم اذ يخلع على الممدوح صفات الرجل المثالي، فيشبّه مضاءه بحد السيف، ورونقه بالنور، وتبصره بحكمة الشيوخ، واندفاعه بفتوة الشباب، وكرمه بالندى. ويشيد بايوائه الخائف، ونصرته الملهوف وارضائه الطارق الى ما هنالك من كريم الصفات، ورفيع المكرمات، على غرار ما كان يقع عليه بصره في اشعار معاصريه من جهة، وأشعار السلف من جهة اخرى.

وجاء قسم كبير من اشعار الحداد، على غرار ما تطالعنا به خلفيته الشعرية، في الرثاء وقد وردت مراثي الحداد على ضربين: ضرب قاله بدافع المشاركة الصادقة والامثلة عليه قصائده في رثاء خليل اليازجي وسليم تقلا وخليل فوّاز.(٢) وضرب نظمه بواعز الضرورة الاجتماعية. ومن امثلة هذا الضرب ما قاله في رثاء احدى السيدات وفي رثاء سسل سربوس.(٣)

---

(١) الحداد، تذكار الصبا : ٤ ـ ٥
(٢) اطلب هذه القصائد في الديوان ١٨ ـ ٢٠، ٦٦ ـ ٦٨، ٨٥ ـ ٨٦ على التوالي.
(٣) اطلب هاتين القصيدتين في : الحداد، تذكار الصبا : ٥١، ٥٤ ـ ٥٥

شعر الحداد في الضرب الاول، اجمالا ، حار العاطفة، عميق الانفعال، غـــوى التدفق. الا ان الشاعر ، رغم ذلك، ظل يدور ضمن الخلفية الشعرية من تعداد المنـــاقب الراحل، وذكر لحميد صفاته ، واشادة بما له من يد بيضاء في مختلف المجالات. ونظمه في الضرب الثاني متكلف مصطنع، تعوزه المشاركة، ويشله التزوير العاطفي. فالصفات الـــتي خلعها على المرثي ليست بالضرورة قصرا عليه وانما هي مشاع بين الناس. وكان الحـــداد يتنبه الى مثل هذه المزالق فينتقل احيانا، الى الحديث عن قضايا غيبية عامة كسطوة المـــوت وشموله ، وضعف الانسان ومحدوديته .

ونظم الحداد في الغزل. والواقع ان قرابة ثلث ما في ديوانه من شعر دار في فلك هذا الغرض. ولعل السبب في ذلك عائد ، اولا ، الى ان نجيبا قال الشعر في فترة شبابـه ولم تمهله حياته القصيرة لما كان من المحتمل ان يحدث عنده من تحول الى اغراض اخرى فـــي مآتي السنين، والى انه ، ثانيا، كان يرى في هذا الغرض ميدانا للشعر . فهو يقول :

الشعر فـــي غير الغرام حـــرام   والوصـف في غير الملامح مـلام
والقلب في غـــير الصبابة جلمـــد   والعمر في غير الهيام منـــــام(١)

وغزل الحداد على انواع . فهناك غزل ورد في مطالع قصائد المدح والتهاني. وهـــذا النوع لا يتعدى تصيد اوصاف الحبيب. فان رنا فضح لحاظ المهى، وان بدا خجلت اغصـــان البان. في خده روضة للحسن، وفي فمه حبات مرجان. وهو نحيل العطف، ناعس الطـرف تفرض مقلته على الشعراء نظم الشعر . وشعر الغزل في هذا النوع ، جملة وتفصيلا ، مستوحى من خليفته الشعرية قديمها وحديثها، فضلا عن انه مفتعل جاف يفتقر الى اوهى معالم المعاناة.

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٢٣

وان نحن تخطينا المطالع الغزلية في اشعار الحداد وقعنا على قصائد استنفدهـا الغزل بكليتها. وطبيعة الغزل في هذه القصائد لا تختلف قيد انملة عن طبيعة الغـزل الوارد في مطالع بعض القصائد. فهو وصف لصور خارجية مستلة من اشعار القدماء. وقد افتقرت هذه القصائد الى اضعف ما يفترض ان يكون بين الشاعر وموضوعه من تلاحم. وها نحن نجتزئ بعض ابيات للتمثيل على ذلك. يقول :

فتاة لها فـي كل قلـب جراحـة   وفـي كل نـاد للغرام قتيـل
سـقيمة جفن الطرف من غير علـة   قريبة ملقـى الحاجبين كسـول
رقيقة مضمـوم الوشـاح فخصرهـا   ضعيف وأمـا ردفها فثقيـل
لها مقلة الظبي الغرير وجيـده   سوى انها تدنو وذاك جفـول(١)

ونقع في الديوان على ضرب اخر من الغزل ورد في القصائد القصصية وهو على ما يبدو صادر عن معاناة حميمة. فالعاشقان يتفقان على موعد، ويلتقيان في حديقة او بستان مبتعدين عن اعين الحساد، ورقابة الواشين. وهناك يتجاذبان احاديث العشق وتباريح الهوى. وتغمر قلبيهما اشراقة السعادة. ويتخطى الفرح العاشقين الى الاشجار الباسقة فتتمايل، والطيـور المغردة فتتلاقى، والنسيم الطلي فيرق، والازهار المتفتحة فتتعانق، وحصى الجدول فتتهامس. وما ان يغادر العاشقان المكان حتى تعود الطبيعة الى حالة من الحزن والوجوم، وتنطفئ في قلبيهما قناديل الحب. وقد فرض هذا الالتصاق بين الشاعر وموضوعه تعدى الترصيع بضـروب الصناعة اللفظية، وتخطى، الى حد كبير، استعارة الصور القديمة.

ونظم الحداد بعض رسائل شعرية، على غرار ما نطالعه في دواوين اليازجي وابنائـه وغيرهم من الشعراء عهدئذ، بعث بها الى اصدقائه مبادرا آنا ومجيبا آنا آخر. فله مراسـلات

(١) الحداد، تذكار الصبا : ١٢

مع "عبده الحمولي" وابراهيم اليازجي، وأحمد شوقي، وطانيوس عبده، وسليم سركيس، وعائشه التيمورية.(١) وهناك بعض الرسائل التي اثبتتها ناشرة الديوان دون ان تشير الى اصحابها جهلا بهم او تجاهلا لهم. فلم تزد في قولها حين اثبتت تلك الرسائل من: "وقال وقد ارسل بها الى صديق له "(٢) و "قال وقد ارسلها الى بعض اصحابه "(٣) وهلم جرّا.

دارت هذه الرسائل حول التعبير عن الاشواق او الشكوى من الدهر او تشديد العزائم في وقت الضيق او الاشادة بمناقب المرسل اليه.

وبالاضافة الى ما نظمه الحداد في ما تقدم من اغراض فقد اكثر من نظم النتف والمقطعات في بعض الحفلات(٤) وتقريظ الدواوين(٥) فضلا عن انه التفت بشكل خاص الى تأريخ الاعراس(٦) والولادات(٧) والوفيات(٨) على غرار ما نطالعه في خلفيته الشعرية.

— ٢ —

اعتمد نجيب الحداد في بعض قصائده الشكل العام الذى تحركت ضمنه القصيدة الكلاسيكية. فقد بدأ بعض قصائده بحداء الابل والبكاء لهبوب الريح والطرب لذكر الرقمتين. ثم انتقل بعد ذلك الى الغرض المقصود مدحا كان او تهنئة او غزلا. وها نحن نورد امثلة على ذلك.

---

(١) اطلبها في: الحداد، ديوان تذكار الصبا: ٧، ٤٩-٥٠، ٧٨-٧٩، ٨٠ - ٨٣، ٨٦ - ٨٧، ١٠٢ - ١٠٣ على التوالي
(٢) الحداد، تذكار الصبا: ١٥ - ١٦
(٣) المصدر نفسه: ٤٧
(٤) المصدر نفسه: ١٠٤
(٥) المصدر نفسه: ٩١، ٩٢
(٦) المصدر نفسه: ٦٥، ٧٤، ٧٥، ٩٧
(٧) المصدر نفسه: ٧٥، ١٠٠
(٨) المصدر نفسه: ٩١، ٩٢

يقول في مطلع قصيدة يهنئ بها حمد بن تويني – سلطان زنجبار بعيد الفطر :

اذا لاح لي في الليل ايماض بارق　　"تذكرت ما بين العذيب وبارق"(١)

ويقول في مطلع احدى قصائده :

الا يا ظبية بالرقمتين　　لعينك ما تسح اليوم عيني(٢)

ويقول في مطلع قصيدة اخرى :

لمن طلل بالرقمتين نحيل　　عفت رسمه الارواح وهي قبول

وقفت عليه ناقتي وجميعنا　　على البعد من طول الزمان عليل(٣)

أجل لقد وقف نجيب الحداد في نهاية القرن التاسع عشر ، وفي الاسكندرية والقاهرة، على الطلل وبكى الديار وأناخ ناقته في ربوع الاحبة. وهذا كله لا يبدو نابيا اذا ما عدنا الى قاعدة الحداد الشعرية. فالبارودي الذي يعتبر ذروة من ذرى النهضة قد وقف على الاطلال والدمن دون ان يكون امامه شيء منها .

– ٢ –

كثيرا ما كان الحداد ينظر الى المرئيات بعيون القدماء. فقد فتح الحداد عينيه على خلفية شعرية تعنى بتشبيهات القدماء وتتوكأ على صورهم . وها نحن نستعرض بعض صوره تدليلا على ما نقول . وسنضرب صفحا عن اثبات الابيات الشعرية التي وردت فيها هذه التشبيهات. فباستطاعة القارئ ان يعثر عليها في الديوان دونما اي عناء.

شبّه الفتاة بالمهاة وظبي الفلاة

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٢٢
(٢) المصدر نفسه : ٧٣
(٣) المصدر نفسه : ١٢

وشبّه القد بالغصن وبتمثال الرخام والرمح

وشبّه الوجه بالبدر وبطلعة الشمس

وشبّه المقلة بمقلة الظبي وبالسيف

وشبّه الدمع بحبات اللـؤلـؤ

وشبه الجبين بالضيــــاء

وشبه الخد بروضة الحسن وبالنار الملتهبة

وشبه الثغر بالدر وبالاقحوان

وشبه الاسنان بالبرد وبالدر والمرجان

وشبه البسمة بزهر الربى

وشبه القــرط بزهر النجوم

وشبه رائحة الحبيب برائحة الند والمسك ونشر العلاب

وشبه الصدر وقد انحسر عنه الثوب بانفراج جلباب الدجى عن نور البدر

وشبه طيف الحبيب بريح الصبا

الحداد في هذه التشبيهات لم يأت بجديد يذكر · فقد وردت جميعها عند القدماء[(١)]·

واعتمد الحداد على صور الشعر القديم· وها نحن نورد بعض امثلة على ذلك· قــال واصفا الحسن واثره في النفس :

تبارك خـلاق المحاسـن انـه   ينال بها ثأر الظباء من الاسـد[(٢)]

---

(١) يجد القارئ ثبتا في بعض تشبيهات القدماء في : علي الجندي، فن التشبيه :(القاهرة : مطبعة الرسالة، لا ت) ٢٢٠

(٢) الحداد، تذكار الصبا : ٣٠

ففتك الظباء بالاسد معنى مطروق .

وعندما التفت الحداد الى طلوع الفجر رأى به راية بيضاء في ليل مسود . وهـــذه صورة شائعة قال :

الى ان بدت كف الصباح برايــة   تلوح على جند من الليل مســود (١)

ورأى في جبين المعشوقة يحيط به الشعر الفاحم اضواء تحت جنح الليل : قال :

وقبلت ذياك الجبين كأنـــني   اقبل تحت الليل مشرق اضــواء (٢)

والحبيبة شمس في الحسن ومعشوقها شمس في المعاني . فاذا زفت اليه التقت بلقائهما شمسان . قال :

زفت به شمس حسن ما تغيب الى   شمس العلى فالتقى في الحي شمسان (٣)

وحين تغزل جعل الفتاة تفوق البدر في الحسن وظبي الفتاة في جمال العينين . قال :

اذا رنت فضحت الحاظ غـــزلان   وان بدا قدها يا خجلة البـــان (٤)

ولو شئنا ان نستقصي امثال هذه الصور والمعاني في ديوان الحداد لوقعنا في مزالـق الاسترسال . ونكتفي بالاشارة الى ان هذه الصور ومثيلاتها مستوحاة من الموروث الشعرى .

وسطا الحداد على بعض الابيات في الشعر القديم فأخذ معناها واعاد نظمها على شـــكل آرخر وهو في هذا منسجم مع نفسه الى حد بعيد . وقد سبق ان اشرنا الى ان الحداد طالـــب الشاعر الذى يكرر معنى قديما ان يزيد عليه او ان يحسن في لفظه . وسنثبت في ما يلي بعــض

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٣١
(٢) المصدر نفسه ، ٥٢
(٣) المصدر نفسه ، ٦٤
(٤) المصدر نفسه ،

الابيات التي رأينا بينها وبين ابيات قديمة بعض الصلة.

قال الحداد في لجوء العاشق الى المعشوق :

وداويت داء القلب منك بنظـرة   كما يتداوى صاحب الداء بالداء(١)

وهذا البيت من قول قيس بن عامر :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر (٢)

وقال الحداد :

والارض في ظل الغصون كأنمـــا   نثرت دنانـير على جنباتهـــا(٣)

وهذا من قول المتنبي :

والقى الشرق منها فـي ثيابـــي   دنانـيراً تفـر من البنـــان (٤)

وقال الحداد :

هذى الحيـــاة ودونهـــــا   لا سـلم للشـرف الرفيــــع(٥)

وهذا يذكرنا بقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى تراق على جوانبـه الـــدم(٦)

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٥٢

(٢) قيس الملوح ، ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، (القاهرة : دار مصر للطباعة ، ١٩٥٩) ١٦٠

(٣) الحداد ، تذكار الصبا : ٣٦

(٤) المتنبي ، ديوان ابي الطيب المتنبي ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـر ، ١٩٤٤) ٥٥٧

(٥) الحداد ، تذكار الصبا : ٧٠

(٦) المتنبي ، ديوان ابي الطيب المتنبي : ٢١٨

واخذ نجيب قول البهاء زهير :

يدري المحب حديثها   والله أعلم بالسرائر[١]

فاستفاد منه على النحو التالي :

فاذا اوت لسريرها   فالله أعلم بالسرائر
يدري المحب حديثها   والله أعلم بالسرائر[٢]

وبالاضافة الى ذلك فقد اشار الحداد في بعض ابياته الى اسماء مشهورة في التراث . فمعشوقته تدعى "سعاد"[٣] حينا و"سلمى"[٤] و"هند"[٥] احيانا اخرى . وعندما مدح المغني عبده الحمولي شبهه "بسلام" و"معبد"[٦]. وعندما اثنى على عائشة التيمورية جعلها في مصاف "عائشة"، ورأى فيها "الخنساء" و "الاخيلية"[٧]. وشبه عذاب معشوقته بعذاب "ليلى العامرية"[٨] وعندما تحدث عن الموت جعله يدوس اعناق الناس دون ان يفرق بين "داحس" و "الغبراء"[٩].

---

(١) المهلبي، ديوان بهاء الدين زهير : (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٤)٢١٨
(٢) الحداد ، تذكار الصبا : ٩٥
(٣) المصدر نفسه ، ٣٩
(٤) المصدر نفسه ، ١٢
(٥) المصدر نفسه ، ١٢
(٦) المصدر نفسه ، ٨
(٧) المصدر نفسه ، ١٠٢ ـ ١٠٣
(٨) المصدر نفسه ، ١٠٠
(٩) المصدر نفسه ، ٥١

— ٤ —

استند الحداد احيانا على بعض الايات القرآنية والاحاديث النبوية ، وضمن اجزاء منها في اشعاره · وها نحن نورد ابياتا له كشواهد على ذلك· قال :

ولا تجزعوا من ناره ان ناره　　سلام وان كانت مؤججة الوقد[1]

وهذا يذكرنا بالآية "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم" "الانبياء: ٦٩" ونجيب في قوله :

نور على نور يضيء صورة　　رسمت بأشرف كوكب قد اطلعا[2]

على ما يبدو متأثر بالآية القائلة "الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولم تمسه نار نور على نور يهدى الى الله لنوره من يعشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم· "سورة النور : ٣٥"

وفي قول نجيب :

كوائن ليس يدرى السر منها　　سوى من أمره كاف ونون[3]

ما يذكرنا بالآية :

"انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون· سورة يس : ٨٢"

وفي قول نجيب :

لعمرك كل ما في الارض فان　　ولا يبقى سوى بارى البرايا[4]

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٣٠
(٢) المصدر نفسه ، ٥٤
(٣) المصدر نفسه ، ٣٦
(٤) المصدر نفسه ، ٢٦

ما يذكرنا بالآية "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام". "الرحمن ٢٦ـ٢٧"

وفي قول نجيب :

وعد الله للمحبين غفوا انه كان وعده مسؤولا(١)

ما يذكرنا بالآية "لهم فيها ما يشأون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا" "الفرقان : ١٦" ، والآية "ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا" ، الاحزاب : ١٥".

وفي قول نجيب :

هذا الهدى فاتبع منار بيانه وقل السلام على من اتبع الهدى(٢)

ما يذكرنا بالآية "فأتياه فقولا انا رسول ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى: طه : ٤٧".

وفي قول نجيب :

كأنها جنة الخلد التي جمعت فيها المحاسن من حور وولدان(٣)

ما يذكرنا بالآية "يطوف عليهم ولدان مخلدون. الواقعة: ١٧" والآية "وحور عين كأمثل اللؤلؤ المكنون"، "الواقعة : ٢٢"

وفي قول نجيب :

ومن زاهد بالعلم زهدا لو انه باموال صلوا عليه وسلموا(٤)

---

(١) الحلوانا، تذكار الصبا : ٢٦
(٢) المصدر نفسه ، ٢٩
(٣) المصدر نفسه ، ٦٤
(٤) المصدر نفسه ، ١٤

ما يذكرنا بالآية "ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . الاحزاب : ٥٦"

وفي قولـه :

وبيـان هو الحـلال من السـحر   بدا ان فـي البيـان لسحـرا[١]

ما يذكرنا بالحديث النبوى الشريف "ان من البيان لسحرا "[٢]

— ٥ —

كان لنجيب الحداد ، كغيره من شعراء عصره ، ولع ظاهر بالمحسنات اللفظية . على ان صناعة الحداد جاءت وليدة التعمل والكد حينا وبنت العفوية والطبيعية حينا آخر .

ولعل الجناس كان اكثر ضروب الصناعة وضوحا في اشعاره ، ففيها الجناس التـام ، وجناس القلب ، والجناس الناقص، وجناس الاشتقاق . والى جانب النواع الجناس هذه يقع الباحث في اشعار الحداد على الطباق، والموازنة، ورد الاعجاز على الصدور ، ومراعاة النظير، والتشطير ، والغلو ، والتطريز ، والاشتشهاد ، والمجاوزة والعكس . ونغض الطرف عن ايـراد امثلة على ذلك ونكتفي برد القارئ الى الديوان ليجد فيه دون كبير عناء امثلة يتجلى فيها مـا ذكرناه من انواع الصناعة .

عناصـر جديدة في شعره :

— ١ —

انعكست في اشعار الحداد بعض سمات الحياة الجديدة التي غزت الشرق العربـي

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٧٥

(٢) محمد البخارى، صحيح البخاري ، (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٥هـ) ، ١٧٩:٧

اثر تفتحه على الحضارة الغربية. فبينما نرى ان شعراء القرن الماضي في غالبيتهم الساحقة قد وقفوا النظم على ما الفناه من مواضيع عصور الانحطاط نجد ان الحداد كان في عداد قلة خرجوا في بعض اشعارهم الى مواضيع جديدة. فنظم في بعض المخترعات الحديثة والعادات المستوردة. وهو في ذلك منسجم مع نفسه . فقد سبقت الاشارة الى ان الحداد دعا معاصريه من الشعراء الى النظم في مستحدثات الحضارة الجديدة. وتتمثل دعوته الى التخلي عن قصر الشعر على الاغراض المألوفة في مطلع احدى قصائده ، وقد جاء فيها :

تخل عن التشبيب بالبيض والسمر   ودع عنك تشبيه المحاسن بالبدر
وعج بي الى طرق الحديد ووصفها   الجديد ودع ما مرّ من قدم الدهر[1]

وقال في هذا المعنى في قصيدة اخرى :

ودع النوق والفلاة فلا   نوقا باحيائنا ولا فلوات
ودع العيس والحداء لقوم   الفوا عيسهم وزجر الحداة
تلك حال مرت قديما وذى   حال وسبحان مبدل الحالات[2]

ولم تكن المخترعات في عصر الحداد وافرة التنوع كثيرة الانتشار . وكان القطار في نظر العديدين من ابناء ذلك القرن في رأس قائمة تلك الاختراعات. ومن اقدم من وصفه عبد الله النديم ونجيب الحداد .[3] وللحداد في وصف القطار قصيدتان[4] دار فيهما

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٤٦

(٢) المصدر نفسه : ٤١

(٣) أنيس المقدسي ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، (ط ٣، بيروت : ١٩٦٣) ٢١١

(٤) اطلبها في : الحداد ، تذكار الصبا : ٤٦، ٥٩

حول صوته المرتفع، وسرعته الفائقة ، ودخانه الكثيف ، وفوائده الجمة ، وتمنى على سوريا ان تقتنيه اسوة بمصر.

وكانت المرأة في مصر، الوطنية منها والافرنجية ، في عصر الحداد قد بدأت تمارس شيئا من حريتها فأخذت تنتاب النوادى وتخرج في المركبات. فقال الحداد في وصف النساء في المركبات قصيدة (١) أشار فيها الى جمالهن وجذلهن وتراءى له ان الخيل التي تجر تلك العربات قد درت انها تحمل بدورا فانتشت. كما ذكر فيها ما لحق الحياة من تبدل وحث الشعراء على النظم فيه.

— ٢ —

حمل نجيب الحداد بعض اشعاره مسؤولية نفسية واجتماعية ووطنية . فقد نجح شعره الى حد بعيد في التعبير عما كان يقاسيه الشاعر من ألم ايام اشتد عليه الداء، وعما كان يتمزقه من شوق ، الى لبنان وكان اليه كما تقول ناشرة ديوانه كثير الحنين. (٢) كما وفق شعره في الثورة على بعض الافات الاجتماعية التي كانت، على ما يبدو، قد تسربت الى المجتمع. فقصيدته "في ذم القمار" (٣) قد استوقفت معظم الذين أرخوا لنجيب او اعتنوا بالتمثيل على شعره. ولنجيب ايضا بعض الاشعار الوطنية . فقد نظم شعرا في الشرق عاب فيه على المواطنين تقليدهم الاعمى للغرب وانشغالهم باهوائهم ومطامعهم عن المصلحة العامة . كما حاول فيه توضيح معنى الوطنية فاذا هي بنظره :

ان حب الاوطان عدل وحلم — وثبات وعزة ووفاء
واصطبار على الزمان — وتأليف قلوب وغيرة واباء

(١) اطلبها في الحداد، تذكار الصبا : ٤٠-٤١
(٢) المصدر نفسه، ٤٨
(٣) اطلبها في الحداد : تذكار الصبا : ٥٩-٦١

وجهـاد فـي كل فضـل وحريـة قول وانفـس شـماء

وقلوب لا تنثني في الـذى تبغي ولو حال فيه نار وماء

وأكف تعاقدت تكتب المجد لو ان الحروف فيه دمـاء(١)

ومن اشعاره الوطنية قوله في ايقاظ النفوس واثارة النخوة :

آن الاوان لأن اخاطر بالدم من لمهخاطر بالدما لم يسلم

اجزيرة العرب التي احببتها كم من اكف قد رمتك باسهم

لعبت اكف الترك فيك فغادروا في كل قطر فيك نهرا من دم

قتلوا رجالك واستذلوا من بقي فبقيت صرعى لليدين وللفم

وغدا العراق مع الحجاز غنيمة وبلاد نجد سبية المقسم

فلينقذ الله العلي جنوده وليحفظ العرب التي لم تأثم(٢)

— ٣ —

كان نجيب الحداد ، كما يتهيأ لنا ، في مقدمة الرواد من الشعراء الذين انفعلـوا بالرومنطيقية الغربية . وقد بدا لنا ان انفعاله هذا قد ظهر في اشعاره الغرامية والوصفيـة والوصفية والقصصية، وتجلى في الشكل الذى انتظم معظم اشعاره .

فهم الحداد الحب على الشكل الذى فهمه به الشعراء الرومنطيقيون . ويتضح لنـا ذلك من الابيات التالية التي تحدث فيها عن الحب :

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٦ — ٧

(٢) استشهد انيس المقدسي في كتابه الاتجاهات الادبية : ١١٢ بهذه الابيات وأحال القارئ الى الهامش ذاكرا : "اوردها الاعظمي في كتابه : ١—٤٣ ولم نجدها في ديوانه ولعلها من جملة ما كان ضائعا من آثاره يوم نشر الديوان ." وواقع الامر ان هذه الابيات لنجيب الحداد وقد وردت في رواية ثارات العرب : ٤١

فهو العزاء اذا المت نكبة   وهو الدواء اذا عزت اسقام
وهو السعادة حيث ليس سعادة   للمرء في هذى الانام ترام
وهو الاله له القلوب سواجد   وله يصلى في الورى ويصام
اني شببت عليه فهو لمهجتي   دين ومحبوبي لديه امام
فاذا سجدت جعلته لي قبلة   فيها الصلاة تحية وسلام(١)

فالحداد ، كما يتضح من هذه الابيات ، يحذو حذو الرومنطيقيين حين يقدس الحب ويرفعه الى اعلى المراتب العلوية.

وجعل الحداد الحب ، كغيره من الرومنطيقيين روح الوجود الذى يجمع دقائق الحياة ويشد المخلوقات الى الخالق، وينتظم الجماد والبشر . يقول :

هيهات ما في الهوى جماد   ولا نبات ولا بشر
الا له في الهوى فؤاد   اتاه طوعا على قدر
فالحب فينا والاتحاد   في الصخر والصلح في الشجر
كذا الهوى ساد في الجميع   وكل نفس به تطيب(٢)

وجعل الحداد الحب رابطة علوية مصفاة من كل شائبة جسدية. يقول وقد التقى بمعشوقته في حديقة :

واتخذنا من العيون كؤوسا   وادرنا من الحديث شمولا
وبعثنا اللحاظ رسلا فعادت   حاملات دموعنا أكليلا(٣)

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٢٣ ـ ٢٤
(٢) المصدر نفسه ، ٨٤
(٣) المصدر نفسه ، ٢٥

واعتمد نجيب التعابير الدينية لتصوير هذا الحب القدسي . فجعل اللحاظ "تتنزل" في القلب "آيات منزلة" وبلغة "لا تزول" و"لا تقبل التأويل" . قال :

فكتبنا بهن آيات حب ... نزلتها قلوبنا تنزيلا

لغة لم تقرأ ولم تبتدى فينا ... وهيهات بعدنا ان تزولا

وضعتها العيون من عهد حواء ... وكانت لها القلوب اصولا

كلمات بسيطة كلها معنى ... ولا نلتقي لها تأويلا

لست تلقى بهن نحوا ولا صر ... فأولا عاملا ولا معمولا

محكمات الايات في مهجة الصب ... فلا يبتغي لها تبديلا

نقشتها عين المهاة على القلوب ... فردد تهن عنها فصولا(١)

ويتحدث الحداد عن الحب فيراه كما يرى الرومنطيقيون، هيكلا مقدسا يسجد له ويركع وعندما يتعاهد مع الحبيب يجعل الزهور شهودا على ذلك . يقول :

ولاحت هياكل قدس الحبيب ... فطاب الركوع لها والسجود

وابرم ميثاق عهد الوفاء ... بايدي الولاء والزهور الشهود(٢)

وليس بغريب من الشاعر الذي يقدس الحب ويرفعه الى جليل المراتب ان يرى في سرير المعشوقة ، قدسا . فمضجعها هيكل تحف به ملائكة الجمال وتقدم عليه قرابين الشوق وتركع امامه القلوب . يقول :

سريرك هيكل للحب حفت ... ملائكة الجمال بجانبيه

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٢٥

(٢) المصدر نفسه ، ٢٨

اقدم فيه قربانا فــؤادى　　وأحســد ركبــة ركعت عليــه

وأقسم لو تناول منــه ميت　　لعادت روحه حــالا اليــه(١)

وقد غاب عنصر الشهوة عن هذا الحب· وانصرف المحب الى اقداس المحبوب بعــد ان عفّ منه القلب وتصفت العاطفة وتسامى الشعور وغدا الحب عنده ضربا من القصــوف :

رضيت بان أراكــم من بعيــد　　وان منــع التكلــم والســـلام

كذلك صرت اقنع لو سمحتم　　بوفد الطيف لو سمح المنـــام(٢)

وعبر الحداد، على غرار الرومنطيقيين، عن فنائه في محبوبته فقال :

فيا مهجتي كوني لديهم قريرة　　فقد زال ما تشكينه من جوى البعد

ويا جسدى قد نال قلبك ما اشتهى　　بهم فاسترح منه ومن ألم الصــد

ويا قلب ان رمت السعادة فيهم　　فمت ان موت الحب ضرب من السعد(٣)

الى ان يقول :

وقاسمت من اهوى فؤادى والهوى　　فكان فؤادى عندها والهوى عندى(٤)

ولعل الحداد قد بلغ ذروة التعبير عن التلاشي في المحبوب بقوله :

---

(١) الحداد، تذكار الصبا : ٩٧
(٢) المصدر نفســه، ٩٩
(٣) المصدر نفسه، ٣٠ وقد ابقينا البيت الاول كما ورد في الديوان
(٤) المصدر نفسه، ٣١

حلفت لو اني كنت من الناس سائلا ادور واستعطي بقارعة السبل

لاعطيتها الزاد الذى انا جامع طعاما لليلي ثم بت بلا أكل

ولوكنت ذا حقل يعيش بزرعه لطبت لها نفسا عن الزرع والحقل

ولو كنت ذا مال بخيلا بماله لاعطيتها مالي وتبت عن البخل

ولو كنت ذا عقل يعيش بعلمه فيملي وكف الدهر تكتب ما يملي

لاعطيتها العلم الذى هو زينتي واعطيتها عقلي وعشت بلا عقل(١)

***

وترك لنا الحداد بعض القصائد في وصف الطبيعة يمكن للباحث ايضا ان يرى فيها بعض الملامح الرومنطيقية فهو يؤنس الطبيعة، ويتحاور معها، وتتعاطف هي مع حالاته النفسية، فتحزن للكآبته، وتفرح لانشراحه . فقد رأى في غمرة سعادته الغصون مترنحة متعاطفة ، والورود مستحية من جمال الغيد، والمياه هامسة للحصا، والنسيم واش باسرار العشاق . يقول واصفا الطبيعة وقد اقبلت عليه محبوبته :

وورود غارت حياء من الـ غيد فحاكت خدودها تمثيلا

ومياه جرت تخاطب حصـ باها فيحكي النسيم ما قد قيلا

وطيور كأنها نزل الـوحـ ى عليها فرتلت ترتيلا(٢)

وما ان يفترق العاشقان حتى تتبدل الصورة فالطبيعة تتشح بالحزن، والغصون تصد ، والغدير ينفر ، والحمام يعاتب ، والشمس تصفر . الطبيعة لم تتغير ولكن حالة الشاعر الوجدانية قد كستها في الحالتين ثوبا من لدنها .

---

(١) الحداد ، تذكار الصبا : ٣٣
(٢) المصدر نفسه ، ٢٤

يقـول :

وغديـر يبـدي النفـار هديـرا　　وحمام يبدي العتاب هديـلا

ونسيم لم يدر غـير الذي يحـ　　ـمل من نشـرها وطاب حمـولا

وترى الشمس اكمدت فهي صفـر　　اء غيور تريد عنـا افـولا (١)

ونجد مثل هذه المشاركة بين الشاعر والطبيعة في قصيدته "تذكار الصبا". فالكون بأسره يتعاطف مع العاشقين. الليل يسترهما بوشاحه ليخفي اسرار الهوى، والشهب تراقبهما بعيون خجلى، والبدر يبحث عنهما بين الاشجار، والاغصان ترقص طربا وابتهاجا. يقول :

والليل يسـعدنا فننشر تحتـه　　سر الهوى وظلامـه يطـوينـا

والشهب ساهرة حسبت عيونهـا　　ترنو اليـك فكـدت تستحيينا

والبدر مطلع يحـاول كشـفنا　　تحت الغصون وظلها يخفينـا

والريح تعبث بالرياض عليلـة　　فتخال هينمـة النسيم انينـا

والارض زينها الربيع فزادهـا　　طيبا وزاد بساطها تلوينـا

والايك يطربه الخرير فتنثنـي　　اغصانه طربا وترقص لينـا (٢)

هذه النظرة للطبيعة ليست بالنظرة الفوتغرافية التي تتكسر على سطوح الاشياء وتنحصر في اوصاف حسية، وانما هي نظرة صادرة من الذات التي تلون المرئيات وتجسدها فتجعل لها قلوبا تنبض، وعيونا تدمع، وجوانح تخفق.

---

(١) الحداد، تذكار الصبا : ٢٦
(٢) المصدر نفسه، ٣٩

ولئن قصّر الحداد في استيحاء الطبيعة على شكل واسع حين لم يتغن بالطبيعة البكر وسواعد الفلاحين وقيثارة الرعاة وغيرها من الامور فانه ابن عصر كانت فيه الرومنطيقية تتلمس طريقها الى أدبنا المعاصر .

***

نظم الحداد قصة شعرية (١) تمثلت فيها بعض الملامح الرومنطيقية : وقد جاءت هذه القصة ، في واحد وخمسين بيتا هي من ارحب قصائده خيالا ، واغناها صورا ، واصدقها عاطفة .

تروى هذه القصيدة حكاية فتاة نشأت وحيدة لاهلها في بيت قروى . وقد جمعت الى جمال الخلق حسن الخلق . فهي مليحة القد ، طاهرة النفس ، عفة اللسان ، بسيطة الحياة ، لم تفسدها مفاتن المدينة ، ولم تمتد اليها مفاسد الحضارة . وبينما هي ذات يوم واقفة على باب الخباء اذا بوقع حوافر حصان تدب بقربها . فالتفتت لتقع عيناها على فارس فارع الطول ، قوى البنية ، بشاش الوجه . فدنا منها وطلب جرعة ماء يبل بها ريقه . فجاءته الفتاة بما طلب واخذت ترنو الى طلعته البهية وهو يشرب . فعلقه قلبها . عاد الفارس بعد ذلك الى حيث لا تدرى وخلفها تعاني عشقا لم تستطع ان تبوح به لاحد . وجرّ هذا العشق على الفتاة المرض والزمها الفراش . فحار اهلها بأمرها ولم يستطيعوا ان يقفوا على مصدر دائها . وظلت الفتاة تعاني من حبها الى ان اشرفت على الموت . وفي ذات يوم جاء رسول من الفارس يحمل الى تلك الفتاة مرآة هدية من سيّده . فزادتها تلك اللفتة هياما وشقاء وبينما كانت الفتاة على آخر رمق جاء الفارس يسأل عن حالها فأعلمته انها عاشقة محرومة وان هذا العشق قد جلب عليها السقم . وعندما سألها الفارس عن اسم الفتى الذى عشقته تناولت المرآة وطلبت منه ان ينظر فيها ليعرف الذى قضت بحبه ثم فارقت الحياة .

---

(١) اطلبها في : الحداد ، تذكار الصبا : ٤٣ ـ ٤٤

يتخلل هذه القصة، الى جانب كل هذا، حديث عن العفة والقداسة. وفيها اشارة بطهارة الريف وتغن بازهاره وحقوله . وفيها يطبق الحبيب قلبه على نيران الحب الآكلة دون ان يشكو لاحد عما يعانيه . وفيها هدية الحبيب التي توقظ النفس على الذكرى. وفيها حديث عن الموت في الحب والفناء فيه . وفيها انفصال المرء من هذا العالم الذي يعج بالشقاء والسقام الى عالم لا تطوله الاحزان. وفيها عنصر المفاجأة اذ يظهر الفارس عندما كان قلب الفتاة مهيئا لعاطفة العشق، ويظهر ثانية وهي على آخر رمق. هذا فضلا عما فيها من ملامح الفروسية. وهذه كلها ملامح من الرومنطيقية التي بدأت تتسرب الى حياة الشعر العربي منذ اواخر القرن الماضي .

وبالاضافة الى كل ما تقدم يلاحظ الدارس ان الشكل، في معظم اشعار الحداد، قد اتسم بسمات الشكل الرومنطيقي . فقد مال الشاعر الى استعمال اللغة البسيطة والالفاظ المألوفة للتعبير عن التجارب التي مرت به . كما اهتم، احيانا، بتصيد الاستعارات والتشبيهات الجامحة الخيال. واطلق نفسه على سجيتها تعكس ما يتفاعل فيها من مشاعر وحواس على عفوية ظاهرة وتدفق ملحوظ .

— ٥ —

ترجم الكتاب المقدس الى العربية في النصف الثاني من القرن الماضي . وقد بدأ هذا الكتاب بأسلوبه وتعابيره يؤثر في عطاء بعض الشعراء وخاصة المسيحيين منهم. فدخل بذلك عنصر جديد على الشعر العربي مما لم يكن معهودا من قبل. وكان نجيب الحداد في عداد الشعراء الذين تأثروا باسلوب الكتاب المقدس وصياغته وقصصه ، فضمن بعض آيات الكتاب المقدس في اشعاره واستوحى بعض قصصه وجاء على ذكر بعض اعلامه . وسنأتي ببعض

الامثلة التي من شأنها ان تدعم ما ذهبنا اليه رادين بعضها الى اصولها في الكتاب المقدس(١) غاضين الطرف عن رد بعضها الاخر الى اصوله نظرا لشيوعه واشتهاره ·

قال في معاتبة الحبيب وتذكره :

ولله ايام تقضت لنا بكم — توهمت بقياها فساء التوهم
بنيت الهوى منكم على الرمل جاهلا — بان اساس الرمل لا بد يهدم(٢)

وهو في هذا يستوحي قول المسيح في موعظته على الجبل "وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به يشبه رجلا جاهلا بنى بيته على الرمل · فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما "، "متى ٧ : ٢٦ ـ ٢٧"

وقال في فتاة اسمها استير :

ما لأستير في الملاح نظير — غير من انقذت بني يعقوب
تلك قد انقذت شعوبا وهذى — اوقعتني في حبها المكتوب
لم تهبني من يوسف عفة القـ — ـلب ولا الصبر من أيوب
خلصت اختك الالوف قديما — فارحمي واحدا من التعذيب
لا تظني اني المسيح لألقى — ما فعلتم في ذلك المصلوب
انا موسى فشابهي بنت فرعو — ن ونجي غريق دمع صبيب(٣)

---

(١) آثرنا الاعتماد على الترجمة اليسوعية لان الحداد اقرب ان يكون قد تأثر بها من البروتستانتية · فهو اولا كاثوليكي وثانيا ابن اخت ابراهيم اليازجي الذى اسهم اسهاما كبيرا في الترجمة اليسوعية ·
(٢) الحداد ، تذكار الصبا : ١٣
(٣) المصدر نفسه ، ٩٣ ـ ٩٤

وردت في الابيات السابقة عدة اشارات لشخصيات واحداث كتابية. ففي البيت الاول والثاني اشارة الى قصة استير بنت ابيحائل التي احبت الملك احشويروش واستطاعت ان تخلص شعبها منه.[١] وفي البيت الثالث اشارة الى قصة يوسف وزوجة فرعون[٢] واما صبر أيوب فاشهر من ان يعرف. وفي البيت الخامس اشارة الى قصة الصلب[٣] وفي البيت الاخير اشارة الى قصة موسى وبنت فرعون.[٤]

ويقول الحداد في مكان آخر :

فنهضنا وقد تركنا بيوت اللـ ـهو من بعدنا قفارا طلولا

وخرجنا خروج آدم لكن ما عصينا ولا اتبعنا الضلولا[٥]

وقال من قصيدة بعث بها الى خاله الشيخ ابراهيم اليازجي :

هذا خليل الله خط بقلبه ما خطّه موسى على الواحه[٦]

وجاء في قصيدة له قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس :

قد دهاها مصاب سادوم لكن خص من بين قومها الابرياء

فهي في الحزن مثل راحيل اذ تبكي بنيها ولا تريد عزاء[٧]

---

(١) انظر سفر استير
(٢) انظر سفر التكوين ٣٩ : ٧-١٥
(٣) اطلبها في انجيل متى : اصحاح ٢٧
(٤) اطلبها في سفر خروج : اصحاح ٢
(٥) الحداد ، تذكار الصبا : ٢٦
(٦) المصدر نفسه ، ٤٩
(٧) المصدر نفسه ، ٢٠

الى ان يقـول :

اترى كان ذاك مطهر مـن مـا توا فيمحو عن النفوس الخطـأ(١)

وكان نجيب في بعض الاحيان يتخطى الكتاب المقدس الى اخبار الكنيسة. ومـن ذلك قوله في تاريخ ضريح لوسيا خياط :

هـذا ضريح لوسـيا الـتي لاقـت سـميتها بدار نعيم(٢)

وفي هذا البيت اشارة الى القديسة لوسيا التي احرقها الحاكم عندما امتنعت عن الزواج من شاب وثني فصارت الكنيسة الكاثوليكية تعتبر الثالث عشر من كانون عيدا خاصا بتلـك القديسـة .(٣)

— ٦ —

تسنى لنجيب الحداد ان يطلع على الوفير من المسرحيات في الاداب الغربيـة . فعمل جاهدا على نقل عدد لا يستهان به من آثار كتاب المسرحية الكلاسيكية والرومنطيقية . واستقطبت تلك المسرحيات المترجمة الجزء الاكبر من طاقته الشعرية حتى صح قول الكسندرا افيرينوه أن ثلاثة ارباع اشعاره في مسرحياته .(٤)

والمسرحية، النثرية منها والشعرية، فن طارىء على التراث العربي . ولذا فـان نجيبا حين نقل بعضا من المسرحيات الغربية الى العربية شعرا، كان بذلك يغني حياتنـا الادبية بعنصر جديد . واستطاع بمرونتـه الشعرية ان يخضـع الحوار لابحر الخليل حـتى

---

(١) الحداد، تذكار الصبا : ٢١

(٢) المصدر نفسه، ٩٧

(٣) Dictionary of Christian Biography, ed. Smith and Woev, (London: 1882) 744

(٤) الحداد، تذكار الصبا : ١٠٥

انه لا يندر ان نقع على بيت واحد يتألف من حوار يدور على افواه عدد من الممثلين.(١)

نستطيع ان نقسم شعر الحداد المسرحي الى قسمين: قسم ورد في مسرحياته المؤلفة وآخر جاء في مسرحياته المترجمة. ولم نقع الا على مسرحية واحدة من مسرحياته المؤلفة هي مسرحية عمرو بن عدي. وظني ان هذه المسرحية هي باكورة انتاجه المسرحي وثمرة من ثمرات الصبا المبكر. وقد تفاوت الشعر فيها جودة ورداءة. ولعلنا لا نجانب الحقيقة ان نحن زعمنا ان غالبية اشعار تلك المسرحية هي من الغث الهزيل، على ان الباحث لا يعدم ان يقع فيها على بعض الاشعار الحارة العاطفة والمتينة السبك.

وقد بدا لنا ان شعر الحداد في مسرحياته المترجمة قد جاء اكثر ليونة واغنى فكرا وربما امتن صياغة من شعره في مسرحية عمرو بن عدي. ولعل مرد ذلك الى ان الشاعر قد عالج نقل المسرحية الشعرية الى العربية بعد ان امتد به الزمن فأصبح انضج فكرا، واغنى ثقافة، واعمق تجربة.

وعندما نتحدث عن شعر الحداد المترجم فان ما يدور بخلدنا، مبدئيا، هي تلك المقصدات الطويلة نسبيا لا تلك الابيات القليلة التي يقصد فيها التعبير عن الاحداث المتلاحقة السريعة. اننا نقصد تلك المقصدات التي عبر فيها الممثلون عن ازماتهم الوجدانية التي تستدعي تدفقا شعريا. وهنا نود ان نذكر ان نجيبا قد جاء بثلاثة اضراب من القصائد: الضرب الاول يعتمد الى حد بعيد على مادة النص فينقلها على شيء من الانضباط والامانة. الضرب الثاني الذى جمع فيه بين الترجمة والتأليف(٢) والضرب الثالث كان تأليفا خالصا(٢)

---

(١) انظر السهد: ٦٠-٦١، الرجاء بعد اليأس، (الاسكندرية: مطبعة غرزوزى، ١٩٠٤) ٤٩

(٢) انظر: السهد: ٧ "القصيدة التي تبدأ " نعم ادرى وفي عشقي بلائي "، ص٨، القصيدة التي تبدأ "يا من يؤمل..."، ص٢٠ القصيدة التي تبدأ "يا زمان الاكدار..."

صافيا[١]. وفضل الشاعر في الضرب الاول ينحصر في القدرة على نقل النص شعرا . وقد نجح نجيب مرارا في الارتفاع بمستوى الترجمة الشعرية الى ما يداني الاصل روعة وجمالا ، وقصر مرارا عن المحافظة على مستوى الاصل . ونجح حينا في الضرب الثاني بالجمع، على تآلف ، بين الترجمة والتأليف واخفق احيانا . وجاء شعره في الضرب الثالث تعبيرا عن غنائية حميمة.

* * *

هذا هو شعر الحداد المتأثر بالقديم والمنفعل بالجديد ، المثقل باوضار الصنعة حينا والمنفلت في اجواء الفيض الشعوري حينا آخر ، المسخر لاغراض صب فيها الشعر القديم زمنا، المتسع، نوعا ما، لما طرأ على العصر من تغييرات زمنا آخر ، المشلول العاطفة آنا الهادر فيها آنا آخر . وهو في هذا كله ثمرة من ثمرات مسافة زمنية كانت في الواقع جسرا يستند بأحد طرفين على موروث عربي مصفى وبطرفه الآخر على لقاء حضاري بين الشرق والغرب.

---

(١) انظر : شهداء الغرام: (٣-٤) الجزء الاول القصيدة التي يلقيها روميو ومطلعها يا غزالا صاد قلبي جفنه ... ، السيد : (ص٥٠) القصيدة التي مطلعها :
"قسمت فؤادي للمآثر والوجد ...."
حلم الملوك: ص ٨٧ من المسرح العربي ٦ "الأبيات الثلاثة الاخيرة من الفصل الاول".

خـــاتمـــة

كان المجتمع السوري قبل اتصاله بحضارة الغرب مجتمعا راكدا الآ أن حالة الركود هذه لم تدم طويلا بعد أن أخذت عقلية أبنائه تتفتح على الثقافات الغربية • فصارت مساوئ الحياة السياسية والاقتصادية والدينية تتنافى ومثل الفئة المثقفة ومبادئها • وحين تعذر عليها البقاء في الربوع الشامية يممت شطر مصر التى كانت تنعم ، دون غيرها عهدئذ بشيء من الحرية النسبية • وفي مصر اتجهت جهود فئة كبيرة من الجالية السورية بحكم ثقافتها وتجربتها الى العمل في الصحافة ، ونقل بعض الآثار الغربية، ووضع بعض المؤلفات التعليمية والفلسفية• وكان الشيخ نجيب الحداد في عداد هؤلاء المغتربين، فعمل، كما عمل معظم أترابه من السوريين المتمصرين، في حقلي الصحافة والترجمة وزاول نظم الشعر• فأصاب في هذه الحقول جميعها من النجاح ما جعله بحق رائدا من رواد النهضة العربية الحديثة •

ولد الحداد ونشأ في بيروت ثم ارتحل مع أسرته الى الاسكندرية حيث قضى هناك قرابة سنوات ست عاد بعدها الى لبنان اثر الثورة العرابية سنة ١٨٨٢• وفي بيروت التحق بالمدرسة البطريركية مدة سنة واحدة ثم عين مدرسا في بعلبك لمدة سنة ثانية• وعاد بعدئذ الى الاسكندرية لينضم الى أسرة جريدة الأهرام مترجما ومحررا • وتمكن سنة ١٨٩٤ بالتعاون مع أمين الحداد وعبده بدران من اصدار جريدة لسان العرب التي واصلت الصدور حتى سنة ١٨٩٨ اذ توقفت اثر اصابته بداء السل الذى قضى فيه نحبه •

كان اصدار لسان العرب أضخم عمل صحفي قام به الحداد • وتعتبر هذه الجريدة في نشأتها وصراعها من أجل البقاء أنموذجا لصحف القرن التاسع عشر• وقد راعى القيمون عليها الاعتدال في مواقفهم من قضايا العصر ومشكلاته الآ أنهم ، احيانا، أظهروا شيئا من التشيع للدولة الانجليزية •

ويشير البحث في مضامين مقالات نجيب الحداد الى انها اعتنت بالقضايا السياسية والمشكلات الاجتماعية والأمور الأدبية • فعالجت بعض مقالاته السياسية تسلّط الأتراك على البلاد العربية ونددت بما لحق بشعوبها من مظالم ومآسي • وتحدثت عن الفتن والثورات التي نشبت في أطراف الدولة وفسّرت دوافعها وأشارت الى نتائجها • وقد استأثرت سوريا بنصيب وافر من اهتمام الحداد • فقد ركز على نقاط رئيسية ثلاث هي انعدام الأمن وارتفاع الضرائب وكبت الحريات• فشكا بلسان الأهلين الى المسؤولين أملا منه في أن السلطان عبد الحميد سيستأصل شأفة الفساد • الآ ان نداءات الحداد، كنداءات غيره من المتنورين ذهبت أدراج الرياح ، فتحول الى الطعن في شخص السلطان وتحريض الناس على تقويض دعائم العرش العثماني• وأخذ يبشر بدعوة جديدة من شأنها، كما بدا له ، أن تخرج بالأمة العربية من مآسيها السياسية• وكانت قد نشطت في البلاد العربية دورذاك تيارات سياسية متباينة • فهناك تيار يدعو الى قيام جامعة اسلامية وهناك تيار يرمي الى تثبيت الجامعة العثمانية وتدعيمها • وكانت دعوة الحداد تبغي قيام جامعة عربية تقوم في صميمها على رابطة اللغة لا على رابطة الدين أو العثمانية •

وعالجت بعض مقالات الحداد السياسية قضية الاحتلال الانجليزى لمصر وامكانية الجلاء عنها • وقد بدا لنجيب ، على عكس بعض ما ظهر لبعض المفكرين دورذاك ،ان الاحتلال ليس كلّه سيئات ، اذ ان المحتلين عملوا جاهدين على تنوير مصر ورد غائلة الفقر عنها • وبدا له أيضا ان استقلال مصر وقتئذ غاية صعبة المنال نظرا لارتباط مصيرها بقضية أخرى هي المسألة الشرقية ولانعدام وجود دعائم الاستقلال من تقدم صناعي ، وازدهار تجارى، وتطور زراعي وتفتح حضارى• ورأى انه لا بدّ من تحقيق هذه المكاسب قبل مجرد التفكير في الاستقلال السياسي•

وتطرّق الحداد الى القضايا الاجتماعية• وكان كثير الاعتدال في موقفه من الحضارة الغربية الوافدة• فدعا الى التأصل والنمو في تربة الموروث العربي مع الانفتاح على الحضارة الغربية• فعالج على ضوء هذا الموقف قضية المرأة ، وقضية الشباب الذين انجرفوا مع

معطيات الحياة الجديدة، وقضية العلاقات غير العادلة بين العمال وأرباب العمل. كما تحدّث عن حالة موظفي الدولة وندد بالتفاوت الطبقي والانقسام الطائفي . هذا فضلا عن خوضه في أمور فرضتها ظروف عالمية كالرق والحرب. ولم تعكس مقالات الحداد ما يمكن أن يعتبر موقفا ايديولوجيا متكاملا ومركزا، بل جاء معظمها على شكل ارشادات وانتقادات متخذة طابع المواعظ العامة. كما اتسمت، على العموم، بملامح فنية ميزتها، بشكل واضح، عن غيرها من المقالات.

وتوفر نجيب على نقل بعض القصص والمسرحيات الفرنسية الى العربية، الاّ انه لم يكن أمينا كل الأمانة في ترجماته . ومرد ذلك، على الأرجح، الى ظروف خاصة جعلت أمانة النقل غاية صعبة التحقيق منها : ان المترجمات القصصية كانت، في الغالب، تنشر مسلسلة في ذيول الجرائد والصحف. وان القارئ العربي يختلف في ذوقه ونهج تفكيره عن القارئ الغربي . ومن هنا تولى الحداد مترجماته القصصية بالحذف والاختصار فاستحالت الروايات بين يديه الى ما يشبه الحكايات او الهيكل العظمي لما كان في الأصل كيانا متكاملا . كما أجرى في مترجماته تغييرات في الأحداث والأسماء والعادات ليقربها من ذوق القارئ الجديد . وكانت حصيلة جهده في ترجمة القصة نقل عشر روايات، ست منها لديماس الأب، واثنتان لبونسون دى ترايل، وواحدة لبولين كامال، وواحدة للامارتين .

وكانت مترجمات الحداد المسرحية أوفر عددا وأكثر تنوعا من مترجماته القصصية. فقد نقل قرابة عشر مسرحيات واقتبس أربعا أخرى. ويقال انه ألف خمسة من عنده . أما المترجم منها والمقتبس فمن انتاج كورني وراسين وفولتير وموليير وهيجو وشكسبير وسكوت. ولم يكن الحداد في مترجماته المسرحية أكثر انضباطا منه في مترجماته القصصية. انه لم يتورع عن اضافة القصائد الشعرية والمنولوجات الغنائية. ولم يحجم عن تغيير بعض الأحداث أو حتى اسقاط بعض الفصول .

وبدا لنا ان الخوض في الحديث عن مسرحيات الحداد المترجمة تكرار لما قالته بعض المراجع، خاصة وقد توفر في احداها ـ المسرحية في الأدب العربي الحديث ـ من

الاحاطة والدقة ما يغني عن مزيد من الجهد في هذا الصدد . فآثرنا ان نولي المسرحيات التي لم تعن بها المراجع التفاتا خاصا . فدرسنا مسرحية " صلاح الدين الأيوبي " وقررنا على سبيل القطع انها مقتبسة عن قصة "The Talismann" ل "W. Scott" . كما التفتنا الى مسرحية " عمرو بن عدى" فرددنا جزءا من أحداثها الى أصوله التاريخية وبينا بالتحليل كيف انه لم يكتب لمؤلفها نصيب وافر من النجاح الفني .

ودرسنا الحداد الشاعر فتبين لنا ان الرجل في أشعاره امتداد لخلفية شعرية عاش فيها طالبا في لبنان وتأثر بها رجلا في مصر. وأنه ، أيضا، منفعل بما تسرّب الى ثقافته من التراث العربي . فجئنا بمسح سريع لتلك الخلفية وانتهينا الى القول أن الحداد لم يكن بين الذين اقتصروا في شعرهم على تقليد القدامى ولا بين الذين كانوا من الجهة الأخرى امتدادا لعصور الانحطاط. انه قد توكأ على الاثنين من جهة واستفاد من جهة أخرى مما رفدته به ثقافته الغربية . ومن هنا حاولنا أن ندرس مفهوم الحداد للشعر ونتتبع عناصر القديم والجديد في أشعاره ، فتهيأ لنا الوقوف على جملة من الحقائق .

وجل ما نأمله ان نكون في هذا البحث قد وافينا الرجل حقه ، ففي هذا وحده ما ينسينا المشاق التي عانيناها في تتبع أخباره وأعماله .

المصادر والمراجع

الكتب العربية

— أ —

١ـ ابن الأثير
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبّانة، (ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩)

٢ـ ابي الهنا، نقولا
الشيخ ناصيف اليازجي، (حريصا: مطبعة القديس بولس، لا ت)

٣ـ الأفغاني، جمال الدين
الرد على الدهريين، (القاهرة: نشر فؤاد منقاره الطرابلسي، ١٩٤٧)

٤ـ انطونيوس، جورج
يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، واحسان عباس، (ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٢)

— ب —

٥ـ البارودى، محمود سامي
ديوان البارودى، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤)

٦ـ ــــــــ
مختارات محمود سامي البارودى، (القاهرة: مطبعة الجريدة، ١٣٢٧)

٧ـ البخارى، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم
صحيح البخارى، ج ٧، (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٤٥)

٨ـ بدوى، احمد أحمد
رفاعة رافع الطهطاوى، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٦٩)

٩ـ البستاني، فؤاد أفرام
الروائع ٢١ الشيخ ناصيف اليازجي، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧)

١٠ـ بشارة تقلا باشا ، (القاهرة: مطبعة الأهرام، ١٩٠٢)

١١ـ بولياك، ابراهيم
الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين، ترجمة عاطف كرم، (ط١، بيروت: وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٤٨)

ـ ت ـ

١٢ـ تـاجـر، جاك
حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، (القاهرة: دار المعارف بمصر، لا ت)

١٣ـ ترايل، بونسون د ى
غرام الأخوين، (L'Armurier de Milan) ترجمة الشيخ نجيب الحداد، (لا مط، لا ت)

١٤ـ ـــــ
فرسان الليل، (Les Cavaliers de Nuit) ترجمة الشيخ نجيب الحداد، (ط٢، الاسكندرية: المطبعة التجارية، ١٩٠٣)

١٥ـ الترك، نقولا
ديوان المعلم نقولا الترك، (بيروت: ١٩٤٩)

ـ ج ـ

١٦ـ الجندى، علي
فن التشبيه ، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، لا ت)

ـ ح ـ

١٧ـ حتي، فيليب خليل
مختصر تاريخ لبنان، ترجمة فؤاد جرجس نصّار، (بيروت: دار الثقافة، المطبعة التجارية، ١٩٦٨)

١٨ـ الحداد، الشيخ أمين
منتخبات الشيخ أمين الحداد، (الاسكندرية: مطبعة غرزوزي، ١٩١٣)

١٩ـ الحداد، روز
فرح انطون حياته وتأبينه ومختاراته، (القاهرة: ١٩٢٣)

٢٠ـ الحداد، الشيخ سليمان
ديوان قلادة العصر، (الاسكندرية: مطبعة الأهرام، ١٨٩١)

٢١ـ الحداد، الشيخ نجيب
ديوان تذكار الصبا، (ط٢، الاسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزي، ١٩٠٥)

٢٢ـ ـــــــ
صلاح الدين الأيوبي، (ط٢، القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٠٢)

٢٣ـ ـــــــ
عمرو بن عدي، (الاسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزي، ١٩٠٢)

٢٤ـ ـــــــ
المسرح العربي (٦) نجيب الحداد، اختيار وتقديم الدكتور محمد يوسف نجم، (بيروت: نشر وتوزيع دار الثقافة، ١٩٦٦)

٢٥ـ ـــــــ
منتخبات الشيخ نجيب الحداد، جمع حنا نقاش، (الاسكندرية: المطبعة التجارية، ١٩٠٣)

٢٦ـ حسين، طه
حافظ وشوقي، (ط٣، القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٥٥)

٢٧ـ حسين، محمد محمد
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (القاهرة: المطبعة النموذجية: ١٩٥٤)

٢٨ـ الحصري، ساطع
حولية الثقافة العربية السنة الأولى ١٩٤٨ـ١٩٤٩، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩)

٢٩ـ حمزه، الدكتور عبداللطيف
أدب المقالة الصحفية في مصر، ج ١، (ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي، المطبعة العالمية، ١٩٥٨)

٣٠ـ ــــ
أدب المقالة الصحفية في مصر، ج ٢، (ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي، المطبعة الاعتماد، ١٩٥٨)

٣١ـ ــــ
مستقبل الصحافة، ج ١، (القاهرة: دار الحمامي للطباعة، ١٩٦١)

ـ خ ـ

٣٢ـ الخربوطلي، علي حسني
غروب الخلافة الاسلامية، (نشر مؤسسة المطبوعات الحديثة، مطبعة التقدم، لا ت)

ـ د ـ

٣٣ـ داغر، يوسف أسعد
مصادر الدراسة الأدبية، ج ٢، (بيروت: لا مط، ١٩٥٥

٣٤ـ الدسوقي، عمر
في الأدب الحديث، (ط٢، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٠٥)

٣٥ـ ديماس، اسكندر (الأب)
حديث ليلة، (Un Nuit a Florence)، ترجمة الشيخ نجيب الحداد، (ط٢، الاسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزي، ١٩٠٤)

٣٦ـ ــــ
فضيحة العشاق، (L'Horoscope) ترجمة الشيخ نجيب الحداد، (الاسكندرية: مطبعة جرجي غرزوزي، لا ت)

ـ ر ـ

٣٧ـ الرافعي، عبد الرحمن
عصر اسماعيل، ج ١، (ط١، القاهرة: مطبعة النهضة، ١٩٣٢)

٣٨ـ الرافعي، عبد الرحمن
مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، (ط٤، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢)

٣٩ـ راسين،
الرجاء بعد اليأس، (Iphigenie) ترجمة الشيخ نجيب الحداد ، (الاسكندرية: التزام أحمد رفاعي، مطبعة جرجي غرزوزي، ١٩٠٤)

٤٠ـ رضا، محمد رشيد
تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده، ج ١، (القاهرة: مطبعة المنار، ١٩٣١)

٤١ـ روندو، بيير
النصارى في الشرق، (ط١، بيروت: دار المكشوف، ١٩٤٦)

ـ ز ـ

٤٢ـ زخورا، الياس
السوريون في مصر، (القاهرة: المطبعة العربية، ١٩٢٧)

٤٣ـ ــــــ
مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر، (القاهرة: المطبعة العمومية، ١٨٩٧)

٤٤ـ زيادة، مي
وردة اليازجي، (ط١، القاهرة: مطبعة البلاغ، لا ت)

٤٥ـ زيدان، جرجي
تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧)

٤٦ـ ــــــ
تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج ٢، (ط٣، القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢٢)

– س –

٤٧ـ سامي، عبد الرحمن
سفر السلام في بلاد الشام، (القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٨٩٢)

٤٨ـ سعادة، جورج
النهضة الصحفية في لبنان، (ط١، جونية: منشورات وكالة النشر العربية، ١٩٦٠)

– ش –

٤٩ـ شريف، محمد بديع ورفيقاه
دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، (القاهرة: مطبعة الرسالة، لا ت)

٥٠ـ شفيق، دريه
المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم، (القاهرة: لا مط، ١٩٥٥)

٥١ـ شكسبير، وليم
شهداء الغرام، (Romeo and Juliet) ترجمة الشيخ نجيب الحداد، (الاسكندرية: مطبعة غرزوزى، ١٩٠٤)

٥٢ـ شهاب الدين، محمد
ديوان محمد شهاب الديوان، (القاهرة: ١٢٧٧)

٥٣ـ شيخو، الأب لويس
تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ج ١، ج ٢، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)

– ص –

٥٤ـ صايغ، أنيس
لبنان الطائفي، (بيروت: دار الصراع الفكرى، ١٩٥٥)

٥٥ـ صبرى، محمد
شعراء العصر، ج ٢، (القاهرة: مطبعة الأمة، ١٩١٠)

٥٦ـ صفـير، الخوري بطرس
الأمير بشير الشهابي طرائف عن حياته وأخلاقه ، (بيروت: دار الطباعة والنشر اللبنانية، لا ت)

٥٧ـ صليبـا ، جميل
محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشا م، (القاهرة: المطبعة الكماليـة، لا ت)

ـ ض ـ

٥٨ـ ضـيف ، شوقي
الأدب العربي المعاصر في مصر، (ط٢، القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦١)

٥٩ـ ـــــــ
البارودي رائد الشعر الحديث ، (القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٤)

ـ ط ـ

٦٠ـ طـرازي ، الفيكونت فيليب
تاريخ الصحافة العربية، ج ١ـ٣، (بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩١٣)، ج ٤ ، (بيروت: المطبعة الأميركانية، ١٩٣٣)

ـ ع ـ

٦١ـ عبد الكريم، أحمد عـزت
تاريخ التعليم في عصر محمد علي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصريـة ، لا مـط، ١٩٣٨)

٦٢ـ عبـده ، ابراهيم
تطوّر الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية، (ط٣، القاهرة : مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية، ١٩٥١)

٦٣ـ ـــــــ
جريدة الأهرام تاريخ وفن، (القاهرة: سجل العرب، لا مط، ١٩٦٤)

٦٤ــ عبــود ، مارون
جدد وقدماء، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٤)

٦٥ــ ــــــ
رواد النهضة الحديثة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٢)

٦٦ــ عـرابي، أحمد
كشف الستار عن سر الأسرار، (القاهرة : مطبعة مصر، لا ت)

٦٧ــ عـزيــز ، الدكتور سامي
الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعــة والنشر، ١٩٦٨)

٦٨ــ العسكري، ابو هلال الحسين بن عبد الله
الصناعتين الكتابة والشعر، (ط٢، القاهرة : مطبعة الرسالة، ١٩٦٠)

٦٩ــ عطــاره ، قسطاكي الياس
تاريخ تكوين الصحف المصرية، (الاسكندرية : مطبعة التقدم، ١٩٢٨)

٧٠ــ العقــاد ، عباس محمود
شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، (القاهرة : مطبعة حجازي، ١٩٣٧)

٧١ــ عــلي، جواد
تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٤، (بغداد : المجمع العلمي العراقي، مطبعــة النقيض، ١٩٥٠)

٧٢ــ

ــ غ ــ

٧٢ــ الغضبــان، عادل
الشيخ نجيب الحداد ، (القاهرة: دار المعارف ، مطابع دار المعارف ، ١٩٥٧)

٧٣ــ

ــ ف ــ

٧٣ــ فــريد ، محمد
تاريخ الدولة العليه العثمانية، (ط٢، القاهرة : مطبعة محمد مصطفى، ١٨٩٦)

٧٤ـ فهمي، ماهر حسن
تطور الشعر الحديث في مصر ١٩٠٠ـ١٩٥٠، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨)

٧٥ـ

ـ ق ـ ك ـ

٧٥ـ القلعجي، قدري
ثلاثة من أعلام الحرية، (بيروت: دار الكاتب العربي، لا مط، لا ت)

٧٦ـ كامل، بولين
غرام واحتيال، " ? " ، الاسكندرية: مطبعة لسان العرب، ١٩٠٤)

٧٧ـ كامل، مصطفى
المسئلة الشرقية، (ط١، القاهرة: مطبعة الآداب، ١٨٩٨)

٧٨ـ الكتاب التذكاري لجريدة البصير في عيدها الذهبي، (الاسكندرية: أسرة البصير، مطبعة البصير، ١٩٤٨)

٧٩ـ كنعان، جرجس
الآداب العربية وتاريخها

٨٠ـ الكواكبي، عبدالرحمن
أم القرى، (القاهرة: طبع على نفقة محمود طاهر)

٨١ـ كورني، بيير
السيد، (Le Cid) ترجمة نجيب الحداد، (الاسكندرية: مطبعة غرزوزي، ١٩٠٤)

٨٢ـ ـــــــ
السيد، (Le Cid) ترجمة يوسف محمد رضا، تحقيق خليل شرف الدين، ١٩٦٦)

ـ ل ـ

٨٣ـ لامارتين
غصن البان في رياض الجنان، (Raphael) ترجمة الشيخ نجيب الحداد، (ط٥، لا مط، لا ت)

- م -

٨٤ـ المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين
ديوان ابي الطيب المتنبي، صححه وقارن نسخه الدكتور عبد الوهاب عـــزام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٤)

٨٥ـ مـزهر، يوسف
تاريخ لبنان العام، ج ١، (لا ت، لا مط)

٨٦ـ مسعد، لويس
لبنان والدستور العثماني، (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٠٩)

٨٧ـ مسعود، جبران
لبنان والنهضة العربية الحديثة، (جونية: مطابع فؤاد بيبان، ١٩٦٧)

٨٨ـ مشاقة، ميخائيل
مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، تحقيق ملحم خليل عبده واندراوس حنـا شخاشيرى، (القاهرة: ١٩٠٨)

٨٩ـ مطران، خليل
ديوان الخليل، ج ١، (القاهرة: مطبعة دار الهلال، ١٩٤٩)

٩٠ـ معاهدة السرق، (بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٢٧)

٩١ـ المعلوف، عيسى اسكندر
الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية، ج ١ـ٢، (بيروت: لا مط، ١٩٤٥)

٩٢ـ ـــــــ
لمحة في الشعر العصر، (بعبدا: المطبعة العثمانية، ١٨٩٨)

٩٣ـ المقدسي، أنيس
الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، (ط٣، بيروت: ١٩٦٣)

٩٤ـ منسى، أحمد ابو الخضر
فرح انطون، (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٣)

٩٥ـ المهلبي، بهاء الدين زهير بن محمد
ديوان بهاء الدين زهير، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٤)

٩٦ـ الملوح، قيس
ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٥٩)

— ن —

٩٧ـ نجم، الدكتور محمد يوسف
فن المقالة، (ط٣بيروت: نشر وتوزيع دار الثقافة، مطابع سميا، ١٩٦٣)

٩٨ـ ـــــ
القصة في الأدب العربي الحديث، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦)

٩٩ـ ـــــ
المسرحية في الأدب العربي الحديث، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦)

— ي —

١٠٠ـ اليازجي، الشيخ ابراهيم
العقد، (سان باولو: لا مط، لا ت)

١٠١ـ اليازجي، الشيخ خليل
ديوان نسمات الأوراق، (ط٢، القاهرة: مطبعة المعارف، لا ت)

١٠٢ـ ـــــ
المروءة والوفاء أو الفرج بعد الضيق، (بيروت: المطبعة الأدبية، ١٨٨٤)

١٠٣ـ اليازجي، كمال
رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث، (صيدا: مكتبة رأس بيروت، المطبعة المخلصية، ١٩٦٢)

١٠٤ـ اليازجي، الشيخ ناصيف
مجمع البحرين، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٩٦١)

١٠٥ــ اليازجي، الشيخ ناصيف
نار القرى في شرح جوف القرا ، (لا مط ، لا ت)

١٠٦ــ يكــــن، ولي الدين
المعلوم والمجهول، ج ١، (القاهرة: مطبعة الشعب ، ١٩٠٩)

١٠٧ــ اليوبيل الفضي لجريدة لسان الحال ، (بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩٠٤)

الكتب والموسوعات الافرنجية

- Adams, Charles — ١٠٨
Islam and Modernism in Egypt, (London: Oxford University Press, 1933)

- Cornille, — ١٠٩
Le Cid, (Bordas: 1962),

- Cromer, Evelyne — ١١٠
Modern Egypt, (London: Macmillian, 1908)

- Dictionary of Christian Biography, ed. Smith and Woev, (London: 1882) — ١١١

- Dumas, Alexandre (Pere) — ١١٢
Le Trois Mousquetaires, Nelson, (Paris: 1954)

- ——— Le Vicomte de Bragelonne, Nelson, (Paris: 1955) — ١١٣

- ——— Vingt Ans Aprés, Nelson, (Paris: 1957) — ١١٤

- Hartmann, Martin — ١١٥
The Arabic Press of Egypt, (London: 1899)

- History of the Times, Vol. III, (London: 1939) — ١١٦

- Hitti, Philip — ١١٧
The Impact of the West on Syria and Lebanon in the Nineteenth Century, in Cahiers d'histoire mondiale Vol. II, No. 3, meridien, (Paris: 1955)

١١٨- Hourani, Albert
Arabic Thought in the Liberal Age, (Oxford University Press, 1967)

١١٩- Lamartine
Raphaël, Hachette, (Paris: 1874)

١٢٠- Marzails, Frank T. "Dumas, Alexandre", Encyclopedia Britannica (1962), VII.

١٢١- Pères, Henri
Annales de L'Institut D'Etudes Orientales, V. III, (Paris: Librarie Larose)

١٢٢- Scott, Sir Walter
The Talisman, (Edinburg: 1891)

الدوريـــات

١٢٣- أنيس الجليس (مجلــة)
- عدد (شباط)، عدد (آذار)، عدد (أيــار) : مجلد سنة ١٨٩٨
- عدد (كانون الأول) : مجلد سنة ١٨٩٩
- عدد (شباط) : مجلد سنة ١٩٠٣
- عدد (نيسان) : مجلد سنة ١٩٠٤

١٢٤- الأهرام (جريدة)
- ٣٠٠٨، ٣٠١٠، ٣٠٢٠، ٣٠٤٩، ٣٠٥١، ٣١٤٢، ٣٢٩٨، ٣٣١٧ : سنة ١٨٨٨
- ٣٣١٧، ٣٤٢٤ : سنــة ١٨٨
- الأعداد : ٣٨٠٨، ٣٨٨٦ : سنة ١٨٩٠
- الأعداد : ٤٠٠٩، ٤١٠٢، ٤١٤٧، ٤١٥٣، ٤٢٠٢ : سنة ١٨٩١
- الأعداد : ٤٤٣١، ٤٤٧٥، ٤٥٠٦، ٤٥٠٨، ٤٨٠٢ : سنة ١٨٩٢
- الأعداد : ٣٨٠٨، ٤٥٢٣، ٤٥٣٤، ٤٥٥٠، ٤٥٥١، ٤٥٨١، ٤٥٨٣، ٤٥٨٤، ٤٥٨٧، ٤٥٨٨، ٤٥٨٩، ٤٥٩٠، ٤٥٩١، ٤٥٩٣، ٤٥٩٤، ٤٥٩٧، ٤٥٩٩، ٤٦٠٢، ٤٦٠٥، ٤٦٣٤، ٤٦٥١، ٤٦٦٠، ٤٧٥٩، ٤٨٠٨ : سنة ١٨٩٤
- العدد : ٤٩٣١ : سنة ١٨٩٤

ـ العددان : ٦٣٥١، ٦٤٧١ : سنة ١٨٩٩
ـ العدد : ٨٣٨٣ : سنة ١٩٠٥

١٢٥ـ البصير (جريدة)
ـ العددان : ٢٦٥، ٢٧٣ : سنة ١٨٩٨
ـ العدد : ٤١٥٧ : سنة ١٩٤٣
ـ الأعداد : ١٤١٦٢، ١٤١٧٤، ١٤١٨٠، ١٤١٨٦ : سنة ١٩٤٤

١٢٦ـ البيان (مجلة)
ـ ج ٧ (سبتمبر)، ج ٨ (سبتمبر)، ج ٩ (اكتوبر)، ج ١٢ (نوفمبر)، ج ١٤ (ديسمبر) : مجلد ١ (١٨٩٧ ـ ١٨٩٨)

١٢٧ـ التاريخ القومي (مجلة)
ـ ج ٣ (فبراير)، ج ١١ (اكتوبر) : مجلد سنة ١٨٩٩

١٢٨ـ الثقافة (مجلة)
ـ عدد ٢٥٩ (ديسمبر) : مجلد ٥ سنة ١٨٩٩

١٢٩ـ الجامعة (مجلة)
ـ ج ١ (مارس)، ج ٣ (ابريل)، ج ٩ (يوليو) : مجلد ١ سنة ١٨٩٩

١٣٠ـ الجنان (مجلة)
ـ عدد ٥ (آذار)، عدد ٦ (آذار)، عدد ٢١ (كانون أول)، عدد ٢٢ (كانون أول) : سنة ١٨٨٤

١٣١ـ الزهور (مجلة)
ـ ج ٦ (اكتوبر) : مجلد ٣ سنة ١٩١٢

١٣٢ـ السلام (جريدة)
ـ العددان : ٦٥، ٧٦ : سنة ١٨٩٨
ـ الغددان : ٣٥٤، ٤٦١ : سنة ١٨٩٩

١٣٣ـ الضياء (مجلة)
ـ ج ١٢ (فبراير) : مجلد ١ سنة ١٨٩٩
ـ ج ٧ (ديسمبر)، ج ١٤ (مارس) : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠

١٣٤ـ العروة الوثقى (مجلـة)

١٣٥ـ الكتـاب (مجلـة)
ـ ج ٥ (مايو) : مجلد ٨ سنة ١٩٥٣

١٣٦ـ الكلية : "بيروت" (مجلـة)
ـ ج ٤ (شباط)، ج ٥ (آذار)، ج ٩ (تموز) : مجلد ١١، ١٩٢٤ـ١٩٢٥
ـ ج ٤ (أيار) : مجلد ١٢ سنة ١٩٢٦

١٣٧ـ كلية الآداب : " القاهرة" (مجلة)
ـ ج ٢ (ديسمبر) : مجلد ١٤ سنة ١٩٥٢

١٣٨ـ لسان العرب (جريدة)
معظم أعدادها من ١٨٩٤ ـ ١٨٩٨

١٣٩ـ اللطائـف (مجلة)
ـ ج ٦ (اكتوبر) : مجلد ٥ سنة ١٨٩٠

١٤٠ـ المـؤيـد (جريدة)
ـ العدد الصادر في ٤ مارس سنة ١٨٩[illegible]
ـ العددان : ١٤٩٧، ١٣٥١ : سنة ١٨٩٥
ـ العددان ١٨٢٤، ~~٢٨٣٣~~ ٤ مارس: سنة ١٨٩٦

١٤١ـ المسـرّة (مجلة)
ـ ج ٢ (شباط) : مجلد ١٥ سنة ١٩٢٩

١٤٢ـ المشـرق (مجلة)
ـ العدد ٩ (ايلول) : مجلد ١٦ سنة ١٩١٣

١٤٣ـ المقتطف (مجلة)
ـ ج ٣ (مارس) : مجلد ٢٣ سنة ١٨٩٩
ـ ج ١ (يناير) : مجلد ٢٤ سنة ١٨٩٩
ـ ج ٤ (ابريل) : مجلد ٩٤ سنة ١٩٣٩

١٤٤ـ المقطم (جريدة)

ـ العدد ١٢٣٥ : سنة ١٨٩٣

ـ العدد ١٦٢٥ : سنة ١٨٩٤

ـ العدد ٢٠٠٨ : سنة ١٨٩٥

ـ العددان : ٢٧٦٢، ٢٩٦٦ : سنة ١٨٩٨

١٤٥ـ الهلال (مجلة)

ـ ج ١٢ (مارس)، ج ٢١ (مارس) : مجلد ٧ سنة ١٨٩٨

ـ ج ٤ (نوفمبر) : مجلد ١٠ سنة ١٩٠١

ـ ج ١٥ (فبراير) : مجلد ٢٠ سنة ١٩١٢

ـ ج ٩ (يونيو) : مجلد ٢٧ سنة ١٩١٩

فهرس المحتويات